

مختارات
من ديوان
شمس تبريز
لجلال الدين الرومي

- ◆ المؤلف: جلال الدين الرومي
- ◆ العنوان: مختارات من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي
- ◆ نقلها من الفارسية وقدم لها وعلق عليها: د. محمد السعيد جمال الدين
- ◆ طبعة آفاق الأولى: 2018
- ◆ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ◆ مستشار النشر: سوسن بشير
- ◆ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠١٧ / ٢٧٤٠١

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977 - 765 - 091 - 5

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أى جزء منه. أو تخزينه فى نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأى شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

_____ Afaq Bookshop & Publishing House _____

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-0111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ / ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ / ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

مختارات من ديوان
شمس تبريز
لجلال الدين الرومي

نقلها من الفارسية وقدم لها وعلق عليها

د. محمد السعيد جمال الدين

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

الرومي، جلال الدين

مختارات من ديوان شمس تبريز - لجلال الدين الرومي
نقلها من الفارسية وقدم لها وعلق عليها: د. محمد السعيد جمال الدين
ط1 القاهرة - آفاق للنشر والتوزيع - 2018

304 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 2017 / 27401

الترقيم الدولي 978 - 977 - 765 - 091 - 5

1 - التصوف

أ - العنوان

مقدمة

أقدم للقارئ العربي ترجمة لقصائد مختارة من أشعار جلال الدين الرومي، ضمّها ديوانه الكبير المعروف بـ «ديوان شمس تبريزي»، الذي نظمه جلال الدين تخليدًا لذكرى شيخه وصاحبه «شمس الدين التبريزي».

ولا تشتمل أغلب هذه القصائد على اسم شمس الدين فحسب، وإنما تشتمل أيضًا على إعلاء من قدر هذا الرَّجُل الذي بدا - في رأي جلال الدين - قطبًا من الأقطاب تدور عليه رحي القلوب التي تهيم بمحبة الله تعالى، وتنجذب إليه أرواح السّالكين، فيقدح فيها زناد الشّوق ويدفع بها قُدّمًا في الطريق إلى الحقّ.

وأبدأ الآن بالتعريف في اختصار بكلّ من جلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي، ثم أعرض للقاء الذي تم بينهما والذي أدّى إلى التحوّل الكبير الذي ألمّ بحياة جلال

الدين وفكره وطرائق تعبيره، وأنتقل في النهاية إلى الحديث
عن «ديوان شمس تبريز» وعن هذه القصائد المختارة،
والتي نُقل أغلبها إلى العربية لأول مرة^(١).

(١) أصدر المجلس الأعلى للثقافة في مصر (المشروع القومي للترجمة) ترجمة لمختارات من الديوان
كان المرحوم الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا قد أعدّها للنشر قبل وفاته، ونُشرت هذه المختارات
في جزءين في سنة ٢٠٠٠م بعنوان «مختارات من ديوان شمس الدين التبريزي» لمولانا جلال الدين
الرومي، ولا تتفق مختارات الدكتور شتا مع هذه القصائد المختارة إلا في عدد قليل لا يزيد على
ست قصائد. ومن ثمَّ فإنَّ أغلب هذه القصائد تناح للقارئ العربي مترجمة لأول مرّة.

جلال الدين الرومي

اسمه محمد؛ ولُقّب بجلال الدين، كما عُرف بألقاب أخرى هي: مولانا، ومولوي، والرومي نسبة إلى «آسيا الصغرى» التي كانت تُعرف في عصره ببلاد الروم. وقد عاش بها منذ كان صبيًّا يافعًا، وظلَّ بها إلى أن وافته المنية وهو في الثامنة والستين من عمره.

ولد في السادس من ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م بمدينة بلخ التي كانت تعدّ في ذلك الحين واحدة من أهم مدن إقليم خراسان المترامي الأطراف.

كان أبوه - بهاء الدين محمد ولد بن حسين البلخي - من كبار علماء عصره وعُرفائهم، كان الناس يجتمعون إليه بأعداد غفيرة لحضور درسه، وكان يحظى بينهم بمكانة مرموقة ومحبة ملحوظة أثارت عليه ثائرة السلطان محمد خوارزمشاه وأوغرت صدره، فحدثت بينهما جفوة^(١) خشي بهاء الدين بعدها أن يصيبه مكروه من السلطان، فأثر مغادرة تلك

(١) ربما ترجع الجفوة بين بهاء الدين ولد والسلطان محمد خوارزمشاه إلى المذهب الذي كان يدعو إليه بهاء الدين في خطبه ومواظبه، وهو مذهب يعتمد مبدأ الوسطية بين العقل والنقل ويتحوط من مقولات الفلاسفة وعلماء الكلام وبخاصة من يقدمون العقل على النص ولا يقيمون وزنًا للتجربة الروحية، وقد كان السلطان محمد نفسه واقفًا تحت تأثير المتكلم الكبير فخر الدين الرازي الذي كان يقود بنفسه هذا الاتجاه، وكان - بسبب من ذلك - على خلاف ظاهر مع بهاء الدين ولد.

الديار في سنة ٦١٦هـ / ١٢٢٠م، ويمم وجهه شطر بغداد يصحبه في رحلته ابنه جلال الدين (الذي كان قد بلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا) وأفراد أسرته وعدد من خدّمه وغلّمانه.

لم يبق بهاء الدين في بغداد غير بضعة أيام انطلق بعدها لأداء فريضة الحج، ثم إنه اتخذ طريقه بعد ذلك إلى دمشق، وهناك تلقى دعوة سلطان السلاجقة في بلاد الروم «علاء الدين كيقباد» للإقامة في «قونية»^(١) عاصمة ملكه، فلبى بهاء الدين دعوته وانتقل للإقامة بها.

وقد جاءت هجرة بهاء الدين من بلخ في الوقت الذي ساءت فيه العلاقات بين محمد خوارزمشاه وقائد المغول «جنكيز خان» وبدأت في الأفق نذر حرب طاحنة بين الفريقين ما لبث أن اشتعل أوارها. ثم جاء الإعصار المغولي لكي يقتلع في طريقه الدولة الخوارزمية، ويدمر مدن الشرق الإسلامي العامرة بالحضارة والتقدم، وكان من بينها بلخ؛ مما جعل بهاء الدين يتخلى عن عزمه على العودة إلى موطنه ويبقى في «قونية» من بلاد الروم ليحظى بحسن وفادة سلطانها الشاب «علاء الدين كيقباد» ووزيره الهمام «معين الدين بروانه»^(٢).

وظل بهاء الدين ينعم برعاية السلطان والوزير ويمارس عمله في

(١) تقع «قونية» في القطاع الجنوبي من الأناضول، على حافة سلسلة جبال «طوروس»، وترتبط بمجموعة من الطرق تصلها بالشام والعراق.

(٢) تولى علاء الدين كيقباد سلطنة دولة سلاجقة الروم في الفترة من سنة ٦١٦ - ٦٣٤هـ / ١٢٢٠ - ١٢٣٧م، أما وزيره معين الدين بروانه فقد توفي سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م، راجع كتاب «أخبار سلاجقة الروم» ترجمه عن الفارسية الدكتور محمد السعيد جمال الدين، نشر مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، الدوحة، ١٩٩٤.

الفُتيا والخطابة والتدريس والوعظ حتى توفي في سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م.
كان جلال الدين - حين تُوفي أبوه - في الرابعة والعشرين من عمره،
وقد أسند إليه السلطان كيقباد منصب أبيه في تدريس العلوم الشرعية.

ولم يكد يمضي عام أو أقل حتى وفد إلى «قونية» السيد برهان الدين
الترمذي»، وكان من أصحاب «بهاء الدين ولد»، فأفاد منه جلال الدين
فائدة كبيرة، ورغبه السيد في الاندماج في الحياة الروحية وسلوك الطريق
الصوفي، وزاد على ذلك أن أمره بالارتحال إلى «حلب» لكي يحضر
دروس علمائها الكبار. ثم إن جلال الدين انتقل بعد ذلك إلى «دمشق»
وأقام فيها نحو أربع سنوات.

وقد بلغت مدة بقاء جلال الدين في كل من حلب ودمشق نحو سبع
سنوات، عاد بعدها إلى قونية يحمل معه العديد من الإجازات التي منحها
له العلماء الذين حضر دروسهم في التفسير والحديث والفقه وأصول
الدين واللغة والأدب وأصول العقائد والفلسفة وعلم الكلام، وبدا وكأنه
قد استكمل عُدته في أغلب العلوم العقلية والنقلية، ووصل في الفقه -
بخاصة- إلى مرتبة الاجتهاد والأهلية للفتيا، ولهذا وردت ترجمته في
كتب طبقات الحنفية بين الفقهاء والمفتين^(١).

وبعد وفاة السيد الترمذي في سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م باشر جلال
الدين تدريس العلوم الدينية قرابة خمس سنوات.

وتذكر بعض الروايات أن عدد الطلاب الذين كانوا يتجمعون

(١) انظر بدیع الزمان فروزانفر، مقدمة ديوان شمس تبریزی، طبع طهران، ١٣٥١هـ. ش.

لحضور دروسه بانتظام زاد على الأربعمائة. واشتهر ذكره بين الناس «فأحبه الخاص والعام، واشتغل بالوعظ»^(١) وعُرف عند ذلك بأنه واحد من كبار أئمة المسلمين، وعماد لشريعة النبي محمد ﷺ.

ومن الواضح أن جلال الدين قد جمع في تلك المرحلة بين شخصيّة العالم الفقيه وشخصية الشيخ الصوفي، وكان يختلف إلى دروس فقهه طلبة العلوم الدينية، كما كان يفيد من إرشاداته وتوجيهاته القولية والعملية المریدون الذين يسعون إلى كسب المعارف الروحية.

شمس الدين التبريزي

يبدأ التحوّل الكبير - أو الولادة الجديدة كما يسمونها - لجلال الدين في اللحظة نفسها التي التقى بشمس الدين التبريزي.

ويصف الأستاذ «رينولد آين نيكلسون» في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمختارات من ديوان شمس تبريز شمس الدين بأنه «شخصية غامضة تتدثر بلباد أسود خشن، تضوي لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفي فجأة وفي سرعة فائقة»^(٢). ثم يصفه نيكلسون في ملحقات ترجمته الإنجليزية لكتاب المثنوي لجلال الدين الرومي بأنه: «كان إلى حدّ ما أمّياً، ولكنه امتاز بحماس روحي شديد، مصدره الفكرة التي

(١) الأفلاكي، شمس الدين أحمد: مناقب العارفين، طبع أنقرة، سنة ١٩٥٩، ١٩٦١م، ٢: ٦١٤.

(٢) R. A. Nicholson, Selected Poems from the Diwan -i- Shams -i- Tabriz -

Cambridge, 1898, p. 18.

استولت عليه فجعلته يتخيل أنه مبعوث العناية الإلهية»^(١).

أما أن شمس الدين التبريزي كان أميًا - كما يقول نيكلسون - فهذا ما لا سبيل إلى قبوله، فلشمس الدين كتاب يضم ما أثر عنه من أقوال يُسمى «مقالات»^(٢)، يتبين منه أن شمس الدين كان متبحرًا في العلوم الدينية فضلًا عن درايته الواسعة بآراء المتكلمين والفلاسفة، مما جعله يوجّه إليهم في كتابه المذكور الكثير من الانتقادات والعديد من المطاعن، كما يشتمل الكتاب على تحليل لعقائد الفرق المختلفة، وأبيات لشعراء من العرب والفرس، ونظرة نقدية واعية للعلوم الرائجة في عصره، وعناية بالأحداث التاريخية ودلالاتها؛ مما لا يمكن القول معه بأن الرجل كان أميًا.

وقد اختلفت أقوال الرواة اختلافًا كبيرًا في تحديد نسب شمس الدين، ولا نجد من بين هذه الأقوال ما يمكن الاستناد إليه والوقوف عنده. ويذكر «الأفلاكي»^(٣) وهو يعرفنا بشمس الدين أن «اسمه محمد بن علي بن مُلْك دَاد».

وتبدو حياة شمس الدين غامضة كل الغموض، لكننا نستطيع أن نقف على لمحات يسيرة من سيرته من خلال كتابه «مقالات».

فهو يذكر في كتابه أنه كان واحدًا من مريدي «أبي بكر سلّه باف»،

(١) المرجع نفسه، ص ٢٠. وانظر أيضًا: «إدوارد جرانفيل براون»، تاريخ الأدب في إيران، الجزء الثاني، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، طبع مصر ١٩٥٤، ص ٦٥٥-٦٥٦.

(٢) طبع في طهران سنة ١٣٤٩هـ. ش (١٩٧٠م)، بتحقيق الأستاذ أحمد خوشنويس (عماد).

(٣) هو شمس الدين أحمد الأفلاكي، شرع في تأليف كتابه المسمى «مناقب العارفين» بالفارسية عن سيرة جلال الدين الرومي سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م، أي بعد وفاة جلال الدين بنحو خمس وأربعين سنة.

يقول: كان لي شيخ اسمه أبو بكر بمدينة تبريز، كان يصنع السلال، وقد تحصّل لي منه الكثير من الإفاضات، لكن، كان بأعماقه شيء لم يكن شيخي يراه، ولم يكن أحد قد رآه من قبل؛ ذلك الشيء قد رآه مولانا (يعني جلال الدين).« ويضيف قائلاً وهو يخاطب جلال الدين: «وما فعلته لأجلك لم أفعله لشيخي، وفارقته قهراً، وكان يقول: أنا الشيخ».

ونستطيع أن ندرك من العبارة الأخيرة أن شمس الدين ترك شيخه مُغضباً. وكان هذا دأب شمس الدين مع كل من رآه من شيوخ عصره، الذين لم يستطع أحد منهم أن يستولي على لُبّه أو يُخضعه لتعاليمه. وهو حين يتحدّث عن أيّ منهم يعدّ نفسه أعلى منه مقاماً وأرسخ قدماً، اللهم إلا جلال الدين.

وربما كان هذا هو الأمر الذي جعل شمس الدين يتورّع عن أن ينتسب إلى فرقة من الفرق أو طريقة من الطرق ويتقيّد برسومها ويلتزم تقاليدها، وإنما كان مرجعه دائماً إلى النبع الصافي كي يرتوي منه، كما أشار هو قائلاً: «كل امرئ يتحدّث عن شيخه، لقد أعطانا الرسول ﷺ الخرقه في الرؤيا، وما هي بتلك الخرقه التي ترث وتبلى بعد يومين ويستنجي بها الناس في الخلاء، بل هي خرقه الصُحبة، الصُحبة التي لا يحتويها الفهم، الصُحبة التي تصنع ما تصنع الأمس واليوم وغدا»^(١).

وقد ذكر شمس الدين في كتابه «مقالات» عدداً من كبار شيوخ عصره لم يكن يوافقهم على آرائهم، وأخذ ينتقد طرقهم وسلوكهم الواحد تلو

(١) مقالات، طبع عماد، ص ٥٩.

الآخر، كالشيخ صدر الدين القونيوبي^(١) وأوحد الدين الكرمانبي^(٢)،
ومحيى الدين بن عربي^(٣).

ويشير إلى أنه لم يستفد من شيخ جلس إليه مثلما أفاد من جلال
الدين الرومي، فهو يحدث جلال الدين في مقالاته قائلاً عن شيخ من
شيوخه: «حصلت لي فوائد كثيرة منه (يعني من شيخه)، لكنها ليست
كما حصلت منك...»^(٤).

وقد كان شمس شأنه شأن جلال الدين معارضاً للفلسفة وأربابها،
ويبدو أن جلال الدين قد ورث كرهه للفلسفة عن أبيه بهاء الدين وشيخه
شمس الدين، بينما ورث قسوته على مشايخ الصوفية عن شمس الدين
بخاصة.

ويبدو شمس في كتابه «المقالات» موقناً بأن الوصول إلى الحقيقة
أمر ميسور بالمتابعة والعشق فحسب؛ يقول: «أقل ما عند المصطفى ﷺ
لا أهبه مقابل مائة ألف رسالة للقشيري والقريشي وغيرهما؛ لا طعم لها،
ولا ذوق»^(٥).

والعلم عند شمس إنما هو وسيلة لا غاية، ومن ثم فإن العلم يفصح

(١) انظر: «مقالات»، ص ٢٥٢، وهو محمد بن إسحاق، أحد كبار تلامذة ابن عربي، كانت بينه وبين
جلال الدين لقاءات وتقدير متبادل، توفي ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م.

(٢) مقالات، ٣٤٧- ٣٤٨، صحب ابن عربي زمناً، وكان من مشاهير مشايخ الصوفية في عصره، توفي
٦٣٥هـ / ١٢٣٧م.

(٣) مقالات، ص ٢٩٨، الشيخ الأكبر، ولد بالأندلس ثم قصد المشرق فطاف أرجاءه وكانت وفاته
بدمشق سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م.

(٤) أيضاً، ص ٣٥٧.

(٥) أيضاً، ص ٢٧٣.

بنفسه عن العجز والقصور الكائن فيه. والفيلسوف عنده حيران؛ يقول: «الجهات السّت نور الله، والفيلسوف الغرّ قد بقي فوق سبع سماوات [حيران] بين الفضاء والخلاء»^(١)، «يقول الفيلسوف الغرّ العقول عشرة وأنها تضم كلّ الممكنات».

«وإلا، فمن ينطق بكلام سُقراط وبُقراط وإخوان الصّفا واليونان في حضرة محمد وآل محمد وأبناء روح محمد وقلبه لا أبناء الماء والطين؟ والله (تعالى) أيضًا حاضر»^(٢).

ويُنكر شمس الدين على الفيلسوف أن يتخذ عقله دليلًا ومرشدًا، يقول: «الفيلسوف يُصبح مُنكرًا، أي أن كل ما لا يعرفه عقله، لا يكون له وجود».

ويتهم بالحمق والجهل كل من خلط بين الفلسفة والدين ولم يقبل حشر الأجساد، وأخذ يسخر من كل من عدّ الحشر روحانيًا فقط، ولذلك يعلن سخطه على «عمر الخيام» الذي كان ممن قالوا بأن الحشر روحانيٌّ فحسب.

يقول: «أورد الشيخ إبراهيم^(٣) إشكالاً على مقولات الخيام عن كيفية كونه حائرًا؟ قلت: أجل؛ إنه إنما يتحدث واصفًا حاله، قد كان حيران، ومن ثمّ فإنه يتهم الخلق تارة، ويتهم الزمان تارة، ويتهم الحظّ تارة، ويتهم الحقّ تعالى تارة، وتارة ينفي ويُنكر، وتارة يُثبت، فإن تحدث

(١) أيضًا، ص ١٢٠.

(٢) مقالات، ص ٢٦.

(٣) يبدو أنه كان من شيوخ العصر.

فإنما يأتي بأقوال هي ضربٌ من الوهم الحالك؛ وما المؤمن بحيران، إنما المؤمن من أزاحت الحضرة [له] النَّقَاب، وكشفت الستار، فرأى مراده بعينه، فَيَتَعَبَّدُ عِيَانًا فِي عَيَانٍ، وَيُدْرِكُ لَذَّتَهُ بِعَيْنِهِ»^(١).

ويعلن شمس الدين سَخَطَهُ عَلَى الْفَخْرِ الرَّازِي. لأنه أدخل الفلسفة اليونانية عالم الإسلام وكان شديد الكلفة بالفلسفة، يقول: «لو كان من الجائز إدراك هذه المعاني بالتعلم والبحث، لكان من الواجب وضع تراب العالم على الرأس... يقال إن الفخر الرازي قد كتب ألف ورقة في تفسير القرآن، بل يقال إنها خمسون ومائة ألف ورقة، والفخر الرازي لا يبلغ أن يكون غبارًا في طريق أبي يزيد [البسطامي]^(٢)، وما هو إلا كمثل حلقة على الباب، ليس على ذلك الباب الخاص، بل حلقة من حلقات الباب الخارجي...»^(٣).

ولا ريب أن من لم يطالع الفلسفة اليونانية ويتبحر في دراستها لا يستطيع أن يُقدم على الطعن عليها بمثل هذا التبصر والوعي^(٤) الذي نشهده من شمس الدين.

ومهما يكن من أمر فقد كان «شمس» يُعَوِّلُ عَلَى الْقَلْبِ وَلَا شَيْءَ غَيْرِ الْقَلْبِ فِي إِدْرَاكِ الْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَكَانَ يُعَلِّي مِنْ شَأْنِ الْإِنْسَانِ،

(١) مقالات، ص ٣٤٥.

(٢) هو أبو يزيد ابن طينفور البسطامي، من أعلام الرعيل الأول من الزُّهَاد، ذاعت شهرته في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي.

(٣) مقالات، ص ٥٥ وما بعدها.

(٤) انظر عبد الباقي كولبنارلي، مولانا جلال الدين: زندگانی، فلسفه، آثار گزیدهٔ أي از آنها، ترجمه عن التركية إلى الفارسية دكتور توفيق سبحاني، طبع طهران ١٣٧٦ هـ. ش (١٩٩١ م)، ص ١١١، وقد دَلَّلَ الْمُؤَلِّفُ عَلَى تَبَحُّرِ «شَمْس» فِي الْفَلَسَفَةِ بِالْعَدِيدِ مِنَ النُّصُوصِ مِنْ كِتَابِ «مَقَالَات».

يقول: «إن الحق -تعالى- لم يقل: ولقد كرّمنا السماوات ولقد كرّمنا العرش»^(١). فإن اتجهت إلى العرش لا ينفعك، وإن اتجهت فوق العرش، أو تحت الطبقة السابعة من الأرض لا ينفعك، إن باب القلب هو الذي يجب أن يفتح. ما مسّ كل الأنبياء والأولياء والأصفياء من ضرّاء وزُلزُلوًا إلا لهذا، فمن هذا كانوا يبحثون، فالعالم كله في شخص واحد، إن عرف نفسه، عرف الكل^(٢).

ويقول وكأنه يتحدث عن نفسه: «إن لله عبادة لا يملك أحد طاقة حزنهم كما لا يملك أحد طاقة سعدهم، والكأس الذي يملأونه كل مرة ويتجرعونها، كل من يشربه لا يرجع إلى نفسه، فالآخرون يشربون ويخرجون، ويبقى هو جالسًا على رأس الدن»^(٣).

وهو يشرح ذلك بقوله: «لا أحد يستطيع معي صبرًا، إن ما أفعله لا يُتاح له مقلد يقتدي به، وقد قيل حقًا، إن هؤلاء قوم لا يجوز لهم اقتداء»^(٤).

ويقول: «إن كلامي صعب مشكل، ولو قلته مائة مرة لفهم في كل مرة بمعنى آخر، وهذا المعنى يظل مع ذلك بكرًا»^(٥).

كان يتزيًا بزّي التّجار تارة، أو يتزيًا بزّيّ خاص يتكون من قلنسوة طويلة مصنوعة من اللباد البنيّ وعباءة سوداء فضفاضة من الصوف

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْحَجَرِ ... ﴾ الآية [الإسراء، ٧٠].

(٢) مقالات، ص ٢٦٧.

(٣) أيضًا ٣٥٥. والدن: وعاء ضخم للخمر ونحوها.

(٤) مقالات، ص ٣٥٥.

(٥) نفس المرجع.

الخشن^(١). ويتحرك من مكان إلى مكان لا يُمسكه بلد ولا وطن، فقد كان كثير الأسفار، ولذلك سُمِّي بـ «شمس الطيَّار»^(٢). وكان إذا دخل مدينة من المدن أقام في «نُزل» أو بيت من البيوت التي ينزل بها المسافرون العابرون.

وتذكر بعضُ الروايات أن شمس الدين كان يتنقَّل من مدينة إلى أخرى، ويفتتح في بعضها كتايب لتعليم الصبيان، وكانوا إذا أعطوه أجرًا يمتنع عن أخذه ويطلب تأخيرهِ حتى يتجمع له في النهاية من المال ما يعينه على قضاء دين كبير عليه، ثم لا يلبث أن يختفي من المدينة دون أن يحصل على ما تجمع له عند النَّاس من مال.

ويقال إنه مكث أربعة عشر شهرًا كاملة في حجرة بإحدى المدارس في «حلب» يشتغل بالرياضة الروحية^(٣).

يقول شمس الدين في مسألة توجهه إلى قونية - المدينة التي كان يقيم بها جلال الدين - «طالما تَضَرَّعْتُ إلى الله تعالى كي يجعلني أختلط بأوليائه وأنعم بصحبتهم، فرأيت في المنام من يقول لي: سنجعلك تصحب أحد الأولياء. قلت: حسنًا، وأين أجد ذلك الوليِّ؟. وفي الليلة التالية رأيت نفس الرؤيا، وفي الليلة التالية كذلك، وقيل لي: هو في بلاد الروم، وبعد مدة من البحث والطلب لم أعثر عليه ولم أره. قيل: لم يَحِنُّ الوقت بعد؛ فالأمور مرهونة بأوقاتها».

(١) وهو الزبي نفسه الذي أمر جلال الدين أتباعه بارتدائه بمجرد أن أيقن بأن شمس الدين لن يعود، وعُرف بالزبي المولوي.

(٢) انظر: الأفلاكي: مناقب العارفين، ١: ٨٥.

(٣) انظر، بديع الزمان فروزانفر، مقدمة كليات ديوان شمس تبريزي، طهران، سنة ١٣٥١هـ. ش، ص ٤٢.

لقاء القطبين شمس الدين وجلال الدين

وصل شمس الدين إلى «قونية» يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وستمائة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)، واختار الإقامة ببيت من بيوت المسافرين فيها.

واختلفت أقوال الرواة في كيفية اللقاء الأول بين شمس الدين وجلال الدين الرومي؛ وربما كانت رواية الأفلاكي في كتابه «مناقب العارفين» هي أصح الروايات وأكثرها قبولا^(١)؛ يقول:

«ذات يوم غادر مولانا (يعني جلال الدين) يرافقه جمع من الفضلاء مدرسة «بنه فروشان»^(٢)، وحين مرّ من أمام نزل «شكر ريزان»^(٣) نهض مولانا شمس الدين وسار بضع خطوات، ثم أخذ بعنان فرس مولانا [جلال الدين] قائلاً: يا إمام المسلمين، أيهما أعظم أبو يزيد أم محمد؟ قال مولانا [جلال الدين] إن السماوات السبع بدت من هيئة ذلك السؤال وكأنها قد تناثرت أجزاء ثم سقطت على الأرض، وشبّت نار هائلة من

(١) هناك روايات أخرى تنطوي على كثير من المبالغة وتضفي على شمس الدين قدرة خارقة، من تلك الروايات ما ذكره صاحب الجواهر المضيئة من أن «جلال الدين كان جالساً يوماً ببيته وحوله الكتب ويحيط به الطلبة فدخل عليه شمس الدين التبريزي وأشار إلى الكتب قائلاً: ما هذا؟ قال جلال الدين: هذا ما لا تعرفه، فما فرغ من هذا اللفظ إلا والنار تشتعل في البيت والكتب جميعاً. فقال جلال الدين للتبريزي: ما هذا؟ قال: هذا ما لا تعرفه. ثم خرج من عنده فتبعه جلال الدين... إلخ» (محيي الدين عبد القادر، الجواهر المضيئة، طبع حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٢هـ، ٢: ١٤٣ وما بعدها).

(٢) المدرسة التي كان يلقي فيها جلال الدين دروسه.

(٣) التُّزُل الذي كان ينزل به شمس الدين بعد دخوله «قونية».

باطني صعدت إلى رأسي، ورأيت وكأن دخاناً أخذ يصاعد في السماء حتى بلغ ساق العرش، أجاب [جلال الدين]: إن محمداً رسول الله أعظم العالمين، فأين منه أبو يزيد؟ قال: شمس، فما معنى قوله ﷺ: «ما عرفناك حق معرفتك» وقول أبي يزيد «سبحاني ما أعظم شأنني وأنا سلطان السلاطين». قال مولانا [جلال الدين]: إن أبا يزيد سكن من جرعة واحدة، وتحدث عن سراب، وامتلاً قرح إدراكه بهذا القدر وحده، وكان ذلك النور بقدر الكوة والنافذة الصغيرة في بيته.

أما المصطفى -عليه الصلاة والسلام- فكان يُسقى سقاء عظيمًا، له ظمًا في ظمًا، وكان صدره المبارك قد صار منشرجًا بشرح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] و﴿أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧]، فلا غرو أن تحدث عن الظمًا، وكانت له في كل يوم زيادة قربي، فشأن المصطفى شأن عظيم؛ لأن أبا يزيد حين وصل إلى الحق، رأى نفسه ملآن ولم يُزد في النظر، أما المصطفى -عليه الصلاة والسلام- فكان يرى المزيد كُلَّ يوم، ويمضي قُدماً فيرى المزيد من أنوار الحق وعظمته وقدرته وحكمته يومًا بعد يوم وساعة بعد ساعة، ومن ثمَّ قال: «ما عرفناك حق معرفتك».. فما لبث مولانا شمس الدين أن صاح صيحة عظيمة ثم وقع على الأرض...»^(١).

ومنذ ذلك اليوم، حدث التحوّل الكبير في حياة جلال الدين، فلم يفترق عن شمس الدين إلا بعد أن اضطر شمس إلى الارتحال مغضبًا إلى حلب، بعد أن لقي العنت من رفاق جلال الدين ومريديه، كما سيرد

(١) مناقب العارفين، ٢: ٦١٨.

تفصيله فيما يلي .

وما رُئيَ جلال الدين منذ ذلك اليوم إلا وهو في صحبة شمس الذي بدا في نظره ممثلاً لنور الله تعالى، وأنه مبعوث للعناية الإلهية إليه ليهديه إلى نوع من المعرفة اليقينية لم يُتَح له من قبل^(١).

وقد وصفه جلال الدين في المثنوي بأنه «شيخ الدين وبحر معاني رب العالمين. الأرض والسماء تبدو أمامه وكأنها قشّة، لو أظهر جماله دون حجاب لما بقي شيء في مكانه، ولا ينبغي أن نُفَلت ذيل ثوبه من أيدينا إن أردنا إدراك الحقيقة. ولو طلع شمس لانعدمت الظلال، إن النجوم وإن كانت بلا عدد، فإن قُوَّتْها على التجلي أمام الشمس منفردة منعدمة:

طيور الضحى لا تستطيع شعاعه فكيف طيور الليل تطمع أن ترى»
كذلك وصفه جلال الدين بقوله: «شمس تبريز يعلمك العشق لا العقل».

لقد أخذت الدهشة والعجب من أهل قونية بعامة ومن أهل الشريعة وأهل الطريقة فيها بخاصة كل مأخذ حين رأوا كيف فُتِن رجل يشار إليه بالبنان في الوعظ والفتوى كجلال الدين برجل مجهول كشمس، تحيط علامات الاستفهام بأصله ومنشئه.

(١) تشبه بعض المصادر اللقاء الذي حدث بين جلال الدين وشمس الدين كاللقاء الذي حدث بين موسى عليه السلام والخضر، وهو اللقاء الذي تحدثت عنه سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿... فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ٥١﴾ قَالَ لَهُ، مُوسَىٰ هَلْ أَتَعْبُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا... ﴿الآيات [الكهف: ٦٥ - ٦٦].

كانت قد مضت نحو ستة أشهر على اللقاء بين الرجلين، ترك فيها جلال الدين ما كان قد اعتاده في حياته السابقة، ولم تبدر منه بادرة تدل على العودة إلى التدريس والفُتيا، بل بدا أنه صار من أهل المحبة الإلهية والجذب وترك كرسى الدرس ولقاء الطلبة؛ يقول:

قد كان بيدي على الدوام مُصحف، وفي العشق أمسكتُ بقيشارة
قد كان في فمي ذِكْرٌ وتهليل وتسبيح، وفيه الآن شعراً وبيتان وترنيمة
يُروى عن «كرا خاتون» زوجة جلال الدين أنه كان - قبل مقدم
شمس الدين التبريزي إلى قونية - يظل الليالي منذ بدايتها حتى طلوع
الفجر قائماً تحت مصباح صُنِعَ بطول قامة الرَّجُل يقرأ كتاب «المعارف»
لأبيه بهاء الدين ولد^(١). وأنه كان يحلو له أن يقرأ ديوان أبي الطيّب
المتنبي^(٢)، ودواوين شعراء الفرس - والصوفية منهم بخاصة - كسنائي
الغزنوي وفريد الدين العطار.

لكن جلال الدين ما لبث أن ترك ذلك كله بعد أن التقى بشمس،
الذي حث صاحبه على أن يضرب صفحاً عن كل ما كان يهواه ويجد فيه
لذّة ومتعة، بل لم يسمح له - بخاصة - بقراءة كتاب «المعارف» وديوان
المتنبي^(٣)، فضلاً عن أنه لم يكن يسمح له بلقاء أحد. وكان يجلس
بمدخل المدرسة - التي كان يُلقِي فيها جلال الدين دروسه - ويقول لمن
يرغب في رؤيته: بأيّ شيء جئت له به حتى آخذه منك وأقدّمه له؟ وذات

(١) مناقب العارفين ١: ١١٩ - ١٢٠. وقد طُبِعَ كتاب المعارف في طهران في جزئين بتصحيح الأستاذ
بديع الزّمان فروزانفر.
(٢) نفس المرجع ٢: ٦٢٣.
(٣) أيضًا.

يوم غضب منه رجل يطلب مقابلة جلال الدين فسأله شمس هذا السؤال نفسه، فقال له الرجل: وما الذي جئت به أنت...؟ قال: «جئت بنفسي، وجعلت رأسي فداء له»^(١).

كان شمس يستفزّ تلامذة جلال الدين ومريديه بأقواله، ويستثيرهم بطبعه الحادّ؛ فقد تجمع الصوفية ذات يوم في إحدى الخانقاهات^(٢)، وأخذ بعضهم يروي حديثاً عن السابقين، وبعضهم الآخر يلهج بكرامات أحد العارفين، بينما أخذ شمس ينتقل من ركن إلى ركن لا يقر له قرار، ثم صاح بهم: «إلى متى تتباهون بقولكم: حدّثنا وحدّثنا؟ وتمرحون في ميدان الرجال وأنتم تمتطون سرّجاً بغير خيول، أما من أحد منكم ينطق بخبر فيه: حدّثني عن ربّي»^(٣).

لم يكن بوسع جلال الدين أن يفعل شيئاً حيال ما كانت تتصف به أعمال صاحبه وأقواله من حدّة ظاهرة وشدة بالغة لا تتناسب مع ما اعتاده المريدون من شيوخهم، ومن توهين لأتباعه ومريديه الذين ثاروا ثورة عارمة على شمس الدين، فأخذوا يشنّعون عليه ويتحرّشون به. يقول «سلطان ولد بن جلال الدين»: «عمدوا كلهم إلى التشنيع، أولئك المريدون الذين كانوا كالقطيع، فقالوا: لماذا أعرض عنا شيخنا (يعنون به جلال الدين) وأقبل على «شمس»؟ إنما نحن جميعاً معروفون بالأصل وعراقا المحتد، قد كنا في طلب الحق منذ الطفولة عبيداً صادقين لطريقة

(١) أيضاً، ٦٨٣.

(٢) خانقاه: مكان تجمع الصوفية للذكر.

(٣) مناقب العارفين، ٢: ٦٨٣.

الشيخ، وعشاقاً مُخلصين. قد رأينا منه من الكرامات ما لم يره أحد، وسمعنا من الحِكم ما لم يسمعه أحد، نحن كصقور الصيد؛ كم من فرائس صدناها ثم جعلناها نثاراً تحت قدميه، قد جعلنا شهرة الشيخ تُطبق الآفاق. أسعدنا أوليائه وقهرنا خصومه وأعداءه».

ثم يتحدثون عما فعل شمس الدين بشيخهم قائلين: «فماذا إذن يقول شمس هذا؟ يقول: إنه جعل شيخنا ينخدع به، فإن كنا قد حُرمتنا رؤية وجهه، فما ذلك إلا لأنه جعل شيخنا مفتوناً به. إن نَسبه مجهول، لا ندري أين وُلد، قد عمل عملاً حَرَم به الناس من مجالس وعظ الشيخ. صار طالعنا الميمون عثرًا بقدمه...».

يضيف سلطان ولد قائلاً: «وهكذا صاروا جميعاً متعطّشين لدماء شمس، فكانوا إذا رأوه أمسكوا سيوفهم. وكانوا يسبّونه سباً فاحشاً، ويرمونّه بالسّحر والدّجل ويتربّصون به قائلين: متى يغادر شمس قونية، أو متى يختطفه الموت»^(١).

وأحس شمس بهذا العداء الشديد، فأثر الابتعاد عن قونية، وذات يوم غاب ولم يُعثَر له على أثر. وقد أملى جلال الدين على أحد تلامذته هذا البيان الذي يسجّل غيبة شمس الدين: «سافر المولى الأعزّ الداعي إلى الخير، خلاصة الأرواح، سرُّ المشكاة والزّجاجة والمصباح»^(٢)، شمس الحق والدين، مُخفي نور الله في الأولين والآخرين، أطال الله

(١) سلطان ولد: ابتدائه، تحقيق الأستاذ جلال همائي، طهران، ١٣١٥هـ. ش، ص ٤٠-٤٣.

(٢) إشارة إلى ما جاء عن النور الإلهي في سورة النور، آية ٣٥ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا يَضَاءُ الْيَصَابُحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الآية.

عمره ولقانا بخيرٍ لقاءه، يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر شوال سنة ثلاث وأربعين وستمائة»^(١).

وهكذا مكث شمس في قونية نحو ستة عشرة شهراً قبل أن يغادرها هارباً من عدااء تلاميذ جلال الدين وتشنيعهم عليه.

عودة شمس إلى قونية

على أن رحيل شمس الدين التبريزي ومغادرته قونية لم يأت بالنتيجة التي كان يتوقعها تلامذة جلال الدين وحواريُّوه ممن ناصبوا شمس الدين الخصومة والعداء، فلم يرجع جلال الدين إلى ما كان عليه قبل مقدم شمس بل زاد على ذلك أنه شاح بوجهه عن كل من أصاب شمس بأذى أو كان سبباً في رحيله.

وأخذ جلال الدين وهو في قونية يتسمع أخبار شمس كي يعرف أين ذهب. ولم تمض مدة طويلة حتى تلقى من شمس رسالة تبين منها أنه مقيم بالشام، فأرسل إليه جلال الدين أربع رسائل - أو أربع قصائد^(٢) - مع ابنه سلطان ولد، وأمر عشرين من تلاميذه وأتباعه بمرافقته.

ويقال إن جلال نظم عدة قصائد في فترة ترقب عودة شمس الدين إلى قونية، ومن بين تلك القصائد قصيدتان وردت ترجمتهما في هذا

(١) مناقب العارفين ٢: ٦٢٩ - ٦٣٠.

(٢) وردت هذه القصائد كلها في ديوان شمس تبريز، وقد نقلها الأفلاكي في «مناقب العارفين» ٢: ٧٠١ -

٧٠٢.

الجزء، وهما الرقيمتان ٣٨، ٨٢.

واستطاع «سلطان ولد» إقناع «شمس الدين» بالعودة، فغادر الركبُ الشَّامَ متَّجِّهًا إلى قونية، فلما اقتربوا منها طلب «سلطان ولد» من أحد المرافقين الإسراع لكي يزفَّ البشرى لجلال الدين، فخلع عمامته وجبَّته على البشير، وخفَّ الناس على اختلاف طبقاتهم، يتقدمهم جلال الدين، لاستقبال شمس. وكان ذلك في المحرم من سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م.

شمس الدين الشهيد

وبعد عودة شمس الدين، جاء من كانوا على خلاف معه وأعربوا عن أسفهم وقدموا إليه العذر، فشملمهم جميعًا بعفوه، وعقدت مجالس السماع التي يُنشد فيها المنشدون الأناشيد التي تثير الشوق والوجد في نفوس الحاضرين، كما أقيمت المآدب كل يوم على شرف جلال الدين وشمس الدين. ولكن لم يمض وقت طويل حتى بدأت حملة جديدة من العداء ضد شمس كانت أشد ضراوة من الأولى. فأخذ الرجل يشكو إلى سلطان ولد قائلاً: «ألا ترى ما فعلوه، أيريدون إبعادي عن مولانا (يعني جلال الدين) ثم يجلسون بعد ذلك فرحين سعداء؟ سوف أرحل هذه المرة فلا يعرف أحد أين أكون، سوف تمرُّ سنوات لن يجد فيها أحد لي أثرًا، سأختفي وتمرُّ أوقات وأزمان حتى يُقال: إن أحد الأعداء قد قتله». وظل شمس يكرّر هذه الأقوال حتى اختفى فجأة ذات يوم.

ولما جاء جلال الدين إلى المدرسة في صباح اليوم الذي اختفى فيه

شمس الدين ولم يجده سارع إلى ابنه «سلطان ولد» وأمره بأن ينهض لتوّه ويجدّ في البحث عن شيخه وصاحبه.

وقد تعددت الروايات في مسألة غياب شمس الدين، ولكنها تُجمع على أنه قُتل ولم يُعثر على جثمانه، بعد أن تمكن القتلة من إخفاء الجثمان بعيداً عن الأنظار للإيهام بأن الرجل قد رحل عن قونية كما فعل من قبل.

ويورد «الأفلاكي» رواية عن زوجة «سلطان ولد» تقول فيها إن شمس الدين بعد أن قُتل شهيداً أُلقيت جُثته في بئر. وبعد بضع ليال رآه «سلطان ولد» فيما يرى النائم وهو يقول: «إنني نائم في المكان الفلاني»، فجمع سلطان ولد جماعة من أقرب الناس إليه، وأخرجوا جثمان شمس من البئر، ثم واروه التراب في ركن من أركان فناء المدرسة التي كان جلال الدين يُلقي دروسه بها. كل ذلك دون أن يعلم جلال الدين بشيء مما حدث. وظل على قناعته بأن صاحبه قد رحل للمرة الثانية.

ويحدد الأفلاكي تاريخ مقتل شمس الدين بيوم الخميس الخامس من شعبان سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م.

ونستطيع أن نتبين من الروايات التي ذكرها كل من «سلطان ولد» و «الأفلاكي» أن جلال الدين ظل مدة طويلة موقناً بأن «شمس الدين» قد رحل مرة أخرى إلى الشام، ولم يصدق الشائعات التي جرت على الألسنة بأن شمساً قد مات:

من قال إن الحيّ الخالد قد مات،

من قال إن شمس الأمل قد قضت

اعتلى عدو الشمس السقف

وأغمض عينيه قائلاً: الشمسُ انطفأت (١)

كان جلال الدين يزود بالمال كل من كان يوالي البحث عن شمس الدين، وقد روى الأفلاكي أن رجلاً جاء إلى جلال الدين وأخبره أنه رأى شمس الدين، فخلع جلال الدين عباءته ورداءه وعمامته على الرجل، فقبل له: إن الرجل يكذب، فلماذا خلعت عليه ذلك كله؟ فأجاب: «أعطيته هذا القدر مقابل كذبه، ولو صدق لكنت قد أعطيته روعي».

ثم تحرك جلال الدين بنفسه هذه المرة متوجهاً إلى الشام للبحث عن شمس الدين واصطحب معه جماعة من تلاميذه، وبقي هناك بضعة أشهر لم يذق فيها طعم الراحة، وكان الناس في الشام يعجبون لأمره ويقولون: «من هو شمس الدين هذا الذي يسعى هذا الرجل الفرد كل السعي بحثاً عنه» (٢).

وما إن عاد جلال الدين إلى قونية حتى أمر أصحابه بالارتحال من جديد إلى الشام للبحث عن شمس، ثم عاد من سفرته الثانية هذه وقد هدأ خاطره.

بيد أن نفسه ما لبثت أن نازعته للسفر مرة ثالثة إلى الشام، كما يقول هو في الديوان:

(١) ديوان شمس تبريز، ص ١٣٨٤.

(٢) ابتدائه، ص ٥٧ - ٦٠.

نحن عُشَّاقُ رَوْسِنَا تَدُورَ وَلَعَّا بدمشق
قد وهبنا الرُّوحَ وأوثقنا القلبَ حُبًّا لدمشق
من الرُّومِ نسعى دفعةً ثالثة صوب الشام
من طُرَّةٍ فاحمة كالليل، نحن طَوْعٌ لدمشق
لو أن سيدنا شمس الحق التبريزي هناك
فنحن إذن عبيد لدمشق، وأي عبيد نحن لدمشق^(١)

غير أن زيارة جلال الدين لدمشق للمرة الثالثة لم تتم، ويبدو أنه كان قد بدأ يُسَلِّم منذ ذلك الحين بأن شمس الدين قد مات.

وحين واتت الجرأة أصحابه المقربين على سرد واقعة مقتل شمس الدين أمامه سال دمعه وجرت في لفظه عبارات: القتل، والبئر، والدماء، وقساة القلوب... إلخ، ثم إنه جلس لتقبل العزاء في الفقيد^(٢).

مَنْ مِنْهُمَا كَانَ الشَّيْخَ وَمَنْ كَانَ المَرِيدَ؟

سنحاول الآن أن نتبين نوع العلاقة الروحية التي ربطت بين جلال الدين وشمس الدين، هل كانت علاقة بين تلميذ وأستاذه، أو بين مرید وشيخه؟

لقد بدا التحول الذي طرأ على جلال الدين بعد لقائه بشمس في نظر بعض الدارسين وكأنه نقلة دفعت جلال الدين من حوزة «علوم الشريعة»

(١) الديوان، ص ٥٧٢هـ.

(٢) الأفلاكي، ١: ٨٨. وقد حيكت حول شمس الدين الكثير من الحكايات والأساطير، ويعتقد المولوية أن «الباب الذي يطل على باحة مقبرة مولانا جلال الدين في قونية، ويُفتح جهة القبلة، سوف يفتح ذات يوم، ويدخل منه شمس. ومن ثم يتبين أن شمس الدين قد تحول إلى المهدي المنتظر عند المولوية»، (عبد الباقي گولبينارلي، مولانا جلال الدين، ص ١٦٨).

التي أتقنها وبرع فيها إلى مجال جديد عليه تمامًا لم يكن يدري عنه شيئاً، وهو «علوم الحقيقة» التي تلقى دروسها الأولى على يد شمس الدين.

ولا شك أن هذا التفسير يتجاهل كل الحقائق المعروفة من حياة جلال الدين الذي تربى في بيئة تحفل بالحياة الروحية، واستطاع بعد أن أتمّ تعليمه وانتهى من رحلته لطلب العلم ببلاد الشام أن يجمع في نفسه بين شخصية العالم الفقيه وشخصية الشيخ الصوفي - كما أشرنا سلفاً - والتفّ حوله طلاب العلوم الدينية كما تبعه المريدون من أصحاب الطريق الصوفي، فلا يصحُّ إذن أن يُقال إن جلال الدين ما تعرّف على التصوّف ولا استشرّف بهجة الحياة الروحية إلا بعد أن التقى بشمس الدين التبريزي.

فما طبيعة العلاقة التي ربطت بين هذين القطبين؟ إن الإجابة عن هذا السؤال إنما ترتبط بالمبدأ الأصيل الذي وقف جلال الدين الرومي جهده على بيانه وإعلانه، وهو العشق، الذي يجتمع فيه الشيخ والمريد سواء بسواء ويصباحان رجلاً واحداً بعد أن سلكا طريقاً واحداً واتجها معاً نحو غاية واحدة، فيصبح الشيخ مريداً والمريد شيخاً، أو يُصبحان شخصاً واحداً بعد أن توحدت فيهما الإرادة والغاية.

وقد عبّر شمس الدين التبريزي في كتابه «المقالات» عن هذا المعنى نفسه حين عدّ جلال الدين شيخاً له، وصرّح بأنه حصّل منه من الفوائد ما لم يحصل من شيوخه الأقدمين^(١).

(١) راجع ما سبق، ص ١٣، ويقول شمس الدين في «المقالات»: «وأنا نفسي مذ خرجت من بلدي لم أر شيخاً. ومولانا (يعني جلال الدين) هو من ينبغي اتخاذه شيخاً» (كتاب المقالات، نسخة قونية، نقلاً عن كوليبارلي، ص ١٧٥).

وقد عبّر جلال الدين - في قصائده التي بين أيدينا - عن هذه الوحدة التي تجمع بين أحبّاء الحق تعالى شيوخيًا كانوا أو مرّيين، سواسية لا فرق بينهم، انظر مثلاً القصيدة رقم ٢٠، والتي مطلعها:

بشَفَتِهِ ما أحلى الكلامَ والسماعَ وما جرى
سَيِّمًا حينَ يَفْتَحُ البابَ ويهتف: سيدي هلمّ، أقبَلْ علينا
ويقول فيها:

فاعلمْ علمَ اليقينِ أن نُقِبَ إبْرَةَ الهوسِ بالغُ الضِّيقِ
لا يسمحُ بُولُوجِ الحَيْطِ حينَ يَبْدُو مُزْدَوَجًا.
وقوله في قصيدة أخرى (رقم ٦٩) عن شمس الدين التبريزي:
من جِهَةِ تبريزِ أضاءت شمسُ الحقِّ، فهتفتُ بها:
«نوركُ بالكلِّ متصلٌ، ومنفصلٌ أيضًا».
ويقول جلال الدين في «المثنوي»:

جاء رجل وطرق باب رفيق
قال له الرفيق: من أنت يا مُعتمد
قال: أنا، قال: اذهب، ليس الآن
لا مكان لمن لم ينضج على مثل هذا الخوان
ذهب المسكين وأمضى سنة في سفر
احترق لفراق صاحبه بالنار والشرر
نضج ذلك المحترق ثم عاد

وطاف من جديد بيت الرفيق

صاح رفيقُه: مَنْ بالبَاب؟

قال: «على الباب أنت أيها الحبيب»

قال: أنت الآن مثلي، فتعال الآن وادخل

فلا موضع لاثنين بقصر واحد

وكان جلال الدين، بعد أن طالت غيبة شمس الدين في المرة الثانية ولم يُعثر له على أثر قد رأى في أحد تلاميذه المقربين - وهو صلاح الدين زركوب - صورةً لشمس، فأقبل على صلاح الدين بمثل ما كان يُقبل على شمس، ونعم بصحبته مُدَّة حتى توفي صلاح الدين في سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م. ثم إن جلال الدين اختار صاحبًا آخر هو «حسام الدين جلبي» رأى فيه البديل الصالح لشمس الدين، فظل بذلك مصدر الإلهام والمحبة يتجدد في قلب جلال الدين، ومثلما ألهمه شمس الدين أغلب قصائده في ديوان «شمس تبريز» ألهمه كلُّ من صلاح الدين وحسام الدين ديوانه الآخر: «المثنوي».

لقد ذكر جلال الدين أصحابه الثلاثة في بعض قصائده «ديوان شمس تبريز، ووصفهم بأنهم روح واحدة وإن تعددت أشخاصهم واختلفت أبدانهم، وأنهم مثل جمال واحد ظهر في مرايا عدَّة.

ومهما يكن من أمر، فإن شمس تبريز قد أطلع جلال الدين على جانب من مباحج الحياة الروحية لم يكن يدري عنه شيئًا، ولم يتركه شمس إلا بعد أن اطمأن إلى أنه يمضي وحده قُدَمًا في الطريق الصحيح

الذي يسير هو نفسه فيه والذي يسير عليه الأولياء والعرفاء في موكب واحد في الطريق البين اللاجِبِ إلى الحق تعالى.

وجاءت غيبة شمس الثانية في وقت كانت طريقة جلال الدين قد تحدّدت معالمها واستبانَت ملامحها؛ فقد انفتح أمامه باب عالم آخر من المعرفة والدُّوق، وتفجّرت في نفسه ينابيع الشعر الذي وجدّه أصلح وسيلة لتعبير الإنسان عن حبه لله تعالى، وأقرب طريق لدعوة الناس إلى هذا الحب.

يقول سلطان ولد في «ولد نامه»، عن تغرُّر حال أبيه جلال الدين وتحوّله إلى قول الشعر بعد لقاء شمس الدين:

صار الشَّيخ المُفتي بسبب العشق شاعرًا،

بعد أن كان زاهدًا صار حَمَمًا

لا بخمرٍ يخرج من عنبٍ وكرمٍ،

فالروح النُّورانية لا تُسقى إلا بخمر النُّور

الإنتاج الأدبي لجلال الدين

لم يُعرف لجلال الدين الرومي أي إنتاج أدبي قبل لقائه بشمس الدين التبريزي؛ كان جلال الدين قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره عندما التقى بشمس، ومنذ ذلك الحين تفجّر يُنبوع الشعر في نفسه وتدفق على لسانه فأخرج اثنين من أهم الآثار الخالدة، لا في الشعر الفارسي فحسب بل في

الآداب العالمية كلها، وهما:

١ - ديوان شمس تبريز، أو الديوان الكبير، وسنخّصه بشيء من التفصيل فيما بعد.

٢ - المثنوي، في ستة أجزاء^(١)، وقد نظمه جلال الدين الرومي في ضرب من ضروب الشعر الفارسي يُطلق عليه نفس الاسم: مثنوي، وفيه تكون القافية واحدة بين شطري البيت الواحد وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات، وجعله جلال الدين على وزن الرَّمَل. وقد نال المثنوي شهرة كبيرة في الآداب العالمية، فضلاً عما يتمتع به من قداسة بين المسلمين، لاشتماله على خلاصة الفكر الإسلامي - كما يراه جلال الدين - في مسائل الشَّرْع والفقه، والقضايا الكلامية والفلسفية، والآداب والرسوم الأخلاقية والاجتماعية، وعقائد الصوفية وتجاربهم، واستغرق نظم المثنوي بأجزائه الستة نحو عشر سنوات (٦٦٢ - ٦٧٢ هـ / ١٢٦٣ - ١٢٧٣ م).

أما أعمال جلال الدين النثرية، فهي:

١ - كتاب فيه ما فيه: ويشتمل على تقارير قام بتسجيلها «سلطان ولد» بمساعدة أحد مريدي جلال الدين، وتأتي هذه التقارير تارة كإجابة عن سؤال وتارة كخطاب لشخص معين. ويمكن الاستعانة بها في فهم بعض أشعار جلال الدين وبخاصة المثنوي.

٢ - مكاتيب، وهي ما بقي من رسائل لجلال الدين أرسلها إلى بعض

(١) ترجم المرحوم الدكتور محمد عبد السلام كفاي الجزءين الأولين من المثنوي إلى اللغة العربية وأكمل ترجمة بقية الأجزاء الستة المرحوم الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا.

أصحابه ومريديه.

٣- مجالس سبعة: وهي خطب جلال الدين التي خطبها على المنبر.

ديوان شمس تبريز

المقصود بديوان شمس تبريز مجموعة الأشعار التي نظمها جلال الدين الرومي تخليدًا لذكرى صاحبه شمس الدين التبريزي، وقد صرح جلال الدين في أغلب قصائد الديوان باسم شمس الدين وأشاد به وعده «الإنسان الكامل»، قد تجلت فيه أسمى مظاهر الإنسانية، فهو سلطان دولة العشق، وأمير قافلة الحب الإلهي في عصره.

يشتمل الديوان على اثنين وأربعين ألف بيت من الشعر (٤٢٠٠٠)، ضمّتها ثلاث آلاف وخمسمائة واثنين وحدة (٣٥٠٢) ما بين غزليات وقصائد ومقطّعات وترجيعات، وقد أضيفت إلى الديوان في طبعته الأخيرة (التي توفّر على تحقيقها الأستاذ بدیع الزّمان فروزانفر، وصدرت عن دار «أمير كبير» للنشر في طهران سنة ١٣٣٦ هـ. ش / ١٩٥٧م) أضيفت مجموعة الرباعيات التي تبلغ ألفًا وتسعمائة وخمسة وتسعين رباعية (١٩٩٥).

وهذا يعني أن كلّ ما نظمه جلال الدين من ضروب الشعر غير ضرب المشوي، كالغزل والقصيدة والرباعي وغيرها، قد ضمّها هذا الديوان الذي أطلق عليه في طبعته الأخيرة التي أشرنا إليها اسم «كليات ديوان شمس تبريزي»، واشتمل على ألف وخمسمائة وسبعين صفحة

(١٥٧٠) من القطع الكبير، ضمت كل الأشعار التي نظمها جلال الدين خارج كتابه «المثنوي» في أنواع الشعر التي ذكرناها - أعني الغزل والقصيدة وغيرهما - في الفترة من سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م تاريخ لقائه بشمس التبريزي وحتى سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م، وهي السنة التي تُوفي فيها جلال الدين.

والأشعار التي قيلت في شمس أنشئ جانب منها في حياته والجانب الآخر بعد مقتله.

الشعر في الديوان

وقد أدرجت القصائد والمقطّعات التي نظمها الشاعر بالفارسية، وكذلك التي نظمها بالعربية، ضمن الغزليات. وشكّلت القسم الأعظم من الكليّات (٣٣٠٦٥ وحدة)، وبلغ عدد ما نظمه الشاعر في ضرب الغزل وحده ثلاث آلاف ومائتين وتسعاً وعشرين غزلية.

والغزل في الأدب الفارسي ضرب مستقل من ضروب الشعر يختلف عن القصيدة التي تشبه في شكلها وموضوعها القصيدة العربية، لكنّ الغزل عبارة عن منظومة قصيرة قائمة بذاتها تتكون من خمسة أبيات إلى خمسة عشر بيتاً، وقد تزيد على ذلك في بعض الأحيان حتى وصل بعض شعراء الفرس - ومن بينهم جلال الدين الرومي - بعدد أبيات بعضها إلى ثلاثين بيتاً. وينتهي الغزل عادة بأن يذكر الشاعر لقبه الشعري، أو ما يُسمى في الفارسية بـ «التَّخْلُص».

أما موضوع الغزل في الأدب الفارسي فهو العشق، والحبّ الذي يسمو بروح الإنسان ويحرّك أشواقه للحبيب. ومن أجل ذلك تتسم الألفاظ في الغزل بالعدوبة والرقّة والبعد عن الألفاظ النابية والعبارات الواهية، ويبنى الغزل على الأوزان الشعرية التي تحلو موسيقاها إلى الأسماع وتألّفها القلوب والطّباع، وترتاح النفوس إلى ما فيها من نغمات ونبرات وتنفعل بما في وقعها من أصوات وأثّات.

ولا يُشترط في الغزل أن يعالج موضوعاً واحداً، وإنما الشاعر فيه على سجيّته، يعبر عن تجربته الشعرية بصورة فنية دون قيد موضوعي؛ ولذلك حُبّب نظم الغزل إلى كبار شعراء الفرس، كحافظ الشيرازي، وسعدي الشيرازي وفريد الدين العطار، مثلما حُبب نظم هذا الضرب من ضروب الشعر إلى جلال الدين الرومي.

فالشاعر الصوفي يعيش في جوّ طليق رَفّاف يعبر بالشعر عن تجربته وإن بدا مثل «درويش» يبعثر الكلمات والإيماءات والإشارات دون أن تكون بينها رابطة ظاهرة تربط بينها، وإنما يربطها في الباطن يقين هذا الدرويش بأن الأشياء «من الذرّة إلى المجرّة» مهما تبعثرت وتناثرت فإنما تربطها وحدة واحدة وتمضي نحو غاية واحدة، وتترأى هذه الرابطة كأنها حقيقة محتجبة وراء أبيات الغزل.

ومع ذلك فإننا إذا قارنا بين الغزل عند جلال الدين الرومي والغزل عند سعدي الشيرازي والعطار، مثلاً، نشعر بمزيد من الوحدة والترابط الظاهر بين الأبيات، وربما كان ذلك يرجع إلى مفهوم جلال الدين لدور الشعر باعتباره تجربة - وإن كانت تشتمل على عناصر عديدة لغويّة

وموسيقية وتصويرية- تمثل وحدة تشي بطبيعة هذه التجربة. وسوف نلاحظ أن هذه المجموعة المترجمة من الغزليات (أو ما سمّيته قصائد) إنما هي نماذج باهرة ومعبرة تسجّل لحظات من حياة الشاعر وتجاربه الروحية.

موضوع الديوان

عاش جلال الدين الرومي في القرن السابع الهجري (الثالث الميلادي) في وقت كانت الثقافة الإسلامية فيه قد أخذت تتجه اتجاهاً عقلياً محضاً تحت تأثير الفلسفة الإغريقية، وتبتعد عن الروح كمصدر للهداية الإنسانية، بينما أخذ التصوف -من ناحية أخرى- يدعو الناس إلى الاستسلام والخنوع، وإلى ترك الدنيا والعزلة عن الناس.

فقام جلال الدين يدعو الناس من جديد إلى العشق، وإلى طرح الفلسفة جانباً، وإلى الاندماج في حياة عقلية وجدانية كاملة، وكشف عن الأخطاء الفلسفية والكلامية، وبين أن المعارف العقلية ليست كاملة بل لا بد لها من العشق، وإلا أصبحت عرضة للفتنة والوقوف في منتصف الطريق والاكتماء بالعالم عن خالقه وبالعقل عن الوحي؛ إنما لا بُدّ للمعرفة والعلم من الإيمان الذي حدّدت النبوة سبيله وأوضحت معالمه.

فمن أجل ذلك كان هدف جلال الدين أن يُخرج الحياة الإنسانية مما أصابها من جمود الوجدان وموت القلب وفقدان الحس الروحي وتدهور القوى المعنوية بسبب الاستغراق في المادة والابتعاد عن مباحج

الحياة الروحية، وكان يدرك أن هذا الهدف لن يتحقق - كما يقول هو في
المثنوي - إلا بتبديل المزاج: «يُشترط تبديل المزاج، واعلم أن المزاج
السيئ موت زُوَام»، لكن هذا التَّبديل لا يتم إلا على أيدي الأطباء
الربّانيين ورجال الحق؛ الذين اختصهم الحق - تعالى - بخصائص
يبدّلون بها السيئة حسنة، والمرارة حلاوة، والجذب نماءً واخضراراً.

ولا بُدَّ من حُداء متواصل يصدر من قلب صادق، وطَرَقٍ مُستمر على
أبواب القلوب حتى تنفتح مغاليقها، ويصقّل صدوّها، فتصبح كالمرآة
الصافية، قابلة لانعكاس البروق والفيوضات الإلهية عليها، فتنتعش
بالحب وتحيا بالأمل.

ويبدو جلال الدين - من خلال الديوان بخاصة - وكأنه قد نحا نحوًا
جديدًا في تاريخ التجربة الروحية حين جعل العشق قُطبَ الرّحى ومركز
الدّائرة في حياة الإنسان وعلاقته بالحق تعالى من ناحية، وبالعالم من
ناحية أخرى.

لقد بُني التصوّف منذ بدايته في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن
الميلادي على الزُّهد، ورفع شعار «الخوف من الجليل» كواحد من أهمّ
شعاراته، وكان أهمّ من حرص على التذكير بقيمة هذا الشّعار حُجّة
الإسلام «أبو حامد محمد الغزالي» (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، ومن يقرأ
كتابه «إحياء علوم الدين» تملكه الرّهبة وتستبدّ به مشاعر الخوف من
الحق تعالى، ويسيطر عليه الإحساس بالعجز والتّسليم المطلق أمام
القادر الجليل.

ويعترف جلال الدين الرومي بالتأثير الإيجابي للزهد والخوف في

النفس الإنسانية، لكنه يُعلي من قيمة المحبة، ويجعلها مهيمنة على ما عداها؛ لأن العلاقة بين الإنسان والحق تعالى قائمة على حب وود، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].. ومن ثم كانت المحبة هي المقدّمة على ما عداها، وهي العلاج لكل العلل، والوسيلة المثلى للوصول إلى المقصود.

ويتردد هذا المعنى كثيرًا في المثنوي، ولكن الديوان يكاد يكون وقفًا على بيان خصائص المحبة وآثارها، فموضوعه الأساسي - كما سيرد فيما يلي - هو «الحب الإلهي» وما يعتري نفس المُحب من مشاعر الشوق واللهفة والألم والأمل، وهي تسعى حثيثًا إلى أن تحظى ببارقة تنبئ بلحظات الأُنس والقرب الخاطفة التي قد تأتي وقد لا تأتي.

وتلقى هذه المحبة قبولًا وترحيبًا من الحق -تعالى- تتجلى في رحمته بالعاشق وإقباله عليه ورأفته به وتأثره -جل وعلا- بحرقه الدّعاء والابتهاال الصادر من قلبه، ومظاهر هذه الاستجابة كثيرة متعددة في هذه المختارات من أشعار الديوان.

فالديوان دعوة إلى العشق، وإلى الاندماج في موكب الحبّ الذي يقود الإنسان فيه الكون كلّهُ إلى التوجّه إلى خالقه وإلى الإخلاص له وابتغاء وجهه وتحقيق الوصال به، ومن ثمّ يبدو العشق عند جلال الدين وكأنه القوّة المحرّكة للكون كله، تسري في أجزاء الوجود بأسره.

ومن أهم المحاور وأكثرها دَوْرًا في غزليات الديوان موضوع: الوطن الأصلي للإنسان، فالإنسان ليس ابن هذه الأرض، إنما هو ينتمي إلى أصل علوي لا بد أن يشعر بالشوق إلى العودة إليه. وإدراك الإنسان

لُنْبِلْ عَنصره واستعداده الروحاني الهائل أمر مهم ولازم لأنه يمثل الشرارة الأولى لانطلاق السالك يدفعه الشوق وإخلاص القصد إلى السير في طريق الحق، والطريق محفوف بالمخاطر مليء بالعقبات، لكن هذا الإدراك كفيل بتذليل العقبات وتيسير الصعاب، فضلاً عن أنه يجعل الإنسان جديراً بنيل العون من الحق -تعالى- على المضيّ قُدماً في الطريق.

والإنسان حرٌّ مُخَيَّرٌ، قد اجتاز المراحل من حدّ التراب إلى الإنسانية، مرحلة في إثر مرحلة، والموت ليس إلا لحظة خاطفة ينتقل بها الإنسان إلى مرحلة أُسمى من هذه الحياة الدنيا.

يقول جلال الدين:

«من حدّ التراب إلى البشرية آلاف من المنازل عديدة، دَفَعْتُ بَكَ من مرحلة إلى مرحلة، ولن أدعَكَ بأول الطريق أو أتخلّي»^(١).

كما يقول في «المثنوي» متحدّثاً باسم «الإنسان»:

«عِشْتُ تحت الثرى في عوالم من تَبْرٍ وحَجْرٍ،

ثم ابتسمتُ في ثغور زهراءٍ عديدة الألوان.

ثم جُبْتُ مع الوحش والحيوان المتنقّل فوق ظهر البسيطة، وعلى متن الهواء وفي مناطق المحيط.

وفي ميلادٍ جديد غطستُ في الماء وحلّقتُ في الهواء، وحبوتُ على بطني وعدوتُ على قدمي، وتشكّل سرٌّ وجودي كلّ في صورة أظهرت

(١) القصيدة رقم ٥٠، ص ١٧١ فيما يلي.

كل ذلك للعيان، فإذا أنا إنسان.

ثم أصبح هدفي أن أكون في صورة ملاك في ملكوت وراء السحاب، وراء السماء، حيث لا يمكن لأحد أن يتبدّل أو يموت، ثم أعدو بعيداً، وراء حدود الليل والنهار والحياة والموت... إلخ»^(١).

كل هذه المعاني وغيرها تجد نماذج منها في هذه المختارات، وهي تبين عن مدى ما يضطرم به قلب العاشق من شوق وإقدام؛ مما يعطي الشعر حركة وانفعالاً وقدرة لا نظير لها على التأثير والأخذ بمجامع القلوب، وعلى إشاعة روح التفاؤل والاستبشار في النفوس.

وتتميز أشعار الديوان بموسيقاها الجميلة، التي تُعبّر عن مدى حبّ جلال الدين للموسيقى، بل وبراعته التي كان يشتهر بها - كما يقولون - في الضرب على بعض آلاتها كالرّبابة.

ويرجع حبّ جلال الدين للموسيقى إلى ما ذكره هو في «المثنوي»^(٢) من أن آدم - عليه السلام - قد سمع الموسيقى والألحان في الجنة وتأثر بها فعلق حبّها بقلب ذرّيته، فأصبحت هذه الأنغام العذبة والألحان الجميلة تذكّر الإنسان بالجنة وتثير عنده الحنين إلى العودة إلى أصله السماوي.

وقد انعكس حبّ جلال الدين للموسيقى في الديوان - بخاصّة، حيث استخدم خمساً وخمسين بحرًا مختلفًا من بحور الشعر، وهو تنوع في الموسيقى لم يُنحَ لشاعر آخر سواه، «بل إن الأوزان المهملة التي

(١) من ترجمة Thadani للمثنوي، نقلًا عن كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام، لمحمد إقبال،

الترجمة العربية لعباس محمود، طبع دار الهداية، مصر، سنة ٢٠٠٠م، ص ٢٢٠.

(٢) انظر قصة إبراهيم بن أدهم، الجزء الرابع من المثنوي.

كانت موجودة في شعر القدماء ثم أُهملت... استطاع الشاعر أن ينظم فيها جميعاً حتى أصبحت تنافس الأوزان المألوفة في رقّتها وعذوبتها. وقد جاء هذا التوسع في الأوزان عند الشاعر كنتيجة طبيعية لحبه للموسيقى وشغفه بها^(١).

كذلك استخدم جلال الدين «الموسيقى الجانبية»^(٢) كالقافية والرّديف^(٣)، وما في حكمهما من قبيل التكرار والترجيع. أما «الموسيقى الداخلية» فقلّما تخلو منها غزلية من الغزليات، وهي تتجلى في التناسب الذي يقع بين مقاطع الشّطر الواحد، وفي تقفيتها؛ للتعبير عن مشاعر الشوق واللهفة المتدافعة المتلاحقة التي تدفع بالقلب دفعا خارج العالم المادي، ليمضي قُدماً ببهجة الموسيقى ونشوتها وما يصاحبها من انفعالٍ وثابٍ خارج حدود الزمان والمكان.

والشاعر يستخدم «الرمز» والإيحاء ويوظّف الطبيعة وما فيها من مظاهر الجمال والجلال في تعميق المعنى وإضفاء أبعاد جديدة عليه، واستدراج الذّهن لنقله من المادّي إلى المعنوي، ومن السّكون إلى الحركة والحياة.

وهو يتخذ من الزّهور البهيجة رموزاً مُلفتة، فالترّجس رمز للعين، والترّجس المخمور رمز لعين الإنسان التي ثملت بخمر المعرفة الإلهية فأعرضت عن ما سوى الحقّ - تعالي، لكن هذا الإعراض ليس كاملاً

(١) بدیع الزمان فروزانفر، شعر مولوي، مقال نشر في «يا دنامه مولوي»، ص ٢٥٢.

(٢) انظر محمد رضا شفيعي كدکني، «گزیده غزلیات شمس»، طبع طهران، ١٣٨١هـ. ش (٢٠٠٢م)، المقدمة، ص بیست و سه (٢٣)، وما بعدها.

(٣) الرديف في الفارسية كلمة أو أكثر تلي القافية الأصلية وتكرر في كل الشطرات أو الأبيات.

لكي يشهد السالك- إن لم يتيسر له وهو في هذا الحال معاينة بروق
الوصال -جانبا من صفات الحق وقد انعكست على مظاهر الكون
أمامه، ومن ثمّ بدت هذه العين كالترجسة حين تُغمض عينها نصف
إغماضة.

والسّوسن رمز للسّكون والصّمت وإن كان ذا لسان، فهو من هذه
النّاحية يشبه الشّاعر نفسه حين يلتزم السّكون والصّمت لأنه لا يقدر
بأدواته البشرية المتاحة أمامه من لغة وبيان أن يعبر تعبيراً صحيحاً عن
التجربة. والبنفسج رمز لمن يضع رأسه في جيب رداءه حزناً وفرقاً.

فهذه الزهور تشبه الإنسان وتعبر عنه في مختلف أحواله ومشاعره.

ولما كان الشاعر يخاطب صاحبه وشيخه الجليل «شمس الدين»
الذي رأى فيه «الإنسان الكامل» - كما أسلفنا- ويخاطب أحياناً الحق
تعالى، فقد استخدم الشاعر من الألفاظ والتراكيب والأوزان والقوافي
والموسيقى عناصر بالغة العظمة والرّوعة لبناء صوره وبيان معانيه
وأخيلته. وضمّن أشعاره شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف
والسيرة النبوية وقصص الأنبياء والزهاد والصوفية وغيرهم. فبدت كلُّ
غزلية من الغزليات وكأنها أنشودة واحدة، أنشودة العشق والمحبة،
وهو عشق يسمو بالإنسان مُحلّقاً به خارج إطار الزمان والمكان، عشقٌ
مقصده الحقّ تعالى، ومصدره الكون بأسره، والإنسان بأحاسيسه
ومشاعره.

هذه الترجمة

هي ترجمة منشورة لمائة غزليّة وغزليّة واحدة (١٠١) من ديوان شمس تبريز، نقلتها إلى العربية اعتماداً على المجموعة التي اختارها من الديوان الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني، الأستاذ الجامعي والشاعر الإيراني المرموق، ونشرها في طهران لأول مرة سنة ١٣٤٢هـ. ش / ١٩٦٣م، وقد طُبعت هذه المجموعة بضع طبعات اعتمدت منها على الطبعة الخامسة التي صدرت سنة ١٣٨١هـ. ش / ٢٠٠٢م.

وتشتمل مجموعة الدكتور كدكني على ٤٦٦ غزلاً، اختارها من بين ٣٢٢٩ غزلاً ضمّها الديوان الكبير، واستبعد من بعضها أبياتاً وجدها لا تنطبق انطباقاً كاملاً - في رأيه - «مع معايير علم الجمال أو النقد الأدبي أو ذوق عامة القراء»، فجاءت الغزليات الطويلة - والتي يبلغ عدد أبياتها ثلاثين بيتاً - في بضع عشرة بيتاً في مختاراته.

واشترط «كدكني» في الغزليات التي اختارها أن: تتميز من حيث الترابط العاطفي والمجال الشعوري بمزيد من التآلق والإبهار. وأن تتبلور فيها وحدة الموسيقى والنغمات، وأن تحظى - من ناحية اللغة والألفاظ الشعرية بمزيد من التناسق، وأن تكون معبرة عن الخصائص التي يتميز بها جلال الدين الرومي فيما يتصل بالتجديد في الشكل والقالب، وأن تتميز فيها طرائق التصوير بالإبداع والرّوعة. فما كان من غزليات الديوان قد استوفى بعض هذه الشروط جعلها ضمن مختاراته.

وحين أمعنتُ النَّظْرُ في «مختارات كدكني» وجدت أن بالإمكان الاكتفاء منها بترجمة نحو مائتين وخمسين غزلية، تشتمل في مجملها على الخصائص الفنية والمعنوية العامّة للديوان، فضلًا عن تميّزها بالسهولة والبعد عن الغموض والإغراق في المعاني الصوفية الدقيقة وقربها من ذوق القارئ العربي.

ويشتمل هذا الكتاب على ترجمة للمختارات المقفّاة في أصولها الفارسية بقافية الألف والباء والتاء وبعض الدال.

وكان الهدف الذي سعيْتُ إليه منذ الوهلة الأولى أن أقدم للقارئ العربي ترجمة تتسم بالدقّة الكاملة التي تلتزم النص ولا تحيد عنه، فعمدت إلى ترجمة هذه الأشعار ترجمة نثرية لا تتقيد بقيد من القيود الفنيّة، لكنني حاولت قدر الإمكان -في الوقت نفسه- الحفاظ على شيء من جمال الشعر وروائه فاستخدمت لغة الشعر وألفاظه، وأبقيت -في بعض الأحيان- على الموسيقى الداخلية للنصّ الفارسي، وعلى السجع والقافية، حتى يتأدّى المعنى إلى القارئ بأدوات الشعر ووسائله دون إخلال بالمعنى الذي أراده الشاعر.

وزوّدتُ التّرجمة ببعض الشُّروح في هوامش الصفحات، استعنت في جانب منها بما كتبه الدكتور كدكني من تعليقات وشروح لمختاراته، وبآراء عدد من كبار الأساتذة الإيرانيين الذي تخصصوا في دراسة أعمال جلال الدين الرومي كالأستاذ بديع الزّمان فروزانفر والأستاذ جلال الدين همائي وغيرهما. كما استعنت أيضًا بما تيسّر لي من فهم لهذه الأشعار -بعد طول معايشة- لأفكار الشاعر والفيلسوف الإسلامي محمد إقبال

(١٨٧٧ - ١٩٣٨ م)، والذي يعدّ أنجب تلامذة جلال الدين الرومي في العصر الحديث وأكثرهم تأثيرًا بأرائه وتجاربه وتعاليمه.

وكان المفترض أن يكون عنوان هذا الكتاب: «غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز» غير أنني رأيتُ درءًا للالتباس اختيار كلمة «مختارات» بدلًا من «غزليات مختارة»، لقُرب المصطلح من ذوق القارئ العربي، ومن ثمّ دلالتها على ما تتضمنه هذه الأشعار من معانٍ تُبعدها عن معنى «الغزل» في الأدب العربي.

والله من وراء القصد

محمد السيد جمال الدين

القاهرة: السابع والعشرين من رمضان سنة ١٤٢٥ هـ.

العاشر من نوفمبر سنة ٢٠٠٤ م.

قصائد سخرارة سن
ديوان شمس تبريز

الترجمة العربية

(١)*

أَيُّهَا الْبَعْتُ الْحَاطِفُ^(١)، يَا رَحْمَةً لَا تَنْتَهِي
يَا نَارًا نَشِبَتْ فِي غَايَةِ الْفِكْرِ

أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ بِاسْمِ الثَّغْرِ
غَدَوْتَ الْيَوْمَ مِفْتَاحَ السَّجْنِ^(٢)، جِئْتَ لِلشَّمَالِي هَبَّةً مِنَ اللَّهِ وَفَضْلًا

حَاجِبُ الشَّمْسِ أَنْتَ، أَهْلُ كُلِّ رَجَاءٍ أَنْتَ
أَنْتَ الْمَطْلَبُ، أَنْتَ الطَّالِبُ^(٣)، أَنْتَ الْمُتَهَيِّ وَالمُبْتَدَأُ

نَشَأْتَ فِي الصُّدُورِ أَنْتَ، فَارْذَانَتْ بِكَ الْفِكْرُ
أَرَدْتَ بِنَفْسِكَ حَاجَةً، فَيسَّرْتَ لِفِعْلِهَا السَّبِيلَ^(٤)

(*) مطلعها: اي رستخيز ناگهان، وي رحمت بي منتها اي آتشي افروخته در پيشه انديشه ها
(١) الخطاب هنا لشمس الدين التبريزي الذي أخذ بيد شاعرنا جلال الدين الرومي إلى حياة جديدة تشرق فيها شمس الروح، فتبتد بها معالم حياته السابقة ويُبعث بعثاً جديداً.
(٢) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «الدنيا سجن المؤمن...»، رواه مسلم في باب الزهد ١/ ٥٥، ويعني الشاعر أن مرشده شمس الدين التبريزي قد فتح له مغاليق هذه الدنيا.
(٣) أنت المطلب لأنك تعيننا على سلوك الطريق إلى الحق -تعالى، كما أنك طالب مثلنا ننشد الحق.
(٤) أي أنك تثير في القلوب الشعور بالحاجة وتعمل من ناحية أخرى على تحقيقها، يقول جلال الدين الرومي في ديوانه المثنوي:

الدعاء منك، وكذا الإجابة منك الأمن منك، وكذا الهيبة والخوف منك

أَنْتَ وَاهِبُ الرُّوحِ (١) بِلا بَدَلٍ
أَنْتَ لَذَّةُ العِلْمِ والعَمَلِ
وما بَقِيَ عَبَثٌ ودَعَلٌ (٢)
هو دَاءٌ وَسَقَمٌ، أَنْتَ دَوَاءٌ كُفِّ العِلْلُ

تَأَمَّلْ هَذَا السُّكْرَ، ودَعِ العَقْلَ (٣)
تَأَمَّلْ هَذَا النُّقْلَ، ودَعِ النُّقْلَ (٤)
أَيَجْدُرُ أَنْ يَجْرِيَ كُلُّ ما يَجْرِي
مِنْ أَجْلِ الخُبْزِ والبَقْلِ (٥)

صِهِّ (٦)، فَأَنَا عَلَى عَجَلٍ

مُضِيَّتُ صَوْبِ سَارِيَةِ العِلْمِ

(١) تُعْطَى الأُمُور المادِيَّةُ بَعْدًا رُوحِيًّا.

(٢) الدَّعَلُ: العَيْبُ فِي الأَمْرِ يُفْسِدُهُ.

(٣) دَعِ العَقْلَ إِنْ شَكَّلَ لَكَ عَقْبَةً فِي طَرِيقِ المَحَبَّةِ الإِلَهِيَّةِ.

(٤) يَعْنِي بِالنُّقْلِ طَعْمَ الخَمْرِ، وَهُوَ فِي المِصْطَلَحِ الصُّوفِيِّ دَلِيلٌ عَلَى لَذَّةِ المَحَبَّةِ الإِلَهِيَّةِ، وَيُعْنَى بِالنُّقْلِ العِلْمُ المُنْتَدَاوِلَةُ، وَهِيَ عَامِلٌ مُثَبِّطٌ لِهَمَّةِ السَّائِرِ فِي طَرِيقِ الحَقِّ -تَعَالَى- إِنْ لَمْ تَسْبِقْهَا المَحَبَّةُ.

(٥) أَصْحِيحٌ أَنَّ الإِنْسَانَ ما أَهْبَطَ إِلى الأَرْضِ إِلا لِكَيْ يَشْبِعَ حَاجَاتِهِ المادِيَّةَ؟!.

(٦) بِالْفارْسِيَّةِ: خَاطَمُوشُ: يَعْنِي صِهِّ، اسكُتْ، اصمُتْ، أَوْ السَّاكُتُ، وَهُوَ اللُّقْبُ الَّذِي اخْتارَهُ جَلالُ الدِّينِ

لِنَفْسِهِ فِي شِعْرِهِ، كَعَادَةِ شِعْرَاءِ الفَرَسِ الَّذِيْنَ يَطْلُقُونَ عَلَى هَذَا اللُّقْبِ: «التَّخْلِصُ»، وَيُرَدُّ التَّخْلِصُ فِي

الأغلبِ الأعمى فِي البَيْتِ الأَخِيرِ مِنَ القَصِيدَةِ أَوْ الغَزَلِ، وَرَبْما يَأْتِي فِي البَيْتِ قَبْلَ الأَخِيرِ، وَهُوَ أَشْبَهُ

ما يَكُونُ بِتَوْقِيعِ الرِّسَامِ عَلَى ذَيْلِ لُوحَتِهِ الفَنِيَّةِ. راجِعِ المَقْدَمَةَ.

دَعِ الصَّحِيفَةَ وَاحْسِرِ الْقَلَمَ
فَقَدْ أَقْبَلَ السَّاقِي (٧) مُنَادِيًا: الصَّلَا (٨)

* * *

(٧) يعني بالسَّاقِي الشيخ أو المرشد الهادي إلى الحق تعالى.
(٨) لفظ يُنَادَى به للدعوة إلى شرب الخمر. والخمر هنا ليست إلا لذة المعرفة الإلهية التي يقدمها المرشد للسالك.

(٢)*

يَا مَنْ حُبُّكَ

قَدْ زَادَ طُيُورَ الْقُدْسِ أَجْنِحَةً^(١)

وَفِي حَلَقَةِ الْغَرَامِ بِكَ

يَهَبُ الْقُدَيْسِينَ الْأَحْوَالَ^(٢)

{لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ^(٣) دَلِيلٌ مُبِينٌ

بَأَنَّكَ مُبْرَأٌ مِنَ الصُّورِ بَيِّقِينَ

وَفِي الْعُيُونِ الَّتِي تُبْصِرُ الْغَيْبَ

يَتَرَاى مِنْكَ كُلَّ حِينٍ مِثَالٌ

(*) مطلعها: اى طيران قدس را عشقت فزوده بالها در حلقة سوداي تور روحانيون را حالها
(١) تنطوي على إشارة إلى الآية الكريمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ
مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ (سورة فاطر، آية ١).

(٢) جمع حال: والحال في المصطلح الصوفي هو شعور طاغٍ يرد على النفس من غير اجتلاب ولا
اكتساب.

(٣) جزء من الآية ٧٦ من سورة الأنعام، وتشير إلى زهد إبراهيم أثناء بحثه عن الحق -تعالى- في ظواهر
الوجود وعالم الأجسام فوجدها آفلة ولم يبق إلا الواجب الحق. (راجع غرائب القرآن للنيسابوي
١٢٧٢: ٢).

مِنْ أَجْلِكَ انْكَفَأَ الْفَلَكَ الْأَشْمَ (١)
وَاسْتَحَالَ التُّرَابُ بَحْرًا مِنَ الدَّمِ (٢)
لَسْتُ أَدْعُوكَ هَلَالًا
فَأَنْتَ أَسْمَى مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَهَلَالٍ

أُنْعِمِ بِمَنْ أَنْتَ لَهُ جِنَاحُ
يَا لَهَا مِنْ رِفْعَةٍ لَهُ وَجَلَالٍ وَفَلَاحُ
وَمَنْ صَارَ عَلَى هَذَا الْحَالِ
كَمْ لَهُ عَلَى عَارِضِهِ مِنْ خَالٍ

هَبْ أَنْ شَوْكِي شَوْكُ ضُرٍّ
يَنْبُتُ فِي دُبُرِ الْوَرْدِ النَّضِيرِ
فَالصَّيرُ فِي حِينِ يَزِنُ الذَّهَبَ، يَضَعُ حَبَّةَ شَعِيرِ
فَوْقَ كُلِّ مِثْقَالٍ (٣)

(١) انكفأت الأفلاك ساجدة للحق تعالى؛ إشارة إلى قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ...﴾ (سورة الحج: آية ١٨).

(٢) أي أن الإنسان - وهو من تراب - تحول إلى نفس ذات كبد حرة تتحرق شوقاً إلى الحبيب.

(٣) الميثقال: وزن يوزن به الذهب ومقداره ١٠٨ قطمير، والقطمير هو حب الشعير.

قَدْ كَانَتْ فِكْرَةً هَذِهِ الْأَفْعَالُ
مَا كَانَ إِلَّا تُرَابًا هَذَا الْمَتَاعُ وَذَلِكَ الْمَالُ
قَدْ كَانَتْ قَالًا هَذِهِ الْأَحْوَالُ
مَا كَانَ إِلَّا حَالًا هَذَا الْقَالَ

بَدَأَ الْعَالَمَ صَخَبٌ، خَتَمَ الْعَالَمَ زَلْزَالٌ
عَشَقٌ وَشُكْرٌ يَخَالِطُهُ الْأَسَى
سَاكِنٌ بَرَعَمٌ أَلْفِ زَلْزَالٍ

انظُرْ سَعَدَ الْمَسَاكِينِ بِـ «رَحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ»^(١)
الْخَرِيقُ تُشَعُّ بِالنُّورِ الْمُبِينِ^(٢)
وَقَدْ وَشِيَ بِالْوَرْدِ الْمُعْطَرِّ
كُلُّ شَأَلٍ^(٣)

(١) إشارة إلى النبي محمد ﷺ، من قول الله عز وجل في سورة الأنبياء آية ١٠٧ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

(٢) اكتسب المساكين صفات نورانية، فانطلق النور يشع من أردبيتهم الممزقة.

(٣) كما تضمنت شبلا نهم بعطر الحبيب.

العِشْقُ أَمْرٌ شَامِلٌ كُلِّيٌّ، مَا نَحْنُ إِلَّا رُقْعَةٌ^(١)

هُوَ بَحْرٌ مَحِيطٌ، مَا نَحْنُ إِلَّا جُرْعَةٌ

وَقَدْ أَتَى بِمِائَةِ دَلِيلٍ

وَأَتَيْنَا نَحْنُ بِصُنُوفِ الْاِسْتِدْلَالِ

السَّمَاوَاتُ بِالْعِشْقِ تَأْتَلَفُ

النَّجْمُ بِغَيْرِ عِشْقٍ يَنْخَسِفُ

صَارَتْ الدَّالُّ بِالْعِشْقِ أَلْفٌ^(٢)

كُلُّ أَلْفٍ بِغَيْرِ عِشْقٍ دَالٌ

قَدْ صَارَ مَاءَ الْحَيَاةِ^(٣) الْكَلِمُ

فَهُوَ فِرْعٌ عَنِ عِلْمٍ مِنْ لَدُنْ^(٤)

فَلَا تُبْقِ الرُّوحَ مِنْهُ خَلْوًا

كَيْ تُثْمَرَ عِنْدَكَ الْأَعْمَالُ

(١) الرُّقْعَةُ: قِطْعَةٌ مِنْ وَرَقٍ يُكْتَبُ عَلَيْهَا.

(٢) الْأَلْفُ مُسْتَقِيمَةٌ وَالدَّالُّ مُعْجَظَةٌ.

(٣) أَيُّ أَنَّهُ كَلَامٌ يَهْبُ الْخُلُودَ.

(٤) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ، آيَةٌ ٦٥: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ

لَدُنَّا عِلْمًا﴾ وَالْعِلْمُ اللَّدْنِيُّ هُوَ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ.

الكلمُ المُجْمَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْنَى: تفصيل
والقَوْلُ الْمُفْصَلُ عِنْدَ أَهْلِ الصُّورَةِ: إجمالُ

لو قيل الشعر على التمام؟!
أنعم ببحرٍ غصَّ بالدرِّ الكرامِ
فبدوقِ الشعرِ يطيب للناقة أنْ
تُسرعَ الخطوَ وهيَ تحملُ الأحمالَ^(١)

(١) البعير المحمل بالأنقال يغذ السير حين يسمع حدو الحادي الذي يتغنى بالأشعار.

(۳)*

أَيُّهَا الْقَلْبُ، ماذا لَفَقْتَ من أَعذارٍ لكلِّ ذاكِ التَّقْصِيرِ؟
فمن جَانِبِهِ نَمَّ^(۱) يَتَّبِعُ الْوَفَا
وَمِنْ جَانِبِكَ هُنَا يَتَوَالَى الْجَفَا

مَنْ جَانِبِهِ نَمَّ يَتَّبِعُ الْكَرَمَ
وَمِنْ جَانِبِكَ الْخِلَافُ وَحَسَابُ الْكثْرَةِ أَوْ الْقِلَّةِ وَالْعَدَمُ
مِنْ جَانِبِكَ هُنَا يَكْثُرُ الْخَطَا

مِنْ جَانِبِكَ هُنَا يَعِظُمُ الْحَسَدُ،
يَكْثُرُ الْخِيَالُ وَسُوءُ الظَّنِّ
مِنْ جَانِبِهِ نَمَّ يَتَوَالَى الْجَذْبُ
يَتَوَالَى الذُّوقُ، يَتَوَالَى الْعَطَا

لِمَ إِذْنُ كَانَ كُلُّ هَذَا الذُّوقِ؟

(*) مطلعها: ای دل، چه اندیشیده ای در عذر آن تقصیرها

زان سوی او چندان وفا، زین سوی تو چندین جفا

(۱) نَمَّ: هناك.

كَيْ تَحْلُو فِيكَ مَرَارَةُ الرُّوحِ
لِمَ إِذَنْ كَانَ كُلُّ هَذَا الْجَذْبِ؟
كَيْ تَلْحَقَ بِالْأُولِيَا

إِنْ غَدَوْتَ مِنَ الْجُرْمِ فِرْعَاءَ
وَمَضَيْتَ تَسْأَلُ عَنْ مَخْرَجٍ جَزَعًا
وَلَا تَرَى مَعَكَ حِينْذَاكَ وَازِعًا^(١)

فَلِمَ؟!!

هُنَا جَذَبَ صَوَّبَ الصَّالِحِينَ،
وَهُنَاكَ جَذَبَ نَحْوَ الْفَاسِدِينَ
فِيمَا أَنْ تَمَحَّرَ السَّفِينُ الْعَبَابَ
أَوْ تَحَطَّمْ فِي الْمَوْجِ قِطْعًا

أَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الْحَفَاءِ
أَكْثَرَ مِنَ الْأَيْنِ فِي الظُّلْمَاءِ
كَيْ يَتَنَاهَى لِسَمْعِكَ

(١) لا ترى حينذاك من يدفعك إلى لوم نفسك والبحث عن مخرج إلا نفسك التي بين جنبيك.

مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ نِدَا^(١)

حِينَ تَجَاوَزَ صَوْتُ شُعَيْبٍ^(٢) الْحَدَّ
وَأَرْتَفَعَ أُنَيْتُهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَاضْطَرَمَّ
وَانْهَمَرَتْ مِنْ عَيْنِهِ الدُّرُورُ
هَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ فِي السَّحْرِ نِدَا:

«إِنْ كُنْتَ ذَا جُرْمٍ، عَفَوْتُ
وَلِمَا اقْتَرَفْتَ غَفَرْتُ
وَإِنْ أَرَدْتَ الْفِرْدَوْسَ وَهَبْتُ
لَكِنْ صَهٍ، وَدَعَّ هَذَا الدُّعَا»^(٣)

قال: «مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَا ذَاكَ أَنَا
بَلْ أُرِيدُ رُؤْيَةَ الْحَقِّ عَيَانًا
وَلَوْ صَارَتِ السَّبْعُ الْبِحَارُ نَارًا
لَحَضَّتْهَا بُغْيَةَ اللَّقَا

(١) كي تتحقق لك الاستجابة، تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (سورة غافر، آية ٦٠).

(٢) النبي شعيب عليه السلام، وقد ورد خبره في القرآن الكريم مع قوم مدين، ومدى إيذائهم له.

(٣) في البيت إشارة إلى تأثير الحق تعالى بحرقته من بدعوه ويتضرع إليه.

وَلَوْ أَنِّي مَسُوقٌ لِذَلِكَ الْمَنْظَرِ (١)
وَأَعْمَضْتُ عَنْهُ (٢) عَيْنِي الدَّمْعَى
لَكَانَ الْجَحِيمُ بِي أَوْلَى
وَمَا وَجِبْتُ لِي جَنَّةَ الْمَأْوَى

الْجَنَّةُ بَدُونِ وَجْهِهِ هِيَ عِنْدِي نَارٌ وَعَدْوٌ (٣)
فَقَدْ احْتَرَقْتُ مِنَ الرِّوَائِحِ وَالْأَلْوَانِ (٤)
فَأَنَّى لِي بُسُودٌ تَجَلَّى أَنْوَارَ الْبَقَا

قالوا: «كَفُفِ الدَّمْعَ إِذْ
كَيْ لَا يَضَعُ الْإِبْصَارَ، فَالْعَيْنُ تَعْمَى إِنْ جَاوَزَتْ
حَدَّ الْبُكَاءِ»
قال: «لَوْ أَنَّ عَيْنِي ظَفَرْتُ، بَأْنَ رَأَتْ تِلْكَ الصِّفَّةَ
لَا سْتَحَالَ كُلُّ عَضْوٍ مِنِّي عَيْنًا
فَلَا بَأْسَ عِنْدِي بِالْعَمَى

(١) يعني بالمنظر: الفردوس.

(٢) يعني عن الحق تعالى.

(٣) الجنة ليست الهدف الذي يسعى إليه الصالحون، بل وجه الله.

(٤) يعني بالروائح والألوان: الدنيا وزخرفها.

وإن بَقِيَتْ عَيْنِي مَحْرُومَةً
تَهْمِي حَتَّى تَعْمَى
فَذاكَ غَيْرُ جَائِزٍ مِّنْ
الْحَبِيبِ الْأَعْلَى

وَلأَنَّ كُلَّ امرئٍ قَدْ تَخَيَّرَ
صَاحِبًا يَناسِبُهُ حُسْنًا وَقُبْحًا
فَلا غَرَوَ أنْ أَفْنِينا أَنفَسنا
مِن أَجْلِ «لا»^(١)

ذاتَ يَوْمٍ رَافِقِ إنسانٌ با يَزِيد^(٢) في طَريقِ
فخاطبُه بو يَزِيدُ: «ماذا اخترتَ مِن مِهْنَةٍ يا رَفيقُ»
قال: «أنا حَمارٌ»^(٣)

فقال له بو يَزِيدُ: اغرُبْ عن وِجْهِي،
ويا رَبِّ، أَمِتْ حِمَارَه، كي يَصِيرَ لله عَبدًا

* * *

(١) لأن النفس «لا» تأنس «إلا» بالرفيق الأعلى. «لا» هنا تعني نفى غير الله تعالى.
(٢) با يزيد: هو أبو زيد بن طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي، أحد كبار الصوفية، توفي في بسطام سنة ٢٣٤ أو ٢٦١ هـ حسب اختلاف الأقوال.
(٣) يُقال للحمار بالفارسية: خرينده، أي عبد الحمار.

(٤)*

يُوسُفُ، يَا أَجْمَلَ أَسْمَائِنَا
يَا مَنْ يَخْطِرُ جَدًّا فَوْقَ سَطْحِنَا
يَا مَنْ حَطَّمَت كَأْسَنَا
يَا مَنْ مَرَّقَت فَحْنَنَا
أَنْتَ لَنَا النُّورُ، أَنْتَ لَنَا السُّرُورُ
أَنْتَ إِقْلِيمُنَا الْمَنْصُورُ

أَلْقِي فِي نَشْوَتِنَا حَبَابًا^(١)
كَيْ يَغْدُوَ كَرْمُنَا^(٢) خَمْرًا

(*) مطلعها: ای یوسف خوشنام ما، خوش می روی بر بام ما

ای در شکسته جام ما، ای بر دریده دام ما

والخطاب فيها للشيخ شمس الدين التبريزي.

(١) الحباب: الفقايع.

(٢) الكرْم: العنب.

أنتَ لنا الحبيبُ والمَقْصُودُ
أنتَ لنا القِبْلَةُ والمَعْبُودُ
انظُرْ دُخَانَنَا المُتَّصِعِدَ
حِينَ أَذَكَيْتَ نَارًا
فِي عُودِنَا^(١)

رَفِيقُنَا أَنْتَ، عَيَّارُنَا أَنْتَ^(٢)
قَيْدُ قَلْبِنَا... حَمَّارُنَا أَنْتَ^(٣)
لَا تَسْحَبُ القَدَمَ عَن شَأْنِنَا
بَلْ خُذْ بِعُقْدَةِ عِمَامَتِنَا^(٤)

مُنْغَرَسَةٌ فِي الطِّينِ أَقْدَامُ القَلْبِ^(٥)
وَالهَافِي عَلَى مَا حَلَّ بِالقَلْبِ، بِالقَلْبِ
وَمَنْ لَوَعَةَ نَارِ القَلْبِ
أِهٍ لِلْقَلْبِ، أِهٍ لَنَا

* * *

-
- (١) العُودُ: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ يُبَخَّرُ بِهِ.
(٢) عَيَّارٌ: مَنْ يَتَصَفَّ بِالمَهَارَةِ وَخَفَةِ الحَرَكَةِ.
(٣) حَمَّارٌ: بَائِعُ الخَمْرِ، وَتَطْلُقُ فِي المِصْطَلَحِ الصُّوفِيِّ عَلَى المُرْشِدِ الكَامِلِ وَالشَّيْخِ البَصِيرِ.
(٤) خُذْ بِزَمَانِنَا صَوِّبْ طَرِيقَ الحَقِّ.
(٥) الطِّينُ: الحَيَاةُ المَادِيَّةُ.

(٥)*

انظُرْ ذَاكَ الشَّكْلَ ، وانظر ذاك التَّعَمُّمَ والِدَّلَّ

ذَاكَ القَدَّ وَالْحَدَّ وَالسَّاقَ وَالْيَدَ

انظر ذاك اللونَ وَذاك الوقارَ

وذاك البدرَ المنقَّبَ بالضِّيا

أيها العَشْقُ ، جئتَ شكلاً وصورةً

كَأَنْتَ مُمْتَقِدٌ

قَافِلَةُ العِشْقِ بِكَ تَضْطَلِمُ

فَالأَمَانَ الأَمَانَ لِحِظَةٍ يَا فَتَى

فِي نَارٍ وَفِي تَحْرِيقِ أَنَا

قَدْ طَالَ تَسْهِيدِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَنَا

مَا أَسْعَدَنِي بِظَفْرِي

بِطَّلَعَةِ شَمْسِ الضُّحَى

(*) مطلعها: آن شكل بين وأن شيوه بين وأن قدّ وخذ ودست ويا

آن رنگ بين وأن هنگ بين وأن ماه بدر اندر قبا

حَوْلَ قَمَرٍ أَدْوَرُ
أَلْقِي تَحِيَّتِي صَامِتًا
أَزْتَمِي عَلَى الْأَرْضِ
قَبْلَ أَنْ يَقُولَ: الصَّلَا (١)

رَوْضُ الْعَالَمِ وَجَنَّتَهُ أَنْتَ
عَيْنُ الْعَالَمِ وَقِنْدِيلُهُ أَنْتَ
أَسَى الْعَالَمِ وَحُرْقَتُهُ أَنْتَ:
حِينَ تُمْعِنُ فِي الْجَفَا

أَتَقَدَّمُ لِرَهْنِ الرُّوحِ
تقول: «لا تشقّ علينا، ورُحْ»
حِينَ أَشْرَعَ فِي التَّحِيَّةِ كِي أَنْصَرِفُ
تقول: «أيها الأبله، عد لنا».

عَدَا خِيَالُهُ مُؤَنَسًا لَنَا كُلَّ إِنْيَاسِ
وَالْعَاشِقُونَ فِي حَرِّ أَنْفَاسِ

(١) انظر ما سبق، ص ٥١، هامش ٢.

حاشا لَطَيْفِكَ أَنْ يَغِيبَ لَحْظَةً
أَوْ بُرْهَةً عَنْ عَيْنِنَا

أَيُّهَا الْقَلْبُ، مَاذَا حَلَّ بِكَ؟

وإِلَام صَارَ شَأْنُكَ؟

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَحْرُمُكَ النَّوْمَ هَكَذَا

فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ؟!

قَالَ الْقَلْبُ: حَسَنٌ طَلَعْتَهُ،

وَمُتَّقَلَّتُهُ^(١) النَّاعِسَةُ السَّاحِرَةُ

وَسَبِيلُهُ حَاجِبُهُ،

وَتَلِكَ الْيَاقُوتَةُ عَذْبَةُ الْأَدَا

أَيُّهَا الْعَشْقُ؛ كَمْ لَكَ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ اسْمٍ وَمِنْ لَقَبٍ

وَبِالْأَمْسِ، أَطَلَقْتَ اسْمًا آخَرَ عَلَيْكَ:

«دَاءٌ بِلَا دَوَا»

(١) فِي الْأَصْلِ: نَرَجِسْتُهُ، وَالنَّرْجِسُ زَهْرٌ يَظَلُّ يَقْطَانٌ مُفْتَحًا طَوَالَ اللَّيْلِ.

لَنْ أَنْطِقَ بِحَرْفٍ بَعْدُ
فَقُلْ هَذَا الْبَيْتَ وَحَسْبُ:
ذَابَتْ رُوحِي مِنَ الْهَوَسِ،
فَارْفُقْ بِنَا يَا رَبَّنَا.

* * *

(۶)*

أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَجَلُ لُدُّ بِالْفِرَارِ

مِمَّا أَلَمَّ بِنَا مِنْ عَارٍ، مِمَّا أَلَمَّ بِنَا مِنْ عَارٍ

فَلَسْتَ تُطِيقُ أَنْ تَصْطَبِغَ بِلَوْنِنَا، بِلَوْنِنَا

فَمِنْ غَارَاتِ جُنْدِهِ، وَمِنْ وَقَعَاتِ ضَرْبِهِ

لَا يَسْلَمُ لَكَ عِرْقٌ بَعِزٌّ قِيَارَتِنَا، قِيَارَتِنَا

أَبْدَأُ بِحَسْبِ جَرَعَةٍ أَوْ لَا، تَعُدُّو بِنَشْوَةِ ثَمَلَا

فَتُصْبِحُ عَنْ نَفْسِكَ ذَاهِلًا، وَمَنْ تَمَّ يَمَّمْ شَطْرَنَا، شَطْرَنَا

أَشْيَاءًا مِنْ هَذِي الْخَمْرِ تَبْغِي؟ امضِ أَوْ لَا فَرِّقِ رِقَّةَ الْكَأْسِ

وَإِنْ غَدَوْتَ كَأْسًا، أَنْكَسِرْ بِصَخْرِنَا، بِصَخْرِنَا

كُلُّ مَنْ ذَاقَ خَمْرًا أَحْمَرَ، بَاتَ ذَا شَأْنٍ فِي الْوَرَى

(*) مطلعها: بگریز، ای امیر اجل! از ننگ ما، از ننگ ما

زیرا نمی دانی شدن هم‌رنگ ما، هم‌رنگ ما

يَذْهَبُ بِسَعَةِ الْقَلْبِ مَنْ ضَاقَ بِسَبِيهِ قَلْبُنَا، قَلْبُنَا^(١)

مَرِيخُ الزَّمَنِ^(٢) مُؤَنَّثٌ لَا مُدَكَّرٌ

وَهَا هُنَا ضَرْبُ خِنْجَرٍ

أَنِّي لِخِمَارٍ^(٣) أَنْ يَصِيرَ لِحَرْبِنَا، لِحَرْبِنَا

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الشَّمْسَ سَيْفًا، فَاتَّخِذِي مِنَ الْبَدْرِ دِرْعًا

وَإِنْ كُنْتَ لِلرُّومِ قَيْصِرًا، فَاضْرِبِي الصَّفْحَ عَن صَدَّتِنَا، عَن صَدَّتِنَا^(٤)

صِرْ إِسْحَاقَ فِي نَحْرِنَا^(٥)، صِرْ سَاكِتًا فِي بَحْرِنَا

كَيْ لَا يَتَحَطَّمُ مِنْكَ السَّفِينُ فِي مَائِنَا^(٦)، فِي مَائِنَا

* * *

(١) مَنْ مَلَأَ قَلْبَنَا حَزْنًا وَجَزَعًا، يَذْهَبُ بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ سَعَةٍ وَلَا يُبْقَى فِيهَا مَوْضِعًا.

(٢) المَرِيخُ كوكب الحرب ودليل الشجاعة، ومَرِيخُ الزَّمَنِ عندنا مؤنث، وليس برجل، فليس أهلاً للحرب، فنحن لا نقيم للزمن وزناً.

(٣) الخِمَارُ: ما نضعه المرأة على رأسها.

(٤) إِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَجْعَلَ مِنَ الشَّمْسِ سَيْفًا لَكَ فَلَا بَدَلَ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقَمَرَ دِرْعًا، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكَ الرُّومِ (رمز الجمال والضياء) فیتعین عليك أَنْ تتجاوز عن صدتنا (رمز الظلمة).

(٥) تقول التوراة إن إبراهيم قَدِمَ إِسْحَاقَ -عليهما السلام- ضحية، وَحَدَّ السَّكِينِ لذبحة، ولكن الروايات الإسلامية تشير إلى أن الذبيح إِسْمَاعِيلُ لَا إِسْحَاقَ. والشاعر لا يقيم وزناً للتفرقة بينهما. فكلاهما نبي. والإشارة هنا لتسليم الذبيح الكامل لأبيه إبراهيم، لقوله تعالى ﴿... فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ...﴾ (الصافات: ١٠٣)، والمعنى كن على استعداد للتضحية بنفسك الأمانة كي تغدو مثلنا.

(٦) فِي الْأَصْلِ: كَنُوكَ، نَهْرٌ بِالْهِنْدِ مَأْوَةٌ مَقْدَسَةٌ عِنْدَ الْهِنْدُوسِ، وَيَطْلُقُ فِي الْفَارْسِيَّةِ عَلَى مُطْلَقِ النَّهْرِ وَالْبَحْرِ.

(۷)*

لَزِمْتُ بِأَبِكَ عَلَّ الْوَفَا يَتَجَدَّدُ
لَعَلَّكَ تَفْتَحُ بَابًا، وَتَهْتَفُ أَنْتَ وَتُرَدِّدُ:
أَنْهَضُ إِلَيْنَا

عَلَى بَابِكَ رُوحِي غَرَقِي، بِشَذَا الْمِسْكِ وَالْعَنْبُرِ
يَا مَنْ لَطَّلَعْتِكَ الْبَهِيَّةَ، أَلْفُ أَلْفُ تَحِيَّةٍ وَأَكْثَرُ، دَائِمًا

نَحْنُ سُكَارَى رَوْوَسْنَا تَدْوِرُ، قَدْ فَرَعْنَا مِمَّا لَغَيْرِنَا مِنْ أُمُورِ
لَوْ تَقَوَّضَ الْعَالَمُ وَأَمَحَى، فَلَعِشْنُكَ أَبَدًا الْخُلُودُ وَالْبَقَا

نَحْنُ الْيَوْمَ صَيْفُكَ، سُكَارَى بِيَشِّ وَجْهِكَ
حِينَ أَهْتَفُ بِاسْمِ وَجْهِكَ، فَوَاللَّهِ يَنْخَلَعُ الْقَلْبُ حَتْمًا

(*) مطلعها: بنشسته ام بر دَرَت تا بوبك بر جُوشد وفا

باشد که بگشایی دری، گویی که «بر خیز اندر»

أَنْى لِي بِسُقْفِ غَيْرِ سَقْفِكَ؟ أَنْى لِي بِاسْمِ غَيْرِ اسْمِكَ؟
أَنْى لِي بِكَأْسٍ غَيْرِ كَأْسِكَ؟ أَيُّهَا السَّاقِي حَلِّوْا الْأَدَا

لَوْ أَنَّكَ الرُّوحُ الْحَيُّ، فَلَيْتَنِي أَجِدُكَ لَيْتَنِي،
آه، لَيْتَنِي أُمْسِكُ بِتَلَايِبِهِ وَالْفَهَا، لَيْتَنِي
لَيْتَنِي فِي حُلْمٍ لَيْتَنِي، عَلَّه يُوَافِينِي فِيهِ بِاللِّقَا

يَا مَنْ بِبَابِكَ حَيْلٌ وَحَشَمٌ، ابْرُزْ بِتُوَدَّةِ سَيِّدِي الْمَحْتَشِمِ
فَأَنَا نَمْلٌ سَعِيدٌ، بَتَلِكِ الْمُقَلَّةِ الْجَاذِبَةِ السَّكْرَى

الْأُرُوْحُ كَالسَّيْلِ جَارِيَةٌ تَرْتَفِعُ، صَوْبَ شَطِّ بَحْرِ الْحَبِيبِ تَنْدْفِعُ
عَنْ كُلِّ قُرْبَاتٍ وَعَلَاتِقٍ تَنْقَطِعُ، قَدْ صَارَ لَهَا بِالْبَحْرِ قُرْبَى

سَيْلٌ جَارٍ فِي حَيْرَةٍ وَوَلَهْ، سَيْلٌ آخِرٌ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ بِسَفَهْ
ذَاكَ يَهْتَفُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَذَا يَهْتَفُ آهْ، لَا حَوْلَ وَلَا (١)

* * *

(١) أي أن من يتحرك نحو المقصود فلسان حاله الشكر أما الآخر الذي ضل الطريق فيقول: آه، ولا حول ولا... تعبيراً عن الحيرة البالغة.

(٨)*

أَنَا مِنْ أَيْنَ؟ النُّصْحُ مِنْ أَيْنَ؟ مَرَّرَ الخَمْرَ أَيُّهَا السَّاقِي
أَهْرِقْ عَلَى الرُّوحِ تِلْكَ الكَأْسَ المَثِيرَةَ لِلْمَسْرَّةِ وَهَهْنَا^(١)، أَيُّهَا السَّاقِي

ضَعْ فِي يَدِي كَأْسَ الحَبِيبِ، يَا مَنْ أَنْتَ لِلْعُشَّاقِ مَعِينٌ وَسَنَدٌ
أَيْتَنِي بِهِ خَفِيَّةً، بِمَنَأَى عَنِ شِفَاهِ العُربَا، أَيُّهَا السَّاقِي

يَا رَوْحَ رَوْحِ رَوْحِ الرُّوحِ، مَا جِئْنَا لِأَجْلِ الخُبْزِ
فَانهَضْ، وَدَعِ التَّسَوُّلَ فِي حَفْلِ السُّلْطَانِ جَانِبَا^(٢)، أَيُّهَا السَّاقِي

خُذْ أَوَّلًا ذَلِكَ القَدَحَ الكَبِيرَ، وَخَلِّهِ بِيَدِ الشَّيْخِ البَصِيرِ
وَحينَ يَثْمَلُ الشَّيْخُ، يَمِّمُ الوَجْهَ شَطْرَ السُّكَّارِي، أَيُّهَا السَّاقِي

(*) مطمئنا: من از كجا، پند از كجا، باده بگردان ساقيا!

آن جام جان افزاي را بر ريز برجان ساقيا!

(١) أي الكأس المملوءة بخمر المعرفة التي تفضي إلى اليقين.

(٢) ليس هدف الإنسان من حياته الأكل والشرب، فاعلٌ على مقتضيات الحياة المادية، وليكن رجاؤك

مناسباً لقدرك ومتوافقاً مع مهمتك، فحفل السلطان ليس به شحاذ يُقصر رجاءه على طلب الدنيا.

امضِ ودع الحياء^(١) جانبا يا مُرتَجِي، أين السَّكرانُ، أين الخجلانُ أين
وإن استبدَّ بك الخجلُ، فأهْرِقِ على الخجلِ قَدَحًا، أيها الساقِي

قُمْ أيها الساقِي وهَيَّا، يا مَنْ أَنْتَ خَصْمٌ لكل خجلٍ وَحَيَا
ولكي يَعدُو حَظُّنَا ضاحِكًا، تقدِّم ضاحِكًا إلينا، أيها الساقِي

* * *

(١) الحياء «عبارة عن وجود هيبة في القلب تتحصل بالتعظيم والمجبة» (فرهنگ ديوان شمس).

(٩)*

أَلَا يَا رَبِّيعَ الْعَاشِقِينَ، أَعِنْدَكَ عَن حَبِيبِنَا خَبْرٌ يَقِينٌ؟
يَا مَنْ بِكَ الْمَرْوَجُ ضَا حَكَّةً، وَالرِّبَاضُ حُبْلَى

يَا رِيحًا ذَاتَ شَدَا، أَدْرِكِ الْعُشَّاقَ حَبْدًا
يَا مَنْ أَنْتَ أَطْهَرُ مِنَ الرُّوحِ وَالْمَكَانِ، فَأَيْنَ أَيْنَ كُنْتَ قَبْلًا؟

يَا فِتْنَةَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ^(١)، تَمَلَّكْتِنِي الْحَيْرَةَ، أَخَذَنِي الدَّهْشَ
أَكَانَ هَذَا الرِّيحُ الْعَدْبُ قَمِيصَ يَوْسُفَ، أَمْ رُوحَ الْمُصْطَفَى؟^(٢)

(*) مطلعها: اى نو بهار عاشقان! دارى خبر از يار ما؟

اى از تو آبستن چمن، وى از تو خندان باغها

(١) يعنى بالزوم: النهار، والحبش: الليل. أو لعله يعنى بهما مختلف أجناس البشر.

(٢) إشارة إلى قميص يوسف - عليه السلام - الذي أرسله مع إخوته من مصر، وكان أبوه يعقوب - عليه السلام - قد كف بصره لفقده يوسف، وحين جاء البشير وألقى القميص على وجه يعقوب ارتد بصيرًا، وكان يعقوب قبل أن يأتي البشير قد شم ريح يوسف من بعيد.

يَا غَدِيرًا بَدَوْتَ صِدْقًا، مِنْ نَهْرِ الْحَبِيبِ أَنْتَ حَقًّا
طُورُ سَيْنَاءَ أَنْتَ لِلصُّدُورِ^(١)، وَلِلأَرْوَاحِ دُمْتَ طَرَبًا

يَا عَذْبَ الْقَيْلِ وَالْقَالَ، يَا مَلِيحًا فِي كُلِّ الْأَشْكَالِ
طَابَ لَكَ الْحَوْلُ وَطَابَ الْهَلَالُ^(٢)، دُمْتَ لِعَبِيدِكَ حَوْلًا وَهَلَالًا.

* * *

(١) جبل الطَّوْر فِي سَيْنَاءِ الَّذِي تَجَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ -تَعَالَى- إِجَابَةً لَطَلْبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، انظُر قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا...﴾ (سُورَةُ الْأَعْرَافِ: آيَةٌ ١٤٣). وَيَشْبَهُهُ الشَّاعِرُ شَيْخَهُ بِالْجَبَلِ الَّذِي تَجَلَّتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْحَقِّ تَعَالَى.
(٢) طَابَتْ سُنَّتُكَ وَطَابَ شَهْرُكَ، بَلْ طَابَتْ كُلُّ أَوْقَاتِكَ.

(۱۰)*

أَيُّهَا الْعَاشِقُونَ، أَيُّهَا الْعَاشِقُونَ، نَحْنُ الْيَوْمَ وَأَنْتُمْ
قَدْ وَقَعْنَا الْيَوْمَ فِي لُجَّةٍ، فَمَنْ يَعْرِفُ السَّبَاحَةَ مَنَا

لَوْ طَمَّ سَيْلُ الْعَالَمِ، وَصَارَ كَالْجَمَلِ مَوْجِ الْيَمِّ
فَمَا لِطَيْرِ الْمَاءِ مِنْ غَمٍّ، فَهَلْ يَغْتَمُّ طَيْرُ الْهَوَا^(۱)

قَدْ أَضَانَا الْوَجْهَ بِالشُّكْرِ. قَدْ بَلَوْنَا الْمَوْجَ وَالْبَحْرَ
مِثْلَمَا كَانَ الْبَحْرُ - وَالرَّيْحُ تَعْصِفُ - لِلسَّمَكِ طَرَبًا وَلَهُوَا^(۲)

هَذِهِ الرِّيحُ تُنْضِجُ فِي كُلِّ رَأْسٍ وَلَعَا آخَرَ،
فَمَا فِيهَا مِنْ وَلَعٍ مِلْكٌ لِسَاقِينَا، وَالْبَاقِي كُلُّهُ لَكُمْ خَالِصًا

(*) مطلعها: ای عاشقان، ای عاشقان امروز ماییم و شما

افتاده در غرقابه ای تاخود که داند آشنا

(۱) قد خالصنا من المادة ومن جذب التراب وصعدنا إلى العلا محلقين كالطير لا يعبأ بما يجري تحته.

(۲) السمك بطرب ويلهو في البحر حين تعصف الريح ويعلو الموج.

بِالْأَمْسِ ذَهَبَ ذَاكَ السَّاقِي مَمشُوقُ الْقَوَامِ

بِالْبَابِ الشُّكَارِي فِي عُرْضِ الطَّرِيقِ

وَالْيَوْمَ يَسْخُو بِخَمْرِ عَتِيقٍ، كَيْ يَخْلَعَ عَنَّا الْقَبَا^(١)

يَا مَنْ يَحْسُدُكَ الْقَمْرُ وَالْمُشْتَرِي، أَنْتَ مَعْنَا، وَمِنَا - كَمَلَاكَ - تَخْتَبِي

فَاجْذُبْنِي بِرَفِقٍ وَاذْهَبْ بِي، ثُمَّ لَا تَقُلْ إِلَيَّ أَيْنَ؟

أَيْنَمَا وُلِّيتَ وَجْهَكَ فَأَنْتَ مَعِي، يَا مَنْ أَنْتَ عَيْنَايَ وَنُورِي

إِنْ شِئْتَ إِلَى الثَّمَالَةِ جُرْنِي، أَوْ شِئْتَ فَادْفَعْنِي إِلَى الْفَنَاءِ

هَبْ أَنْ الْعَالَمَ جَبَلِ الطُّورِ الْعَظِيمِ، وَهَبْ أَنَا طَالِبُونَ كَمُوسَى الْكَلِيمِ

فِي كُلِّ لِحْظَةٍ يَفْعُ التَّجْلِي، وَيَجْعَلُ الْجَبَلَ دَكَّا دَكَّا^(٢)

(١) ليذهب بما بقي عندنا من وقار.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنْ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِنِي فَلَمَّا بَحَلَّ رُؤْيُهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف، آية ١٤٣).

والمعنى أن العالم يغدو هباء لا قيمة له حين ينال الإنسان القرب من الله تعالى.

تَارَةً يَغْدُو أَخْضَرَ، تَارَةً يَضْحَى عَبْهَرًا^(١)
تَارَةً يُصْبِحُ جَوْهَرًا، وَتَارَةً يَأْقُوتًا وَحَجْرًا جَادِبًا

يَا طَالِبًا رُؤْيَتَهُ، أَبْصِرْهُ فِي إِقْلِيمِهِ الْجَبَلِيِّ هَذَا^(٢)
أَيُّهَا الْجَبَلُ، آيَةٌ خَمْرٍ شَرِبْتُ، فَقَدْ صِرْنَا سُكَارَى بِالنِّدَا^(٣)

* * *

(١) العبهر: زهر كالياسمين.

(٢) فهذا الإقليم (العالم) ليس إلا انعكاسًا للصفات الإلهية.

(٣) إشارة إلى نداء الله - تعالى - لموسى - عليه السلام - عند جبل الطور، من قوله تعالى للرسول محمد ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا...﴾ (القصص ٤٦).

(۱۱)*

يوسفُ يا أَجْمَلَ أَسمائنا، يا مَنْ يَتَبَخَّرُ جَدًّا فَوْقَ سَطْحِنا
«إِنا فَتَحْنا» الصَّلَا^(۱)، فَدَعِ السَّطْحَ وَاعْبُرِ البَابَ، عُدْ لَنا

يا بَحْرِي المِملوءَ بِالْمَرْجانِ، حَفَّتْ وَاللهِ رُوحِي الآنُ
رُوحِي هَذي الحائِرة، مِنْ دَوْرَةِ هَذي الرِّحَى^(۲)

يا حادِي القافلِة، لا تُجاوِزْ هَذه المَرَحَلِة
أَنفِخِ البَعِيرَ وَانزِلْ بِرِفْقٍ، لِلِلهِ لا لَنا

لا لا امضِ، مَجْنونًا امضِ، ثُمَّ بِرِفْقٍ فِي الدَّمِ خُضِ
عَنِ الكَيْفِ لا تَقُلْ، بَلَا كَيْفٍ امضِ، فليسَ لِلروحِ مَكانٌ أَبَدًا

(*) مطلعها: ای یوسف خو شنام ما، خوش می روی بر بام ما

«إِنا فَتَحْنا» الصَّلَا، بازا آز بام، أَز در درَا

(۱) إِشارةٌ إِلى قولِهِ تَعالَى: ﴿إِنا فَتَحْنا لَكَ فَتَحًا مَبِينًا﴾ (سورة الفتح آية: ۱)؛ أَي أَنَّ النِّداءَ هُوَ «إِنا فَتَحْنا».

(۲) دَوْرَةِ الرِّحَى: دَوْرَةُ الفلِکِ، وَتَتابعُ الأَیامَ.

إِنْ صَارَ قَالْبُكَ فِي التُّرَابِ، عَلَّتْ رُوحُكَ عَلَى الْأَفْلاكِ
وَلَوْ تَمَزَّقَتْ خِرْقَتُكَ قِطْعًا، فَمَا لِرُوحِكَ أَبَدًا فَنًا^(١)

لَسْتَ عَنِ سِرِّ الْقَلْبِ غَرِيبًا، مِرَاةً أَنْتَ فَأَظْهِرِ الطَّلْعَةَ
وَلَا تَكِ لِفِتْنِ الْعَشِقِ مِثِيرًا، فَالْفِتْنُ تَقْدُمُ إِلَيْكَ طَوْعًا

تَخَاطِبِي: كَيْفَ تَمْضِي؟ أَمْزُهُوًّا مَخْتَلًا تَمْضِي؟
تَبْصُرُ فَإِنَّمَا تَسِيرُ فِي الدَّمِ، ثُمَّ لَا تَقُولُ: إِلَيَّ أَيْنَ؟

قَلْتُ: مِنْ نِيرَانِ الْقَلْبِ، وَفَوْقَ فُرْشِ الْقَلْبِ
يَتَدَخَّرُ الْقَلْبُ فِي الْغَرَامِ، لِيُبْلَغَ بَحْرَ «يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»^(٢)

فِي كُلِّ حِينٍ يَصِلُ رَسُولٌ، فَيُمْسِكُ بِتَلَابِيهِ الرُّوحِ
ثُمَّ يَمْرُقُ فَوْقَ الْقَلْبِ خِيَالًا، يَهْتَفُ: «هَيَّا إِلَيَّ أَصْلَكَ تَعَالَ»

عَدَّتْ حَبَّةُ الْفُؤَادِ جَامِحَهُ، تَفْرُ هُنَا وَهُنَاكَ صَائِحَهُ

(١) يعني فناء الجسم والقلب الترابي، أما الروح فباقية، وهي أسمى من المكان.

(٢) وردت في القرآن الكريم في عدد من السور، آل عمران ٤٠؛ إبراهيم ٢٧؛ الحج ١٨.

هرباً من عالم اللون والرائحة^(١)،

تصرُّحُ: «أين ذاك الأصلُ؟»

وقد مزقت ثوبها صَوْنًا لِلوَفَا

* * *

(١) أي العالم المادّي.

(١٢)*

كَمْ أَنْوْحُ بِبِرِّحِ الْأَسَى، كَمْ أَتَلَوْنَ بِالْأَلْوَانِ
حَتَّى أَجْلَوْا عَنْ مِرَاةِ كُلِّ مُنْكَرٍ صَدَاءً

على مَطِيَّةِ عَشِقِكَ يَطْوِي الْقَلْبُ الْوَهَادَ وَالْوَدْيَانَ
بِكُلِّ قَدَمٍ يَقَطَعُهُ هَذَا الرِّكْبُ، تُطْوِي الْفِرَاسِخُ مِنْ قِبَلِ الْحَبِيبِ آلَافًا

أَظْهَرُ يَا قَوْتَتَكَ الْمُنِيرَةَ لِعَمَى كُلِّ عَابِدٍ وَثَنٍ
حَتَّى يُمَطَّرَ قُسَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَرْشِ حَجْرًا

أَتَدْرِي لِمَ أَنْكَرُوا؟ بِرِغْمِ أَنَّكَ تُبَدِي صَبْرًا وَإِمْنًا
لَأَنَّ هَذِهِ السَّعَادَةَ وَالْإِقْبَالَ تَكُونُ بِهِمْ عَارًا

لَوْ لَمْ يُصَابُوا بِعَمَى الْبَصَرِ، لَكَانُوا قَدْ رَأَوْا فِيهَا وَرَاءَ النَّظَرِ
آلَافَ الْأَرْوَاحِ مَعْلَقَةً بِالْقَمَرِ، كَنَجْمٍ تَسْطَعُ نُورًا

(*) مظلّمها: چندان بنالم ناله ها، چندان بر آرم رنگها

تا بر کنم از آینه ی هو منکری من زنگها

حين يُصبح كل أعمى، بسعد نورك مبصرا
يغدو كل أعرج، بيمن دربك فارها^(١)

ألا إن كل عقل عن نفسه - في دربك - يذهل
إذ نبت في مرجك الأخضر نبت يذهب اللبا

لأجل هذا أرى أناسا كالنابي، لا يفترون عن الأنين
لأجل هذا هناك مائتان من أشجار السرو الممشوق
قد انحنت كمنقار طائر حُزنا

لأجل هذا تعثرت آلاف القوافل عن السير الحثيث،
لأجل هذا عدت أعداد من السفن المشحونة فوق المياه حطاما

للمنكسرين أرواح معلقة بالرجاء منك،
كي يبيدي علمك الذي لا ينفد من الفنون ألوانا

كي يقوِّض ذلك اللطف الكامن في لطفك كل قهر
كي يعم السلام والأمن كل قطر، وتمحي الحروب والشحنا

(١) الفارة: سريع السير.

كَي يَظْهَرُ بَحْثٌ مِّن نَّوْعِ آخَرَ، كَي يَكُونَ هُنَاكَ سَيْرٌ بِنَحْوِ آخَرَ
وَيَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ حَشَاشَةٍ كُلِّ حِينٍ مَّقَاصِدًا^(١)

* * *

(١) عبّر جلال الدين الرومي عن هذا المعنى بشكل آخر في المثنوي وهو يتحدث عن التطور ولتكميل اللانهائي للإنسان، فقال:
«عشتُ تحت الثّرى، في عوالم من تبر وحجر، ثم ابتسمتُ في ثغور زهرات عديدة الألوان، ثم جُبتُ مع الوحش والحيوان المتنقل فوق ظهر البسيطة، وعلى متن الهواء وفي مناطق المحيط.
وفي ميلادٍ جديد غطستُ في الماء، وحلقتُ في الهواء، وحبوتُ على بطني وعدوت على قدمي، وتشكّل سرّ وجودي كلّهُ في صورة أظهرت كل ذلك للعيان، فإذا أنا إنسان.
ثم أصبح هدفي أن أكون في صورة ملاك في ملكوت وراء السحاب، وراء السماء، حيث لا يمكن لأحد أن يتبدل أو يموت، ثم أعدو بعيداً، وراء حدود الليل والنهار والحياة والموت،... إلخ».
(نقلًا عن كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام، لمحمد إقبال، الترجمة العربية، الطبعة الثانية: طبع دار الهداية، مصر، سنة ٢٠٠٠م، ص ٢٢٠)، راجع المقدمة، ص ٤٠ فيما سبق.

(١٣)*

لِذَٰكَ السَّيِّدِ قَدَمٌ، غَاصَتْ فِي الطَّيْنِ بَحِينًا^(١)
إِنْ حَدَّثْتُكَ عَنْ حَالِهِ، فَاهْتَفْ: إِذَا جَاءَ الْقَضَا^(٢)

سَيِّدِي أَصْبَحْتَ ثَمَلًا، تَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ سَخْرِيَّةً مِنْ حَالِ الْعَاشِقِينَ
ثَمَلًا بِجَانِبِ الْأُلُوْهِيَّةِ فِيكَ، قَدْ أَخَذَتْ تُصَارِعَ اللَّهِ^(٣)

صَارَ فِرْعَوْنٌ وَصَارَ شَدَادًا^(٤)، صَارَ شِرَاعًا بِالرَّبِّحِ مَلَانًا
كَانَ نَمَلَةً صَارَ حَيَّةً وَثُعْبَانًا، وَتِلْكَ الْحَيَّةُ صَارَتْ تَيْنَانًا

(*) مطلعها: آن خواجه را در كوی ما، در گل فرو رفته ست با

باتو بگویم حال او، بر خوان إذا جاء القضاء

(١) يتحدث الشاعر عن أهل الظاهر الذين يفتنون بالدنيا ومظاهرها ويصعب عليهم إدراك الحقائق الخفية وراء الظواهر، ولا يكون من السهل ردهم إلى سبيل الهدى.

(٢) إذا جاء (أو حان) القضاء ضاق الفضا، مثل عربي.

(٣) إشارة إلى ما جاء في التوراة من أن داود (النبي عليه السلام) قد صارح الرب.

(٤) فرعون، لقب يطلق على كل ملوك مصر القدماء، ولكن يغلب إطلاقه على فرعون الذي عاصر موسى - عليه السلام - وقد ادعى الألوهية وهو يعدّ رمزًا للتمرد على الله والعصيان. أما شداد فهو أحد الملوك الأسطوريين ادعى الألوهية. ويقال إنه شيد جنة عرفت في الأساطير بجنة شداد.

عَلَا بِرَأْسِهِ عَلَى السَّمَاوَاتِ، وَلَا يَدْرِي عَنْ مَصِيرِهِ قَدْرَ قَطْمِيرٍ
هَمِيَانُهُ قَدْ مُلِيََ بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، أَذْنَاهُ قَدْ اِمْتَلَأَتْ بِقَوْلٍ:
أَطَالَ اللَّهُ الْبَقَا^(١)

أَيُّهَا السَّيِّدُ ذُو الْيَدِ وَالْقَدَمِ، قَدْ كُسِرَ -بِفِعْلِ الْقَضَاءِ- مِنْكَ الْقَدَمُ
مَا أَكْثَرَ الْقُلُوبَ الَّتِي بِسَبِيكِ حُطِّمَتْ، فَحَلَّ بِقَدَمِكَ الْجَزَا^(٢)

هَبْهَا عِنَايَةً وَرَحْمَةً أَنْ صَدَرْتُ، مِنْ حَيِّ الْعَشْقِ هَذَا الضَّرْرُ
عَشَقَ الْمَجَازِ إِذَا فَاغْبِرْ، عَشَقَ الْحَقُّ هُوَ الْمُتَهَيَّ^(٣)

هَذَا الْغَازِي الْمَجَاهِدُ قَدْ وَضَعَ، بِيَدِ ابْنِهِ سَيْفًا مِنْ خَشْبٍ
كَيْ يَصِيرَ فِيهِ بَارِعًا، وَيَحْمِلُ السَّيْفَ فِي الْغَزَا

(١) أطال الله البقاء، دعاء بطول العمر، ومجازًا بمعنى الجاه والمقام. أما الهميان، فهو كيس يُشد في الوسط يوضع فيه المال.

(٢) لا يتنبه مثل هذا الإنسان إلا إذا حلَّ به ما يثبت له ضعفه ويبين له عجزه، فلعله أن يعي الدرس ويكفَّ عن ظلم نفسه وغيره.

(٣) يرى الصوفية أن العشق المجازي قنطرة للوصول إلى العشق الحقيقي والإلهي؛ ويقولون: المجاز قنطرة الحقيقة.

فالعِشْقُ إِنِّ اعْتَرَى المِرءَ، بَدَا كَسَيْفٍ مِّنْ خَشَبٍ
لَكِنَّ عِشْقَ الرَّحْمَنِ ابْتِلَاءٌ، حِينَ يَأْتِي آخِرًا^(١)

* * *

(١) هذا البيت تأكيد للبيت الذي قبله، يقول للدلالة على أن العشق المجازي قنطرة للوصول إلى العشق الحقيقي: «إن الغزاة والمحاربين في سبيل الله يسلمون أولادهم في مرحلة الطفولة والصبيا سيفاً من خشب (رمزاً للعشق المجازي) لكي يستطيعوا بكثرة الممران أن يبرعوا في الضرب بالسيف، فالعشق الذي يكنه الإنسان للإنسان بمثابة هذا السيف الخشبي نفسه، يُفضي إلى العشق الإلهي (السيف الحقيقي).

(١٤)*

يَا فَضْلَنَا ذَا الْغَيْثِ وَالْمَطَرِ، أَنْزِلْ عَلَيَّ أَصْحَابِنَا مَطَرًا
كَدَمْعِ الْبَائِسِينَ مِنَّا لِهَجْرِ أَحِبَّتِنَا

يَا عَيْنَ الْغَمَامِ وَالسُّحْبِ، أَهْرِ قِي الدَّمْعِ هَتُونًا بِعَطْرِ الْمِسْكِ يَتَضَوِّعُ
إِذْ تُضْمِرِينَ - كَمَا عَلِمْتَ - الْحَسَدَ، لَوْ جَوَّهَ لَنَا كَالْبُدُرِ

انظُرْ هَذَا الْغَمَامَ قَدْ بَكَى، وَذَلِكَ الرَّوْضَ قَدْ بَسِمَ
فِبِضْرَاعَةِ الْأَبِ وَالْبِكَا^(١)، نَالَ مَرْضَانًا النَّجَاةَ وَالشِّفَا

وَكَمَا آتَى السَّحَابُ الثَّقَالَ حَقَّهُ، لِأَجْلِ مَنْ جَفَّتْ شِفَاهُهُمْ مِنَّا
يُؤْتِي الْكَأْسُ الثَّقِيلُ حَقَّهُ، لِأَجْلِ مَنْ لَا يُؤْبَهُ بِهِمْ فِينَا^(٢)

(*) مطلعها: اى فصل با باران ما، بر ريز برياران ما

چون اشك غمخواران ما در هجر دالدران ما

(١) لعلها إشارة إلى بكاء يعقوب على يوسف. والمعنى أن الروض نجا ببكاء السحاب كما نجا يوسف ببكاء يعقوب (عليهما السلام)؛ إذ إن للكلام قيمة إيجابية وللضراعة أثر مُعْجِز.

(٢) لعلها إشارة إلى قول الرسول ﷺ: «كَمْ مِنْ أَسْعَثِ أَغْبَرِ ذِي طَمْرِينٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ» رواه الترمذي في المناقب ٥٤ - ٥٦.

نَثَرَتِ السَّمَاءُ الجَوْهَرَ، على الأَرْضِ والوَدِيانِ الفَقِيرَةَ
لهذا وبسبب العشق يتحمَّلُ لُصُوصَنَا الإِملاقَ والعَوَزَ

هذا السَّحَابُ عِنْدِي كَيَعقُوبَ، والزَّهْرُ عِنْدِي كَيُوسُفَ في الرِّوَضِ
تَفْتَحُ وَجْهَهُ كُلَّ يَوسُفٍ، من نَائِراتِ دُمُوعِنَا

قَطْرَةٌ مِنْهُ تَعْدُو جَوْهَرًا، قَطْرَةٌ مِنْهُ تَعْدُو عِبْهَرًا
وبالْمَالِ والنَّعْمَةِ تَمْتَلِئُ قِيَعَانُ أَكْفِنَا، بَعْدَ أَنْ مُلِئَتْ شَوْكَا^(١)

أغلقِ الشَّفَةَ كالصِّدْفِ، أتملُّ أنتَ؟، لا تَتَقَدَّمِ الصِّفَّ
حتى يَعودَ المَفِيقُونَ مِنَّا، من عالمِ الغيبِ إلينا

* * *

(١) ملئت الأكف شوكًا بسبب الفقر والعوز.

(۱۵)*

أَيُّهَا السَّاقِي، أَعْطِنِي الخَمْرَ جُرْأَفًا، كَيْ يَقْلَ عِنْدِي الخَوْفُ وَالرَّجَا
اضْرِبْ رِقْبَةَ الفِكْرِ: نَحْنُ مِنْ أَيْنَ، وَمِنْ أَيْنَ هُوَ!

قَدِّمِ الصَّهْبَاءَ قَدِّمِ، اسْتَأْصِلِ الوَعِيَّ مِنْ أَصْلِهِ
وَذَاكَ العَيْشُ الَّذِي بَرَزَ سَافِرًا، فَكَّ عَنْهُ وَثَاقًا^(۱)

انظر المجانينَ يَتَقَافِزُونَ، مِنْ قَيْدِ الوُجُودِ تَخَلَّصُوا
فِي غَفْلَةٍ مِنَ القَلْبِ أَحْبُّوا، فَقَدْ كَانَ هَذَا القَلْبُ فِخًّا لِلْبَلَا

عَجَّلِ إلَيْنَا، هَلُمَّ، فَقَدْ طَالَ المَدَى،
هَذَا الإِقْلِيمُ^(۲) قَدْ أَصَابَ القَلْبَ بَضْرٌ وَأَذَى
فَأَسْكِرِ القَلْبَ، هَدِّهْ خَاطِرَهُ، بِقَوْلِكَ: عَجَّلِ إلَيْنَا

(*) مطلعها: می ده گزافه ساقیا، کم شود خوف ورجا

گردن بزَن اُنَدیشه را، ما از کجا او از کجا

(۱) یعنی بها الحیاة الآخرة، وهي الحیاة الحقة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدَارُ الآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت، آية ۶۴)؛ وهو هنا يسأل مرشده أن يفض بعض أسرار تلك

الحياة لتتمتع روحه بشيء من مباحها.

(۲) هذا الإقليم: يعني به الدنيا.

أَمْسِكِ الخُبْزَ عَنِّي، أَمْسِكِ المَاءَ عَنِّي، أَمْسِكِ الرَاحَةَ والنَّوْمَ عَنِّي
يا مَنْ ظَمَأَ عِشْقَكَ يُفْتَدِي، بِمِائَةِ مِثْلِنَا

أنا اليومَ ضيفُك، نِملٌ، ذَهَبْتُ بِي الفِكرَ
قَدْ ذَاعَ بِالمَدِينَةِ هَذَا الخَبِيرَ: اليَوْمَ سَعُدُ، الصَّلَا (١)

أَطَّلَ مِنَ القَلْبِ بَعْتَةً خَيَالٍ حَبِيبِي، كَالْبَدْرِ مِنَ الأُفُقِ
أَوْ كَالزَّهْرِ مِنَ العُشْبِ وَالكَلَا

الدُّنْيَا بِكُلِّ خَيَالَانِهَا، تَأْتِي صَوْبَ خَيَالِهِ تَسْعَى
كَقَطْعِ الحَدِيدِ تَنْجَذِبُ إِلَى المِغْنَاطِيسِ جَذْبًا

اليَوَاقِيتُ حِينَ جَاءَتْهُ تَسْعَى كَانَتْ حَجْرًا، والأُسْدُ كَانَتْ حُمْرًا
وَالسُّيُوفُ كَانَتْ تُرْسًا، وَالشَّمْسُ ذَرَاتٍ وَهَبًا

غَدَا العَالَمُ كَجَبَلِ الطُّورِ، قَدْ مُلِئَتْ فِيهِ كُلُّ ذَرَّةٍ بِالنُّورِ
كَمُوسَى قَدْ خَرَّ صَعِقًا، ذَاهِبَ اللَّبِّ وَقَتَ اللُّقَا

(١) انظر ما سبق ص ٥١، هامش رقم ٢.

كلُّ وُجودٍ إنما هو في وصاله^(١)، في وصالٍ أصلٍ أصله
ألا همزًا بالعدم وكُمزًا، ألا تَصْفِيَةً لِلتَّجَلِّيِّ وَمَرْحَبًا

* * *

(١) لا يتحقق الوجود للشيء إلا بوصاله بالحق تعالى.

(١٦)*

سَيِّدِي تَعَالَى، سَيِّدِي تَعَالَى، سَيِّدِي - مَرَّةً أُخْرَى - تَعَالَى
لَا تَتَّحِلْ الْأَعْدَارَ، لَا تَتَّحِلْ الْأَعْدَارَ، أَيُّهَا الْبَدْرُ الْعِيَارُ تَعَالَى

أَبْصِرِ الْعَاشِقَ الْمَهْجُورَ، أَبْصِرِ الْعَالَمَ الْمَلِيءَ بِالْغَوَايَةِ وَالشُّرُورِ
أَبْصِرِ الظَّمَانَ الْمَحْمُورَ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْخَمَارُ تَعَالَى

أَنْتَ الْقَدَمُ، أَنْتَ الْيَدُ، أَنْتَ الْوَجُودُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ
أَنْتَ الْبَلْبَلُ الْسَكْرَانُ، صَوِّبِ الرِّيَاضِ تَعَالَى

أَنْتَ الْأَذُنُ، أَنْتَ الْعَيْنُ، أَنْتَ صَفْوَةُ الْكُلِّ
أَنْتَ يَوْسُفُ الْمَخْتَطَفُ، فِإِلَى نَاصِيَةِ السُّوقِ تَعَالَى

يَا مَنْ عَنِ الْعَيُونِ احْتَجَبْتَ، لِلْكُلِّ رُوحٌ وَعَالَمٌ أَنْتَ
عُدْ لَنَا رَاقِصًا، وَدُونَ قَلْبٍ وَعِمَامَةٍ تَعَالَى

(*) مطلعها: خواجه بيا، خواجه بيا، خواجه دگر بار بيا دفع مده، دفع مده، اى مه عيار بيا
وتبدو القصيدة وكأنها دعوة إلى شمس الدين لكي يعود مرة أخرى بعد أن غاب وتخفى.

أنت نور النهار المبين، أنت الفرح المحرق لهم كل حزين
أنت بدر أضواء الليل، يا سحابا بالسكر محملاً، تعال

يا علماً لعالم جديد، كل عقلٍ أمامك رهين
مرة لا تأت، ومرة أخرى لا تمض، انهض دفعةً وتعال

يا قلباً مخضباً بدم، كثيراً ما كان فتنةً وجنوناً
قد نضج الكرم الآن، فلا تعصر من العنب ما كان حصرماً^(١)، وتعال

يا ليلة نكراء امض، يا حزنًا مضمراً امض
يا عقلاً نائماً امض، ويا سعد اليقظان تعال

يا قلباً مشرداً تعال، يا كبدًا ممزقاً تعال
وإن كان طريق الباب مغلقاً، فعن طريق الجدار تعال

يا نفس نوح تعال، يا هوس الروح تعال
يا مرهم المجروح تعال، يا شفاء الغليل تعال

(١) الحصرم: العنب غير الناضج.

يا قمرًا مُضِيئًا امض، وابحث عن ماءٍ جارٍ في القلب
ابحث عن سَعِدِ العَشَّاق، ثم رَغَمِ أنْفِ الأَغْيَارِ^(١)، تعالَ

حَسْبُكَ الآنَ أَيُّهَا النَّاطِقِ الحَبِيبِ، فَقدَ أفرَطَ اللِّسَانُ في الوَجِيبِ
قدَ طَالَ قَرَعُكَ طَبَلَ البَيَانِ، فَبَغِيَرِ هَمْسٍ ونُطْقٍ تعالَ

* * *

(١) الأَغْيَارِ: مَنْ هم على غير ما نحن عليه.

(١٧)*

لنا صاحبٌ، لنا غارٌ^(١)، لنا عشقٌ يَضْرُمُ الكِبَادَ بنايرِ
أنتَ الصاحبُ، أنتَ الغارُ، سيّدي فأوني

أنتَ نُوحٌ، أنتَ الرُّوحُ، أنتَ الفاتحُ والمفتوحُ
أنتَ الصّدرُ المشروحُ^(٢)، أنتَ سرّي المملوءُ بالدُّررِ

نورٌ أنتَ، فرحٌ وسرورٌ أنتَ، إقليمٌ منصورٌ أنتَ
أنتَ طائرٌ جبل الطورِ، بمنقارك انقُرني

قَطْرٌ أنتَ، بحرٌ أنتَ، لطفٌ أنتَ، قهرٌ أنتَ

(*) مطلعها: يا زمرًا، غارٌ مرا، عشقٌ جگر خوار مرا

يار تويي، غار تويي، خواجه! نگهدار مرا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى لنبيه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١) والشاعر هنا يخاطب شيخه باعتبار أن العلماء ورثة الأنبياء.

سُكَّرَ أَنْتَ، سُمِّ أَنْتَ، فَحَسْبُكَ لَا تُؤْذِنِي
قُرْصُ الشَّمْسِ أَنْتَ، بُرْجُ عَطَارِدَ أَنْتَ
وَاحَةُ الرَّجَاءِ أَنْتَ، فَعَلَى الطَّرِيقِ دُنِّي

أَنْتَ النَّهَارُ، أَنْتَ الصَّوْمُ، أَنْتَ حَاصِلُ التَّسْوُلِ
أَنْتَ الْمَاءُ، أَنْتَ الْإِنَاءُ، فَهَذِهِ الْمَرَّةَ أَرْوِنِي

أَنْتَ الْحَبُّ، أَنْتَ الْفُحُّ، أَنْتَ الْخَمْرُ، أَنْتَ الدَّنُّ
نَاضِحٌ أَنْتَ، نَبِيٌّ أَنْتَ، نَيْئًا لَا تَتْرُكُنِي

لَوْ كَانَ هَذَا الْجَسْدُ مَرِنًا، لَكَفَّ عَنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى قَلْبِي
أَوْ كَانَ قَدْ وَاصَلَ السَّيْرَ، لَمَا كَانَ قَدْ صَدَرَ كُلُّ هَذَا الْقَوْلِ عَنِّي

* * *

(١٨)*

بَرئْتُ من هذه النفس ومن الهوى، الحيّ في بلاء والميتُ في بلا
في الحياة وفي الموت ليس لي وطنٌ، إنما وطني فضلُ الله، ليس إلا

بَرئْتُ من هذا الشُّعر وهذا الغَزَلُ، أيُّها المليكُ يا سلطان الأَزَلِ
إِنْ مُفْتَعِلَنْ مُفْتَعِلَنْ مُفْتَعِلَنْ^(١)، قد سَفَكَنَ مِنِّي الدِّمَا

قُلْ لِلسَّيْلِ العَرْمِ، اذهبْ بِكُلِّ قافيةٍ ومغلطةٍ واضطَرِّمْ
فكُلُّ ذلكَ كانَ جِلْدًا، كانَ جِلْدًا، يَناسِبُ لُبَّ الشُّعْرا^(٢)

يا مَنْ تَلْزَمُ الصَّمْتَ، أَنْتَ لُبِّي، أَنْتَ سِتْرٌ لِكُلِّ ما دَقَّ عِنْدِي
فَحَسْبُ الصَّمْتِ فَضْلًا أَنَّهُ، قَدْ خَلَا مِنَ الخَوْفِ والرَّجَا

(*) مطلعها: رَسَمَ ازِينِ نَفْسِ وَهوا، زنده بلا مرده بلا

زنده ومرده وطنم نيست، بجز فضل خدا

(١) يعني بمفتعلن: قول الشُّعر «فقد أهاج خاطره، وأثار فيه من الشعور والوجدان ما لا يمكن التعبير عنه، فحافظ علي موسيقى هذه الشطرة، لكنه أفرغها من الكلمات.

(٢) الشُّعر عندي كجلد الإنسان، لا يبدو من خلاله السيل العرم من المشاعر التي تضطرم بجوفه، بل لا يكاد يبين عن دخيلته.

ليس على القرية الخربة عُشْرُ الأرضِ، فقد «رُفِعَ الخَراجُ عن الخراب»،

سَكَرَانٌ وَخَرِبٌ أَنَا، وَكَلَّ مَا فِي مَنْطِقِي نَقْدٌ وَخَطَا

كِي لَا يَجْعَلَنِي خَرِبًا، مَتَى يُعْطِينِي ذَلِكَ الْكَنْزَ^(١)

كِي لَا يُسْلِمَنِي لِلسَّيْلِ، مَتَى يَجْذِبُنِي بِخَرِّ الْعَطَا

مَا أَدْرَى الرَّجُلَ الْمَفْوَهُ بِصَمْتِ كَالسُّكَّرِ

وَمَا أَدْرَى الْحَطَبَ الْجَافَ بِالْغَصْنِ الرَّطِيبِ ذِي النَّدَى

مِرَاةٌ أَنَا، مِرَاةٌ أَنَا، لَسْتُ رَجُلَ مَقَالَاتٍ أَنَا

تَرُونَ حَالِي عَيَانًا، إِنْ غَدَتِ آذَانُكُمْ عَيُونًا^(٢)

يَدِي مُدَلَّاةٌ كَالشَّجَرِ، أَجُوبُ الْفَلَكَ كَالْقَمَرِ

فَلَكَي بَلُونِ الْأَرْضِ، أَطْهَرُ مِنْ فَلَكَ السَّمَاءِ^(٣)

(١) إنما يُعْتَرَى عَلَى الْكَنْزِ فِي الْخَرَابَاتِ غَالِبًا.

(٢) يعني: سوف تتمكنون من إدراك حالي الوجودية الروحية حين تصبح آذانكم قادرة على الرؤية، بمعنى أن هذا الحال لا يوصف باللسان بل لا بد لك من معاينته ومشاهدته.

(٣) فمع أي ترابي خلقتني الله من تراب الأرض إلا أن فلك وجودي أظهر من فلك السماء نفسها بسبب النفخة الإلهية التي حباني الله بها، لقوله تعالى عن خلق الإنسان: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي...﴾ (الحجر: ٢٩ وسورة ص: ٧٢).

أَيُّهَا الْعَارِفُ الْحَاكِي، خَبَّرْنِي كَيْ أَدْعُو لَكَ
فَأَنَا أُغْدُو كُلَّ سَحَرٍ، نَشْوَانَ ثَمَلًا وَقَتَّ الدُّعَا

لَا عَيْبَ فِي مَرَقَّةٍ وَخِرْقَةٍ مِنْكَ نَلْتُهَا
وَمَا وَصَلْنِي مِنَ السُّلْطَانِ قَسَمْتُهُ، النِّصْفُ لِي وَالنِّصْفُ لَكَ صِرْفًا

كَفُّ السُّلْطَانِ يَنَاوِلُنِي قَدَحَ الْقِدَمِ وَكَأْسَهُ
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَسْأَلُنِي جُرْعَةً مِنْهُ تَسْؤُلَا (١)

أَنَا الصَّامِتُ مَتَعَبُ الْحَلْقِ، أَيُّهَا الْعَارِفُ النَّاطِقُ خَبَّرْنِي
فَنَفْسُكَ نَفْسُ دَاوُدَ، وَأَنَا كَالْجِبَلِ حِينَ أَوَّبَ أَوْبَا (٢)

* * *

(١) إشارة إلى أن الخلائق كلها - حتى الشمس نفسها - تغبط الإنسان على تكريم الله - تعالى - له.
(٢) في الأصل: وأنا كالجبل أتتحرك من مكاني. والإشارة إلى قصة داود - عليه السلام - حين كان يرتل مزاميره بصوت شجيّ فترجع الجبال معه ترتيله والطير، لقوله تعالى: ﴿يَنْجَالُ أَوْبِي مَعَهُ، وَالطَّيْرُ...﴾ (سورة سبأ: ١٠).

(١٩)*

آه، فصَدْرُ القَصْرِ^(١) لَا يُؤْذِنُ لَنَا بِالْمُثُولِ،
لَا يُتِيحُ لِمَحْرَمِ الرُّوحِ أَنْ يَكُونَ مَحْرَمَ أَسْرَارِي

لُطْفِهِ، وَحَسَنُهُ، وَجَلَالُهُ، وَحَدَّةُ النَّارِ فِي نَظَرَتِهِ
سؤالُهُ شَبِيهُ السُّكَّرِ، أَخَذَنِي فَلَمْ يُفْلِتَنِي

قال لي: «أين حبُّك؟ أين لونُك؟ أين مجدُّك وجلْدُك؟
آه، ساعةُ الرُّؤيةِ كَيْفَ يَبْقَى اللَوْنُ وَالرَّائِحَةُ مِنِّي

غريقٌ أنا في بحرِ كَرَمِهِ، عَبْدٌ أنا لِأَنْفَاسِ صُبْحِ
فيه تلكِ الوَرْدَةِ العَطِرَةِ الرُّوضِ تَجْدِبُنِي

(*) مطلعها: آه كله آن صدرِ سرا مي ندهد بارِ مرا

مي نكد محرم جان محرم اسرارِ مرا

(١) صدرُ القصر: كبير الحجاب الذين يأذنون للناس بالمشول بحضرة السلطان.

كُلِّمَن اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي النَّهْرِ، وَتَوْبُهُ عَلَيْهِ مُحَكَّمٌ...
فَكَمِّمَن عَنِّي أَلْقَى وَكَمِّ تَنْقُلُ الْخِرْقَةَ وَالْعِمَامَةَ عَلَيَّ

الْمُلْكُ وَأَسْبَابُ النَّعْمِ، وَذَوَاتُ الْوَجْهِ الْقَمَرِيِّ شَبِيهَاتُ السُّكْرِ
حَقِيقَةٌ وَاقِعَةٌ، طَالَمَا كَانَ الْحَبِيبُ وَفِيَّ لِي

الْعُدَّةُ وَالْحِرْفَةُ لَكَ، الْعِلْمُ وَالْفِكْرُ لَكَ
الْأَسْدُ لَكَ، الْغَابَةُ وَالِدَّغْلُ لَكَ، يَا ظَبِينَا التَّتْرِيَّ

يَنْشِئُ غَيْرَ الْمَوْجُودِ، يَنْشِئُ الْمَوْجُودَ، يَنْشِئُ مَا لَا قَلْبَ لَهُ وَلَا يَدَ
يَقْدُمُ الْخَمْرَ، يُسَكِّرُ، خَمَّارِي السَّاقِي (١)

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا تَخَاتَلْ، لَا تُثْرُ الْفِتْنَةَ وَالْغَضَبَ
لَا تُشَهِّرْ بِي، وَلَا تُفْشِ عَلَى نَاصِيَةِ السُّوقِ أَمْرِي

(١) الخَمَّارُ السَّاقِي: الشَّيْخُ وَالْمُرْشِدُ الَّذِي يَتَعَهَّدُ السَّالِكُ بِالتَّرْبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ، فَيَقْدِمُ لَهُ زَادًا جَدِيدًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ، أَوْ يُضْفِي عَلَى مَا لَدَيْهِ مِنَ مَعْرِفَةٍ أَعْبَادًا أُخْرَى خَفِيَّةً، وَيُعْنِي غَايَةَ الْغَايَةِ بِكُلِّ مَا لَهُ صَلَةٌ بِالرُّوحِ، كَيْ يَنْتَشِي السَّالِكُ فِي النِّهَايَةِ بِبَهْجَةِ الْمَعْرِفَةِ.

لا تنس عن الاثنين بحرفٍ، وَّل، ولا تُقل اثنين كالثنوي
اطلب أصل السبب، فقد كفاني ما شهدت من آثار، كفاني^(١)

* * *

(١) أي لا تكن كالثنوية القائلين بمبدأ النور والظلمة -والخير والشرّ، وعليك بالتوحيد. وقوله اطلب أصل السبب أي ابحث عن أصل السبب، أي ابحث عن أصل الشيين: الخير والشر، فلست بحاجة إلى الآثار.

(۲۰)*

بَشَفْتَهُ مَا أَحَلَى الْكَلَامَ وَالسَّمَاعَ وَمَا جَرَى،
سَيِّمَا حِينَ يَفْتَحُ الْبَابَ وَيَهْتَفُ: سَيِّدِي، هَلُمَّ أَقْبِلْ عَلَيْنَا

بشفة جافة يحكي قصة عين ماء الخضر^(۱)
وخياط عشقه يحبك على قد كل امرئ عبًا

العيون تسكر من سكرات عينه السكرى^(۲)
الشجر يرقص للطف ربح الصبا

يقول البلب لشجرة الورد: «ماذا يضمُّ قلبك
إسطي القول الآن، فليس هناك أحد، أنت وأنا، ليس إلا

(*) مطلعها: بالب او چه خوش بود گفتم وشنید وما جرا

خاصه که در گشاید و گوید، «خواجه! اندرا»

(۱) عين ماء الخضر: ماء الحياة، من يشرب منها ينال الخلود ولا يدركه الموت.

(۲) نظرة الشيخ وحدها تُحدث الوجد في قلوب المريدين.

تقول: «طالما أنت معك، فلا ترم هذا أبدا
اجهد كي تحمِل من هذا القصر متاع «أنت»»

فَاعْلَمْ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ نُقْبَ إِبْرَةِ الْهَوَسِ بِالْعُضِّيقِ
لَا يَسْمَحُ بُولُوجِ الْحَبْلِ حِينَ يَبْدُو مُزْدَوَجًا^(١)

* * *

(١) يعني أن الشيخ والمرید كلاهما واحدٌ في طريق العشق. (راجع المقدمة، ص ٣٠-٣١).

(٢١)*

أَتَى لَنَا فِي الْعَالَمِينَ بِأَمِيرٍ لَطِيفٍ مَلِيحٍ كَأَمِيرِنَا
لَمْ يَتَقَطَّبْ لَهُ جَبِينٌ^(١) مَعَ أَنَّهُ رَأَى مَائَةَ ذَنْبٍ وَخَطَا

افْتَحَ الْعَيْنَ وَطَالَعَ الْوَجْهَ، ارْتَكَبَ الْجُرْمَ وَاَنْظَرَ الطَّبَعِ^(٢)
اَنْظَرَ طَبَعًا كَأَنَّهُ مَاءَ الْغَدِيرِ، كُتِلَهُ نَدَى وَصَفَا

أَنَا مِنْ سَلَامِهِ الْحَارِ وَتَرَحَّابِهِ، ذُبْتُ مِنْهُ خَجَلًا
فَمِنْ كَلَامِهِ النَّاعِمِ، تَذَوَّبْتُ الْحَجَارَةَ ذَوْبًا

أَحْمِلُ إِلَيْهِ سُمًّا، يَجْعَلُهُ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ^(٣)
أَحْمِلُ إِلَيْهِ قَهْرًا، يُحِلُّهُ كُلَّهُ رِضًا

(*) مطلمها: در دو جهان لطيف و خوش همچو امير ما كجا؟

ابروي او گره نشد، گر چه كه ديد صد خطا

(١) أي لم يستبد به الغضب.

(٢) أي اقتصرت ما شئت من ذنوب وانظر موقفه وطبعه الحسن منك برغم ذلك.

(٣) يرى جلال الدين أن الأولياء والأقطاب ليس بينهم وبين غيرهم من الناس تجانس ذاتي؛ فهم يختلفون اختلافًا كليًا عن سائر الناس: علمائهم وجهالهم وإن كانوا بشرًا مثلهم، ويتبع هذا التباين تباينًا آخر في الأحوال والطباع الجسمانية والروحية، ويشير جلال الدين هنا إلى ذلك التباين، فالسُّمُّ عند الولي سُّكَّرٌ، والقهر رضا، والتذلل إليه هو عين العزّ... إلخ. (راجع: جلال الدين همائي، مولوي نامه، ص ٢٤١).

انظر «ماء الحياة» عنده، ولا نخش الأجل أبدا
لُدَّ عنده بالرِّضا، ولا ترتعد من القضا

إِنْ تَسْجُدُ أَمَامَهُ، يَعَزُّكَ بِالسُّجُودِ

حتى لو صرّت طريحا تحت القدم، كالحصير والبوريا^(١)

القلبُ كالحمام إن حلق طائرا من فوق سطحك^(٢)

كان خيال سطحك قبلة روحه في الهوا

أنت السطح وأنت الهوا ليس إلا، وكلُّ ذهابٍ هوئس ليس إلا

ماء الحياة روحك، والصور كلها سقا^(٣)

لا تذهب بعيدا، لا تبغ السفر، فمرك أمامك هاهنا

لا ترفع الصوت، فهو يسمع تحت الشفة منك الدعا

(١) البوريا: «الحصير المنسوج.. معرب»، القاموس المحيط.

(٢) فالقلب وقد أهبط إلى الأرض يظل أبدا يتطلع إلى العود إلى أصله ومنطقه.

(٣) السقاء: وعاء من جلد يكون للماء. ولعل الشاعر يريد أن الأصل في مراحل تطور الإنسان هو البقاء والخلود (ماء الحياة) والصور التي يتبدى فيها الإنسان في كل مرحلة ليست إلا أوعية وقوالب للروح.

راجع ما نقلناه عن جلال الدين في ديوانه «المثنوي» فيما سبق، هامش ص ٨٤، ومقدمة هذا

الجزء ص ٤٠.

يَسْمَعُ دَعَاءَكَ، وَهُوَ يَسْتَجِيبُ لَكَ
قَائِلًا: «يَا مَنْ لَا تُعِيرَنِي سَمْعَكَ، دَعِ الصَّمَمَ وَكُلَّ سَمْعِكَ أَعْطِنَا»

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَدِيثُهُ وَلَفْظُهُ، لَمَا كَانَتْ رُوحُكَ تَتَأَوَّهُ
تَأَوَّهُ، فَأَهْتَكُ تَسْلُكُ طَرِيقَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

تَرُوقُ لِي السَّوَاقِي حِينَ تَدُورُ، فَبِهَا أَرُوي البُسْتَانَ
تَنْضُجُ الثَّمَارَ بِمَاءِ الرُّوحِ، النَّابِعَةِ مِنَ السَّبْخَةِ وَالْحَجَرِ وَالْحَصَا

اسْتَحَالَ الرُّوحُ أَصْفَرَ ذَاوِيًا، لَعَلَّهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الرُّوحِ
فَقُلْ لِلغَصْنِ الْمُنْكَسِرِ: «اشْرَبِ الْمَاءَ مُجَرَّبًا»

الليْلُ يَمْضِي، فَهَلُمَّ بِنَا إِلَى الْحَضْرَةِ كَيْ نَسْمَعَ حَدِيثَ الْمَلِكِ،
قَفَ اللَّيْلَ - طَوَلَ اللَّيْلَ - قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْكَ حَتَّى السَّحَرِ،
كَالْقَمَرِ فِي السَّمَاءِ

* * *

(٢٢)*

أيها القلبُ، لا تَنَّا لحظةً عن وقت السَّعدِ والإقبالِ والهَناءِ
ارتَشِفْ ريقَ العناقيدِ تارةً، وامضُغِ السُّكَّرَ تارةً أُخرى

هُوَ^(١) في الباطنِ كالعقلِ الكُلِّيِّ^(٢)، وفي الظَّاهرِ كوزٍ مِنْ الطَّيْنِ^(٣)
تارةً إلهامٌ بأمرٍ «قُل»^(٤)، وتارةً تَشْرِيفٌ بـ «أعطينا»^(٥)

تَصَوُّراتِ رُوحانية، فرحٌ بغيرِ ندم

في خفاءٍ عن الحربِ والسَّلمِ، مِنْ سِرِّ «السَّرِّ وأخفى»^(٦)

(*) مطلعها: مطلعها: از این اقبالگاه خوش مشو يك دم دلا تنها

دمی می نوش باده ی جان ویک لحظه شکر می خا

(١) يعني الإنسان في حقيقته.

(٢) كناية عن جبريل.

(٣) أي جسد من تراب.

(٤) قل: مستهل آيات كثيرة من القرآن.

(٥) أعطيناك: إشارة إلى قوله تعالى للرسول ﷺ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر، ١).

(٦) «السَّرِّ وأخفى» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْبَيْرَ وَأَخْفَى﴾ (سورة طه، آية ٧).

القَسَمَاتُ المِليحة بِكُلِّ وَجِهٍ، قَطْرَةٌ مِنْ ذَاكَ البَحْرِ
كَيْفَ يَرْتَوِي بِقَطْرَةٍ، مِنْ يَعاَني داءِ الاستسقا؟^(١)

أَيُّهَا القَلْبُ، لَكَ مَخْرَجٌ مِنْ هَذِي السُّجُونِ الضَّيِّقَةِ إِلى باحَاتِ فَسِيحِهِ
أَوْ قَدْ وَهَنْتَ، أَوْ تَظُنُّ أَلَّا قَدَمَ لَكَ.

أَغْمَضْتَ كِلْتَا عَيْنَيْكَ، وَتَقُولُ: «أَيْنَ النَّهَارُ المُنِيرُ؟»
تَصَفِّحُ الشَّمْسُ^(٢) عَيْنَكَ قَائِلَةً: «أَفْتَحِ البَابَ، هَا أَنَدَا»

مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ تُجَدِّبُ، وَمِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ تُجَدِّبُ
لَا تَمضُ أَيُّهَا النَّقِيَّ بَشِيءٍ عَكْرٍ، حَلَّقُ مِنْ هَذَا العَكْرِ، اصعَدِ إِلى العُلَا

كُلُّ مَا تُخْفِيهِ مِنْ فِكْرٍ، هُنَاكَ فِي جَوْفِ الصَّدْرِ
يَصَّاعِدُ مِنَ القَلْبِ لَوْنٌ وَوَسْمُ الفِكْرِ، فَيَغْشَى الوَجهَ بِلَا خَفَا

(١) الجمال في العالم انعكاس لجمال الحق تعالى، وهو مجرد انعكاس لا يُعد إلا طيفاً وجزءاً واحداً من
مائة جزء من الأصل؛ فمن ذا الذي يقنع بالجزء عن الكل، وبخاصة إذا استبد به الشوق إلى الجمال
الحق.

(٢) لعل الشاعر يشير هنا إلى شيخه ومرشده شمس الدين التبريزي الذي يعدّه شمساً حقيقية تتبدد بها
الظلمات ويتضح بنورها ملامحُ عالم جديد.

ضميرُ كلِّ شجرةٍ أيها الحبيبُ، يظهرُ مما تشربُ كلُّ بذرةٍ بُدِرَت
فتبدو على الفروع والأغصانِ، نتيجةُ شربها حتمًا

فمن الحبِّ ما إذا شرب التَّفاحَ، نَمَتْ منه للتفاح أوراقُ
ومن الحبِّ ما إذا شرب التَّمْرَ، نَمَا في أعاليه البلحُ رطبًا جنيًا

* * *

(۲۳)*

جاءَ الربيعُ جاءَ الربيعُ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ الشُّكَارَى
قَدْ أَتَى مِن نَبِيِّ الْحِسانِ، بِرِسالَةٍ إِلَيَّ الشُّكَارَى

رَوَى لسانُ السَّوَسَنِ عن السَّاقِي كراماتِ الشُّكَارَى
حينَ سَمِعَ السَّرَّو من السَّوَسَنِ، انْتَصَبَ قائِماً للشُّكَارَى

ومنذُ البِدايَةِ بَعَثَ الرَّوْضُ في المَجْلِسِ النُّقْلَ
حينَ شَاهدَ الشَّقائِقَ الجَبليَّةَ^(۱) قَدْ أَتَتْ بِقَدْحٍ للشُّكَارَى

بِسَبَبٍ من بُكاءِ سَحابِ نِيسانَ، اِحْتالَ نَفْسُ الشِّتاءِ البَارِدِ
فاستدرجَ من السُّتْرِ إِلَيَّ الفَخَّ أَوْلئِكَ الشُّكَارَى

(*) مطلعها: بهار آمد، بهار آمد سلام آورد مستان را

أز آن پیغامبر خوبان پیام آورد مستان را

(۱) الشقائق: زهور كبيرة حمراء قانية.

أَزْتَشْفُوا «سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ»^(١)، ففقدوا كلَّ وقارٍ وحرمة
حين جاءت رسالة السّاقى بِمِ سَمَى السُّكَارَى^(٢)

ادْخُلْ رَوْضَةَ الْبَاقِي، اصْعُدْ إِلَى السَّطْحِ، فَالسَّاقِي
أَتَى مِنْ دَارِ الْغَيْبِ الْخَفِيَّةِ بِرِسَالَةٍ لِلْسُّكَارَى

إِذَا ارْتَدَى الْحِسَانُ الْحُلُلَ، فَادْخُلِ الرُّوضِ وَسَرِّحِ الطَّرْفَ
تَلْفَى السَّاقِي وَقَدْ أَوْفَى عَلَى التَّمَامِ لِلْسُّكَارَى

قَدْ أَتَى لِلْأَرْوَاحِ بِالرَّبِّيعِ، وَلَقَتْنَا صَوْبَ الْحَبِيبِ
فَانظُرْ أَيَّ سَعَادَةٍ أَتَى بِهَا، مِنْ بَيْنِ مَا أَتَى لِلْسُّكَارَى

مِنْ قِبَلِ شَمْسِ الدِّينِ التَّبْرِيذِيِّ، جَاءَ سَاقِي السَّعْدِ فَبَجَاءَ
فَقَدَّمَ - فِي الْقَدْحِ السُّلْطَانِي الْخَاصِّ - خَمْرًا خَالِصًا لِلْسُّكَارَى

* * *

(١) تضمين من قوله الله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١).

(٢) أي حين ذكر الساقى أسماءهم في جمع من الأخيار.

(٢٤)*

إِنْ لَمْ تَكُنْ طَالِبًا، فَصِرْ طَالِبًا مَعَنَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ مُطْرِبًا، فَصِرْ مطربًا مَعَنَا

وَلَوْ كُنْتَ قَارُونَ، فَصِرْ فِي العِشْقِ مُفْلِسًا
وَإِنْ كُنْتَ سَيِّدًا مَهَابًا، فَصِرْ عَبْدًا مَعَنَا

شَمْعَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذَا المَجْلِسِ تُضِيءُ مِنَ الشُّمُوعِ أَلْفًا
أَيًّا مَا كُنْتَ مُطْفَأً أَوْ حَيًّا، فَأَنْتِ تَعْدُو مُنِيرًا مَعَنَا

تُسْرِعُ أَقْدَامُكَ فِي المَسِيرِ، يُشِعُّ مِنْكَ النُّورُ
وَقَدْ تَعْدُو بِأَجْمَعِكَ وَرَدًّا، دَائِمَ الضَّحِكِ مَعَنَا

أَقْبَلِ بِخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ حِينًا، كَيْ تَرَى القُلُوبَ الحَيَّةَ فِيْنَا
اطْرَحِ الحَرِيرَ الأَطْلَسَ جَانِبًا، وَصِرْ فِي خِرْقَةٍ بَالِيَةٍ مَعَنَا

ور زانکه نئی مطرب، گوینده شوی با ما

(*) مطلقها: گر زانکه نئی طالب، جوینده شوی با ما

حِينَ أَصْبَحَتِ الْحَبَّةُ مَلْقَاءَ، نَمَتْ، ثُمَّ شَجَرَةً صَارَتْ
إِنَّ أَنْتَ أَدْرَكْتَ هَذَا الرَّمَزَ، صِرْتَ مُلْقَى مَعَنَا

يَقُولُ شَمْسُ الْحَقِّ التَّبْرِيْزِي لِبُرْعَمَةِ الْقَلْبِ

إِنَّ تَفْتَحَتْ عَيْنُكَ، صِرْتَ بَصِيرَةً مَعَنَا

* * *

(٢٥)*

أيها السَّيِّدُ، أَلَا تَرَى أَمَامَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١)؟
أيها السَّيِّدُ، أَلَا تَرَى هَذَا الْقَدَّ الْفَارِعَ وَالْقَامَةَ؟

جدارُ البيتِ والبَابِ، في هَيَاجٍ وَجُنُونٍ
هَآ أَنَا ذَا فَوْقَ الْجِدَارِ كَدَلِيلٍ وَعَلَامَةٍ

القَمَرُ الَّذِي لَا يَنْحَفُ أَبَدًا بِالتَّجْوَالِ^(٢)
قَدْ مَزَّقَتْ شَمْسُ جَمَالِهِ كُلَّ ظَلَامَةٍ

(*) مطلعها: اى خواجه نمى بينى اين روز قيامت را

اى خواجه نمى بينى اين خوش قد وقامت را؟

(١) القيامة: هي التسليم الكامل، بالتخلّي عن الشّهوات، ويُرمز إليها بالولادة الثانية. (فرهنگ ديوان شمس التبريزي).

(٢) على عكس القمر في السماء الذي يتحول ويصبح نحيبًا بعد أن يكتمل تمامًا، ولعله يريد به شيخه شمس الدين التبريزي الذي كان دائم التجوال من بلد إلى بلد يُشعّ بنور الحق فيبدد الظلام حيثما حلّ.

أَيُّهَا السَّيِّدُ طَاهِرُ الذَّبْلِ^(١)، أَمَجْنُونٌ أَنْتَ أُمَّ أَنَا
تَجَرَّعَ مَعِيَ قَدْحًا، وَدَعِ الْعُتْبَى وَالْمَلَامَةَ

قَدْ كَانَ قَبْلَكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْشُدُ الْكِرَامَاتِ
فَلَمَّا رَأَى وَجْهَ السَّاقِي، أَحْرَقَ كُلَّ كِرَامِهِ

* * *

(١) على سبيل السخرية والتهكم.

(٢٦)*

أَيُّهَا السَّاقِي الْحَبِيبِ، امْلَأْ ذَلِكَ الْقَدَحَ الْمُقَدَّمَ
قَاطِعَ طَرِيقِ الْقَلْبِ، كَاشِفَ طَرِيقِ الدِّينِ

فَمَا يَصُدُّرُ عَنِ الْقَلْبِ وَيَمْتَزِجُ بِالرُّوحِ
فَوَرَانُهُ يُسَكِّرُ الْعَيْنَ الَّتِي تَرَى اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

تِلْكَ خَمْرٌ^(١) مِنْ كَرَمِ لَأَمَّةِ عِيسَى
وَهَذِهِ خَمْرٌ مِنْ مَنصُورٍ لِأَمَّةِ «يَاسِينَ»^(٢)

(*) مطلعها: اى ساقى جان پُر كُنْ اَن ساغرِ پيشين را

آن راهزنِ دل را راهبرِ دين را

(١) يعني: تلك خمر يتم استخراجها من العنب والكروم قد أحلتها طائفة تنسب نفسها إلى المسيح -عليه السلام- أما هذه الخمر فهي تعبير عن الشوق والجذبة التي بدت في الحسين بن منصور الحلاج، ولم يكن يرى -مع استغراقه في الحب الإلهي- لنفسه وجوداً، فأخذ ينادي «أنا الحق»، وهو ما أفضى به إلى جبل المشنقة، حيث أُعدم وأُحرق وأُخذ رماده وأُلقي في نهر دجلة، ويبدو المنصور في الأدب الصوفي وكأنه أسطورة الحب الخالص.

(٢) «ياسين»، مستهل السورة رقم ٣٦ من القرآن الكريم، وهي إشارة إلى النبي محمد ﷺ.

مِن تِلْكَ الْخَمْرِ دِينَانٌ، مِّنْ هَذِهِ الْخَمْرِ دِينَانٌ
لَّا تَذُوقُ هَذِهِ أَبَدًا، مَا لَمْ تَحْطَمْ تِلْكَ الدِّنانُ

تِلْكَ خَمْرٌ، لَّا تُخْلِى الْقَلْبَ مِنَ الْغَمِّ إِلَّا بُرْهَةً
لَّا تَقْتُلِ الْغَمُّ إِلَى الْأَبَدِ، لَّا تَقْتُلِ الْعِدَاءَ وَلَا الْحِقْدَ الدَّفِينُ

قَطْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذَا الْقَدَحِ تَجْعَلُكَ ذَا ثَرَوَةٍ جَمَّةٍ الْوَفْرِ
رُوحِي فِدَاءٌ لِهَذَا الْقَدَحِ الذَّهَبِيِّ الثَّمِينِ

هَذَا الْحَالُ إِنْ حَدَثَ، يَحْدُثُ غَالِبًا عِنْدَ السَّحَرِ
لِمَنْ هَجَرَ لَيْنَ الْفِرَاشِ وَأَسْهَدَ الْجُفُونَ

إِنْ أَصَابَكَ بِالْوَجْهِ جُرْحٌ، فَجَدِيدٌ أَنْ تَرُومَ جُرْحًا آخَرَ
فَمَا عَسَى رَسْتَمٌ^(١) أَنْ يَصْنَعَ فِي مَيْدَانِ الْوَعْيِ، بِيَاقَةِ وَرْدٍ وَيَاسْمِينِ

* * *

(١) رستم، البطل الفارسي المغوار، وكان يُحسن الاستعداد للمعارك حتى لا يُمنى بالهزيمة.

(٢٧)*

صارتِ العاهرُ صالحَةً خَيْرَةً، وليكنَ ما يكونُ
كفرُها كُلُّهُ تَحَوَّلَ إِلى إِيمانٍ، وليكنَ ما يكونُ

المُلْكُ الَّذي اضْطَرَبَ، استحوذَ عليه الشيطانُ للأسْفِ
ثم عاد من جديدٍ لسُلَيْمانَ^(١)، وليكنَ ما يكونُ

الحبيبُ الَّذي كانَ يوجعُ قلبي، وكانَ مُعلِّقاً فوقَ وَجْهِنا لا يَبْرَحُ
قد أَصْبَحَ الآنَ شفيقاً بالخلانِ، وليكنَ ما يكونُ

(*) مطلعها: معشوقه بسامان شد، تا باد چنين بادا

كفرش همه ايمان شد، تا باد چنين بادا

(١) إشارة إلى قصة ضياع خاتم سليمان، وكان الخاتم قد وقع في يد أحد الشياطين فاغتصب مُلك سليمان، وأخيراً عاد الملك إليه.

يقول حافظ الشيرازي:

من آن نگوین سلیمان به هیچ نستانم که گه گاه براو دست اهرمن باشد

ومعناه:

لا يلزمني خاتم سليمان بشيء، إذ ربما يقع ذات مرة في يد الشيطان

بتلك الطَّلعة الملوكة، بتلك الشعلة التي أضاءت جنات الدار
تحوّل كل ركنٍ إلى ميدان، وليكن ما يكون

بغضبه المروع، بأسلوبه العذب الرائع
تحوّل العالم إلى أقاليم للسكّر وجنان، وليكن ما يكون

ذهب الليل وجاء الصبوح، ذهب الأسي وأقبلت الفتوح
أضاءت الشمس سائر الأركان، وليكن ما يكون

بسعادة المحزونين، بهمة المجانين
تحرّكت تلك السلسلة بغير توان، وليكن ما يكون

جاء العيد وجاء العيد، جاء الحبيب الذي جرى منّا لبعيد^(١)
غدا العيد عيدان، وليكن ما يكون

انظر الرّيح في الجو؛ من هوى الشّفة العذبة
راح مع النّاي يُعني الألمان، وليكن ما يكون

(١) لعله يشير هنا إلى عودة شمس الدين بعد اختفائه المفاجئ.

فَرَعُونَ بِرِغْمِ ذَاكَ الْجَبْرُوتِ، وَمَعَ كُلِّ سُوءِ الْحِظِّ وَالطَّاعُوتِ
هَآ قَدْ صَارَ مُوسَىٰ بِنَ عِمْرَانَ^(١)، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

ذَلِكَ الذَّنْبُ، بِرِغْمِ الضَّرَاوَةِ وَالقُبْحِ، وَبِرِغْمِ الْجَهْلِ وَالْبَطْشِ
هَآ قَدْ صَارَ يُوسُفَ بِنَ كِنَعَانَ^(٢)، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

شَمْسَ الْحَقِّ التَّبْرِيزِيِّ، مِنْ فَرَطِ مَا بِكَ مِنْ عَطْفٍ وَإِحْسَانِ
صَارَتْ تَبْرِيزُ خُرَاسَانَ^(٣)، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

عَدَا الْآنَ نَفْسُكَ رَبَائِيًّا، بِفَضْلِ أُسْلَمَ شَيْطَانِي^(٤)
فَصَارَ مُسْلِمًا ذَلِكَ الشَّيْطَانَ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

(١) إشارة إلى إيمان فرعون عند غرقه في اليم.

(٢) إشارة إلى إدعاء إخوة يوسف - بعد أن ألقوه في الجُبِّ - أن الذئب قد أكله، ولو كان الذئب قد أكله حقاً - كما زعموا - فانظر كيف صار الذئب يوسف عليه السلام.

(٣) صارت تبريز التي تقع في الشمال الغربي من إيران - والتي ينتمي إليها شمس الدين - خراسان التي تقع في الشرق، وتشرق منها الشمس.

(٤) إشارة إلى قول النبي - ﷺ - «... ولكن الله أعانني عليه (يعني الشيطان) فأسلم» (مسند ابن حنبل، ١: ٣٨٥) وقد لفت هذا الحديث نظر العديد من شعراء الفرس؛ فقد جاء في شعر ناصر خسرو:

آن ديو راکه در تن و جان من است باری بع تیغ عقل مسلمان کُنتم
يعني ذلك الشيطان الذي يجري من جسدي وروحي مجرى الدم، بوسعي أن أجعله مسلماً بسيف العقل.

ويقول سنائي الغزنوي:

ديوى كه بر آن كفر همى داشت مراورا آن ديو مسلمان شد تا باد جنين بادا
الشيطان الذي ظل يحمله على الكفر، أصبح ذلك الشيطان مسلماً، وليكن ما يكون.

حِينَ أَضَاءَ ذَاكَ الْقَمَرُ، غَدَا الْكَوْنَانَ رَوْضَةً
صَارَتْ أَرْوَاحًا تَلِكُ الْأَبْدَانَ^(١)، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

لَقَدْ تَقَدَّمَتْ عَلَى الرُّوحِ، حَتَّى كُنْتَ كَيْفَمَا كُنْتَ^(٢)
أَشْرَقَ قَدْرُكَ وَبَالَغَ فِي اللَّمَعَانِ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

صَارَ قَهْرُهُ رَحْمَةً، صَارَ سُمُّهُ بِأَجْمَعِهِ عَذَابًا فَرَاتًا
نَثَرَ سَحَابُهُ السُّكَّرَ وَالرَّيْحَانَ^(٣)، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

حِينَ أَصْبَحَ الْأَرْضِيُّ سَمَآوِيًّا، غَدَا مَقْصُودَ السَّنَا^(٤)
كَانَ هَذَا قَبْلًا فَصَارَ كُلُّهُ ذَاكَ^(٥) (الآنَ)، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

صَهٍ، فَأَنَا ثَمَلٌ، قَدْ أَوْثَقَ أَمْرُؤُ يَدِي

صَارَ الْفِكْرُ مَشْتَتًا حَيْرَانُ، وَلِيَكُنْ مَا يَكُونُ

(١) البدن هو القالب الظاهري لروح الإنسان. ويعني أن الظواهر المادية اكتسبت صفات روحية.
(٢) إشارة إلى المعراج النبوي، حين قال الروح (جبريل عليه السلام) للرسول ﷺ عند سدرة المنتهى
تقدم يا محمد». فظهر عند ذلك قدر الإنسان وبدا ما يحظى به من مكانة وتشريف عند الحق تعالى،
حتى على الملائكة المقربين.

(٣) نعم، لقد أعطى معراج النبي ﷺ الأمل للإنسانية، فحلّ الرجاء محلّ الخوف والرهبة.

(٤) حين علا الإنسان وارتفع على جذب المادة وجذب التراب أحبه الحق تعالى.

(٥) ذلك: إشارة إلى حالة لا يمكن التعبير عنها أو وصفها بالكلمات، وإنما تعرف بالذوق. (انظر فرهنج ديوان شمس).

(٢٨)*

جِئْتُ سَعِيدًا يَا ذَا الْوَجْهِ الْقَمَرِي، يَا سَعَادَةَ الرُّوحِ أَقْبَلَ سَعِيدًا
أَمَّا وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ، فَلْيُكُنْ مَا يَكُونُ

يَا وَجْهَ كُلِّ سَعِيدٍ، أَنْتَ فِي قَلْبِنَا ذِكْرِي
يَا وَجْهَ الْعِشْقِ الْكُلِّي، تَعَالَ وَكُنْ فِي قَلْبِنَا ذِكْرِي

حَلَّقَ خَارِجًا عَنْ هَذِهِ الطُّفُولَةِ^(١)، خَلَّصْنَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ
مِنْ مَنَّةٍ كُلِّ مُرَبِّ، وَمِنْ غَصْبَةِ كُلِّ مَرِيَّةٍ خَلَّصْنَا

مِنْ الْحُزْنِ أَنْشَبْنَا أَظْفَرْنَا فِي الْأَحْبَةِ مَنَّا وَالْوُجُوهُ
أَيُّهَا الدَّفُّ عَلَيْكَ بِالْأَيْنِ مِنَ الْقَلْبِ، وَيَا أَيُّهَا النَّأْيُ تَعَالَ صَارِخًا إِلَيْنَا^(٢)

(*) مطلعها: شاد آمدی ای مه رو، ای شادی جان شادا

تا بود چنین بودی، تا باد چنان بادا

- (١) لعله يعني بالطفولة الإحساس الساذج بالحياة، ويتمنى بلوغ مرحلة الإدراك والوعي الحق.
(٢) الدَّفُّ يَدُقُّ كما يدق القلب تعبيرًا عن الأئين المتواصل، أما النأي (وهو عبارة عن قصبة من الغاب قد قُطعت من منبتها، فهو من هذه الناحية شبيه بنا فنحن مثله قد انقطعنا عن أصلنا) فنحن إنما ندعوه لأنه يعاني ما نعانیه.

أَيُّهَا الْقَلْبُ يَا مَنْ أَنْتَ مَلِيحٌ جَمِيلٌ، صِرْ شِيرِينَ، صِرْ مَلِكًا لِحَسْرُو^(١)
فَإِنْ كُنْتَ حَسْرُو شِيرِينَ، فَتَعَالَ كَفَرَهَادَ فِي الْعِشْقِ تَعَالَ

* * *

(١) شيرين وحسرو وفرهاد: ثلاث شخصيات معروفة في تاريخ الفرس وآدابهم، وكان الملك «حسرو برويز» قد تعرّف إلى «شيرين» وأراد زواجها، كما كان يحبها المهندس «فرهاد» الذي كُلف من قبل حسرو بقطع أحدود في الصخر الصلد لكي يمر منه الماء إلى أعلى الجبل، ووعدته إن هو أتم مهمته أن يزوجه من شيرين، ولكن تناهى إلى سماع فرهاد نبأ كاذب مفاده أن حبيبته شيرين قد قضت نحبها، فألقى بنفسه من فوق الجبل الذي كان قد أتم فيه لتوّه مشروعه الكبير فمات، وانتهى الأمر بزواج حسرو بشيرين. وفرهاد هنا رمز للإخلاص والعزيمة.

(٢٩)*

اسْتَمِعْ نَصِيحَةً مِنِّي، أَتُرِيدُ أَلَّا تَفْتَضِحَ
فَأَنَا خَمْرٌ قَدْ مُزِجَ بِالْأَفْيُونِ^(١)، فَحَازِرْ أَنْ تَنْزِعَ الْغَطَاءَ عَنَّا

أَضْرَمَ فِي نَارًا، فَمَا عَسَاهَا تَصْنَعُ بِي؟
فَقَدْ أَضْرَمْتُ فِي السَّمَاءِ، مِائَةَ نَارٍ وَمِائَةَ شَجَارٍ قَدَمًا^(٢)

لَوْ صَارَتِ السَّمَاءُ كُلُّهَا رَأْسًا، وَصَارَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا قَدَمًا
فَلَسْتُ بِتَارِكٍ رَأْسَ ذَاكَ، وَلَا أَنَا بِتَارِكٍ قَدَمَ ذَا

«يَا صَافِيَةَ الْخَمْرِ فِي آنِيَةِ الْمَوْلَى

أُسْكِرْ نَفْرًا لُدًّا، وَالسُّكْرُ بِنَا أَوْلَى»^(٣)

(*) مطلعها: بك بند زمن بشنو، خواهي تَسْوِي رُسُوا

مَنْ خَمْرُهُ أَفْيُونَمَ، زِنَهَارِ سِرْمِ مَكْشِنَا

(١) يعني الإغراق في السكر، ولتحقيق هذا الإغراق كان مدمنو الخمر يضعون الأفيون فيه.

(٢) قدمًا: أي منذ القدم، وفيه إشارة إلى جعل آدم في الأرض خليفة، وتعجب الملائكة لذلك، وعصيان إبليس أمر الحق - تعالى - بالسجود لآدم، وما كان من احتيال الشيطان لإخراج آدم من الجنة، ووعد الحق - تعالى - لآدم، ووعيده لإبليس.

(٣) البيت بالعربية، وقد استخدم جلال الدين لفظ: أَسْكِرْ بدلًا من أَسْكِرِي.

(٣٠)*

حَبَّذا العَشْقُ، حَبَّذا العَشْقُ لَنَا يَا رَبَّنَا
مَا أَبْدَعَهُ، مَا أَرَوَعَهُ، وَمَا أَحْسَنَهُ يَا رَبَّنَا

بِمَاءِ الْحَيَاةِ^(١) نُذِيرُ نَحْنُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
لَا بِالْكَفِّ وَلَا بِالنَّايِ وَلَا بِالذُّفِّ، يَا رَبَّنَا

أَبُو الْعَرُوسِ فِي الْعُرْسِ يَتَوَارَى بِيَقِينٍ^(٢)
حِينَ تَنْتَهِي الْأَسْبَابُ لِثَرِّ السُّكَّرِ وَالْحَلْوَى، يَا رَبَّنَا

إِنْ حَلَّ خِيَالُهُ بَعْقَلٍ أَوْ لُبٍّ
فَمَا أَعْقَلُهُ وَمَا أَبْدَعَهُ وَمَا أَبْصَرَهُ، يَا رَبَّنَا

(*) مطلعها: زهى عشق، زهى عشق كه ما راست خُدايا

چه نغز است، وجه خوب است، چه زيباست! خدايا

(١) ماء الحياة: الخلود الذي وُعد به الإنسان عبر حياته المختلفة.

(٢) لعلّ جلال الدين يحاول بهذا البيت أن يفسّر سبب الاختفاء المفاجئ لشيخه شمس الدين، فربما

اختفى وتوارى بعد أن اطمأن إلى أنه قد وضع أقدام صاحبه على طريق السعادة.

إِنَّ أَنْ الْجَسَدُ أُنَيْنًا، مِنْ هَمِّ الْخَسَارَةِ وَالْكَسْبِ
فَدَاكَ مِنْكَ أَنْتَ، فَقَدْ نَفَخْتَ، لَا مِنَ النَّايِ، يَا رَبَّنَا

بِكَفِّكَ صَنَعْتَ نَايَ الْجَسَدِ، مَلِينًا بِالثَّقُوبِ
فَهُوَ عَنِ هَذَا الْأَيْنِ وَالصَّحْبِ، لَا يَكْفُفُ أَبَدًا يَا رَبَّنَا

وَمَا أَدْرَى النَّايَ الْمَسْكِينَ بِاللَّحْنِ وَالْإِيْقَاعِ
إِنَّمَا النَّافِخُ هُوَ الْبَصِيرُ وَهُوَ الْخَبِيرُ، يَا رَبَّنَا

أَيُّ نَوْرِ سَرَى فِي الْخَمِيلَةِ وَالرَّوْضِ، مِنْ كَرِّ الشُّكَارَى وَفَرَّهِمْ
وَأَيُّ سُرُورٍ وَأَيُّ نَشْوَةٍ بِالْحُبِّ، يَا رَبَّنَا

مَنْ أَنْعَكَاسِ وَجْهِ الْحَبِيبِ، فِي هَذَا الرَّوْضِ النَّضِيدِ
بِكُلِّ نَاحِيَةِ قَمَرٍ، وَشَمْسٍ، وَنَجْمٍ، يَتَأَلَّقُ، يَا رَبَّنَا

نَحْنُ كَالسَّيْلِ، كَالنَّهْرِ، كُنَّا إِلَيْكَ نَمْضِي قُدَمَا
فَالْبَحْرُ مَصَبُّ لِكُلِّ سَيْلٍ جَارِفٍ، يَا رَبَّنَا

بفضل شمس الحقّ التّبريزيّ، تَوَلَّهَ الْقَلْبُ
وهَامَتْ الرُّوحُ، وحارت العَيْنَانِ فِي الْحُبِّ، يَا رَبَّنَا

* * *

(۳۱)*

حَبِّدَا الْعِشْقُ، حَبِّدَا الْعِشْقُ لَنَا يَا رَبَّنَا
مَا أَبَدَعَهُ، وَمَا أَرْوَعَهُ، وَمَا أَجْمَلَهُ، يَا رَبَّنَا

يَا لَهَا مِنْ حَرَارَةٍ فِينَا، يَا لَهَا مِنْ حَرَارَةٍ فِينَا
مِنْ عِشْقِي هُوَ كَالشَّمْسِ، خَفِيَ مِنْهُ مَا خَفِيَ وَظَهَرَ مِنْهُ مَا ظَهَرَ، يَا رَبَّنَا

حَبِّدَا الْقَمْرُ، حَبِّدَا الْقَمْرُ، حَبِّدَا خَمْرُ تُّصَاحِبُهُ
أَضْفَتْ عَلَى الرُّوحِ وَالْعَالَمِ زِينَةً وَبَهَا، يَا رَبَّنَا

حَبِّدَا الْهَمَّةُ، حَبِّدَا الْهَمَّةُ الَّتِي أَثَارَتْ الْعَالَمَ
حَبِّدَا الْعَمَلُ، حَبِّدَا الْمُثُولُ بِالْحَضْرَةِ هُنَاكَ، يَا رَبَّنَا

قَدْ أَنْهَارَ، قَدْ أَنْهَارَ مَلِكُ الْفُرْسَانِ
حَبِّدَا الْغَبَارُ، حَبِّدَا الْغَبَارُ قَدْ ثَارَ، يَا رَبَّنَا

(*) مطلعها: زهی عشق، زهی عشق که ماراست، خدايا

چه نغزست و چه خوبست و چه زیباست! خدايا

قد وَقَعْنَا، قد وَقَعْنَا، فَلَا تَقُومُ قَائِمَةٌ لَنَا
لَا نَدْرِي، لَا نَدْرِي، أَيُّ حَدَثٍ جَلَلٍ جَرَى، يَا رَبَّنَا

مِنْ كُلِّ دَرْبٍ، مِنْ كُلِّ دَرْبٍ يَصَّاعِدُ دُخَانَ ذَو لَوْنٍ مُخْتَلَفٍ
تَارَةً أُخْرَى، تَارَةً أُخْرَى أَيُّ حُبِّ بَدَا، يَا رَبَّنَا

لَا أُحْبِلَةٌ، وَلَا سِلْسِلَةٌ، فَلَمَ نَحْنُ بِأَسْرِنَا مُقَيَّدُونَ؟
أَيُّ قَيْدٍ، أَيُّ صَفْدٍ أَوْثَقَ أَقْدَامَنَا، يَا رَبَّنَا

أَيُّ صُورَةٍ، أَيُّ صُورَةٍ، تَتَرَاءَى فِي مِقْلَاةِ الْقُلُوبِ هَذِهِ
غَرِيبَةٌ هِيَ، غَرِيبَةٌ مِنْ أَعْلَى، يَا رَبَّنَا

عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ^(١)، عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ كَيْ لَا تَفْتَضِحَ
فَالْأَغْيَارُ^(٢) قَدْ مَلَكُوا كُلَّ مَا حَوْلَنَا^(٣)، يَا رَبَّنَا.

* * *

(١) في الأصل: خاموشيد: اصمت. وخاموش هو اللقب الذي اختاره جلال الدين الرومي لنفسه في الشعر.

(٢) الأغيار، الأجانب، من هم ليسوا أهلاً للاطلاع على أمرنا.

(٣) في الأصل، الشمال واليمين.

(٣٢)*

فَلنُحْرِقَ الحُبَّ والجُنونَ
ولتَجْرَعَنَّ كلَّ حينٍ موجَ الدِّماءِ

نَحْنُ نُدْمَاءُ لِشارِبِي الحَمْرِ اللَّاذِعِ (١)

لِمَنْ يُمزِّقُونَ سَقْفَ الفَلَكِ الأَعْلَى (٢)

ماذا سَيَصْنَعُ السَّرَاجُ الأَزَلِيُّ بالسَّمَاوَاتِ العُلَا

وبهذِينَ السَّرَاجِينَ اللَّذِينَ قُلُبَا مَعَا (٣)

نَسْخُو بِصَبِّ الخمرِ السُّلْطَانِي صَافِيًا

لِيَجْعَلَ العَقْلَ ذا الفُنونِ يَغْطُ فِي النُّومِ غَطًّا

(*) مطلعها: بسوزانيم سودا وجنون را

در آشاميم هر دم موج خون را

(١) الذين يشربون من الخمر ما يلسع الحلق والجوف كي يزدادوا سُكْرًا، والخمر هنا تعني المعرفة.

(٢) في الأصل: السقف الأخضر، وهو آخر حدود دائرة الكون والفساد، التي يدور فيها كل شيء ويفنى.

(٣) يعني بهما الشمس والقمر.

حِينَ يَغْدُو ثَمَلًا، نُقِيمُ عَلَيْهِ الْحَدَّ
فَقَدْ جَاوَزَ بِالتَّزْوِيرِ وَالْحُرَافَةِ الْحَدَّ جَدًّا

نَجْعَلُهُ ذَاهِلًا ثَمَلًا، كَيْ لَا يَعْرِفَ
طَرِيقَ كَيْفٍ، إِنْ هُوَ أَتَى

تَجَلَّ يَا شَمْسَ تَبْرِيزَ، يَا ذَا الْكَمَالِ وَالتَّمِّ
كِي لَا يَكُونُ ثَمَّةً نَقْصٍ، لِلْكَافِ وَالنُّونِ^(١) أَبَدًا

* * *

(١) يعني بالكاف والنون: العالم، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢، فالوجود لا يكون وجودًا حَقًّا بمجرد عناصره المادية، وإنما كمال الوجود لا يكون إلا بتجلي الروح التي يمثلها رَجَلٌ من رجال الحق مثل شمس تبريز.

(٣٣)*

بَيْنَ طَيَّاتِ حِجَابِ الدَّمِّ، بَدَتْ لِلعَشِقِ رِيَاضٌ وَمُرُوجٌ
وَمَعَ جَمَالِ العِشْقِ عَيْرٌ مُحَدَّدِ الكَيْفِ، بَدَتْ لِلعُشَّاقِ أَحْوَالٌ وَشُئُونٌ

يَقُولُ العَقْلُ، «الْحِجَاهُ السَّتُّ حُدٌّ حَاجِزٌ لَا طَرِيقَ وِرَاءِهِ»
يَقُولُ العِشْقُ هُنَاكَ طَرِيقٌ، وَقَدْ ذَرَعْتُهُ مَرَّاتٍ

رَأَى العَقْلُ سُوْقًا فَشَرَعَ فِي التَّجَارَةِ
وَرَأَى العِشْقُ وِرَاءَ سُوْقِ العَقْلِ أَسْوَاقًا

مَا أَشْبَهَ العَدِيدِ مِنَ الأَخْفِيَاءِ بِمَنْصُورٍ^(١)، ثِقَةً مِنْهُ فِي رُوحِ العِشْقِ
زَهْدَ المَنَابِرِ، وَاعْتَلَى أَعْوَادَ المِشَانِقِ

(*) مطلقها: در میان برده عشق را گلزارها

عاشقان را باجمال عشق بیچون کارها
(١) یعنی حسین بن منصور الحلاج، والمنبر رمز لعلو المقام، وهو النقطة المقابلة للمشقة.

لِلْعُشَّاقِ شَارِبِي الثَّمَالَةِ^(١) فِي الْحَشَاشَةِ أَذْوَاقٍ
وَفِي قَرَارَةِ الْعُقَلَاءِ سُودِ الْقُلُوبِ صُنُوفٌ مِنَ الْإِنْكَازِ

يُقُولُ الْعَقْلُ: لَا تَخْطُ خُطْوَةً، فَلَيْسَ فِي الْفِنَاءِ سِوَى الشُّوْكَ
يَقُولُ الْعِشْقُ لِلْعَقْلِ: إِنَّمَا فِيكَ أَنْتَ الْأَشْوَاكُ

حَذَارِ، صَهْ، أَنْزِعْ شَوْكَ الْوُجُودِ مِنْ قَوَادِمِ الْقَلْبِ
كَيْ تَرَى فِي أَعْمَاقِكَ الرِّيَاضَ وَالْمَرْوَجَ

يَا شَمْسَ تَبْرِيزَ، أَنْتَ شَمْسٌ فِي سَحَابِ الْكَلِمِ
حِينَ طَلَعْتَ شَمْسُكَ تَبَدَّدَتِ الْأَقْوَالُ

* * *

(١) الثمالة: بقايا الخمر في قاع الكأس.

(۳۴)*

بِالْأَمْسِ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ النَّجْمَ رَسُولًا
قُلْتُ لَهُ: «بَلِّغْ عَنِّي لِفَلَقِ الْبَدْرِ سَلَامًا»

أَطَلْتُ السُّجُودَ، وَقُلْتُ: «أَحْمَلْ هَذِهِ السَّجْدَةَ مِنِّي لِشَمْسٍ
يُحِيلُ ضِيَاؤُهَا الْحِجَارَةَ الصَّمَاءَ ذَهَبًا صِرْفًا»

شَقَقْتُ عَنْ صَدْرِي، كَشَفْتُ لَهُ عَنْ جِرَاحٍ
قُلْتُ لَهُ: «خَبِّرْ عَنِّي الْحَبِيبَ سَفَاكَ الدِّمَا»

مَضَيْتُ أَجُولُ هُنَا وَهُنَاكَ كَيْ يَسْكُنَ طِفْلٌ قَلْبِي
فَالطِّفْلُ يَغْفُو حِينَ يَهْزُ أَحَدُ الْمَهْدِ هَزًّا

(*) مطلعها: دوش من پیغام کردم سوی تو استاره را

گفتمش: «خدمت رسان از من تو آن مه پاره را»

خَلَّصَ طِفْلَ الْقَلْبِ، خَلَّصَ رَضِيعَنَا مِنَ التَّجَوُّالِ
يَا مَنْ تُجْبِرُ كُلَّ حِينٍ مِائَةً مِثْلِي أَنَا الْمُسْكِينِ أَنَا

مَدِينَةُ وَصَالِكِ^(١) كَانَتْ سَكَنَ الْقَلْبِ أَوَّلَ الْأَمْرِ وَآخِرُهُ
فَالْإِمَّ تَحْكُمُ بِعُرْبَةٍ هَذَا الْقَلْبِ الشَّرِيدِ إِلامَ

أَنَا فَدَلِّمْتُ الصَّمْتَ، وَلَكِنْ يَا سَاقِي الْعُشَاقِ
أَدِرْ نَرَجَسَ الْخُمَارَةَ دَفْعًا لِلْخُمَارِ^(٢) عَنَّا

* * *

(١) مدينة الوصال: الجنة حيث يتاح فيها قرب الحق - تعالى -.

(٢) الخُمَار: أثر الخمر. يطلب الشاعر من الساقى أن يدير النرجس، أي العيون الناعسة للسكارى بعيداً عنه كي يتخلص من تأثيرها الذي يُتَلَفُ مهجته.

(٣٥)*

سَائِرُ رِفَاقِكَ مِنْ حَجَرٍ، وَأَنْتَ يَا قَوْتُ وَمَرْجَانٌ، فَلِمَ؟!
السَّمَاءُ عِنْدَ الْبَرِيَّةِ جِسْمٌ أَصْمٌ، وَهِيَ عِنْدَكَ رُوحٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَلِمَ؟!!

إِنْ أَقْبَلْتَ عَلَيَّ شَرَعْتَ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنِّي فِي التَّصْفِيقِ
وَإِنْ مَضَيْتَ أَجْهَشْتَ كُلُّهَا بِالْبِكَاءِ وَالْأَنِينِ، فَلِمَ؟

إِنْ تَرَأَى خِيَالَكَ بَدَتْ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنِّي بَسْمَةُ الْهِنَا
وَهِيَ تَعْدُو مَعَ عِدْوِكَ بِأَجْمَعِهَا قَوَاطِعَ حَادَّةٍ وَأَسْنَانُ، فَلِمَ؟

بِغَيْرِ الْخَطِّ وَالْحَالِ فِي طَالِعِكَ يَبْدُو الْعَقْلُ أُمِّيًّا^(١)
فَإِنْ رَأَى الْعَقْلُ ذَاكَ الْخَطَّ مِنْكَ قَرَأَ بِلَا تَوَانٍ، فَلِمَ؟

(*) مطلقها: جملة باران تو سنگند وتویی مرجان چرا؟

آسمان باجملگان جسم است ویا تو جان چرا؟

(١) يعني أن العقل لا يؤدي المهمة المنوطة به - وهي إدراك المحسوسات - إلا بالمحبة.

يَقُولُ الْجَسَدُ لِلرُّوحِ: «تَنْصَلِي مِنِّ عَشِقِهِ»

تَقُولُ لَهُ الرُّوحُ: «وَلِمَ الْحَذْرُ مِنِّ عَيْنِ الْحَيَاةِ وَالْحَيَوَانِ»^(١)، لِمَ؟

وَجْهَكَ نَبِيٌّ بِجَمَالِ اللَّهِ وَحُسْنِهِ

وَالرُّوحُ لَا تُتِيحُ لَكَ الْإِيمَانَ بِمِثْلِ هَذَا الْبُرْهَانِ، فَلِمَ؟

أَنِّي لَنَا بُرْهَانٌ يَشْعُ بِنُورٍ يَزْهَرُ عَلَى نُورِ وَجْهِكَ

فَلِمَ لَا تَقْطَعُ مَظَاهِرَ الْكُفْرِ الْأَكْفَى^(٢) لِرُؤْيَاةِ يَوْسُفَ بْنِ كَنْعَانَ، لِمَ؟

أَيَّمَا بَدَّرْتَ بِدُرَّةٍ صَارَتْ بِالضَّرُورَةِ نَبْتًا

فَلِمَ لَا يَنْبُتُ شَيْءٌ مِنْ بَدْرَةِ الْإِحْسَانِ، لِمَ؟

أَيْنَمَا وُجِدَتْ خَرَابَةٌ وَجِدَ الْأَمَلُ فِي ظُهُورِ كَنْزٍ

فَلِمَ لَا تَبْحَثُ عَنِ كَنْزِ الْحَقِّ فِي قَلْبِ مُهَدَّمِ الْبُنْيَانِ، لِمَ؟

(١) الحيوان: الحياة.

(٢) إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام، حين شغف امرأة العزيز حُبًّا فدعت نسوة المدينة وآتت كل واحدة منهن سكينًا ثم نادى يوسف أن اخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن، وقلن حاشا لله، ما هذا بشرًا، إن هذا إلا ملك كريم.

لَمْ أَرِ فِي الدُّنْيَا سُوقًا بَغَيْرِ مِيزَانٍ
الْكُلِّ مَوْزُونٌ، فَلَمَّ الْعَالَمُ لَيْسَ لَهُ بِمِيزَانٍ^(١)، لِمَ؟

لِكُلِّ أُغْنِيَةٍ، أَيُّهَا الْقَلْبُ.. أَوَّلٌ وَآخِرُ
فَكَفَاكَ مَا أَنْشَدْتَ الْآنَ، أَمَا لِهَذَا اللَّحْنِ مِنْ خِتَامٍ، لِمَ؟

* * *

(١) لو وُزِنَ الْعَالَمُ بِالْإِنْسَانِ لَرَجَحَ الْإِنْسَانُ الْعَالَمَ.

(۳۶)*

يَا صَبُوءَ قَلْبِي وَهَوَاهُ، هَيَّا تَعَالَ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينُ
يَا مُرَادِي وَحَاصِلِي، هَيَّا تَعَالَ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينُ

أَنَا مُحْتَبِكُ مُشَوِّشٍ، مِثْلَ طُرَّتِكَ، مِثْلَ طُرَّتِكَ
يَا فَتْحَ عَقْدَتِي، هَيَّا تَعَالَ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينُ

لَا تَسْلِنِي عَنْ طُرُقٍ وَمَنَازِلٍ، كَفَاكَ حَدِيثًا، كَفَاكَ حَدِيثًا
يَا مَنْ أَنْتَ طَرِيقِي وَمَنْزَلِي، هَيَّا تَعَالَ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينُ

انْتَزَعْتَ مِنَ الْأَرْضِ قَبْضَةً مِنْ طِينٍ، قَبْضَةً مِنْ طِينٍ
بَيْنَ هَذَا الطِّينِ مَوْضِعِي، هَيَّا تَعَالَ، أَظْهَرِ سَنَا وَجْهٍ أَوْ جَبِينُ

(*) مطلعها: ای هوسهای دلم، باری بیا، رویی نما

ای مراد و حاصلم، باری بیا، رویی نما

طَالَمَا أَنَا وَاقِفٌ عَلَى الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ، أَنَا وَاقِفٌ
فَأَنَا إِذْنٌ عَنِ جَمَالِكَ غَافِلٌ^(١)، فَهِيَ تَعَالَى، أَظْهَرَ سَنَا وَجْهِهِ أَوْ جَبِينِ

إِنْ لَمْ يَحْتَرِقْ عَقْلِي بِعَشْقِكَ، بِعَشْقِكَ
فَأَنَا غَافِلٌ، لَسْتُ بِعَاقِلٍ، هِيَ تَعَالَى، أَظْهَرَ سَنَا وَجْهِهِ أَوْ جَبِينِ

يَا صَلاَحَ الدِّينِ، أَيُّهَا المَلِيكُ، حَاضِرٌ أَنْتَ وَغَائِبٌ مَعًا
يَا أُعْجُوبَةً، قَدْ بَلَغْتُ الوِصَالَ، هِيَ تَعَالَى، أَظْهَرَ سَنَا وَجْهِهِ أَوْ جَبِينِ

* * *

(١) جمالک حين يستقر في الفؤاد لا يرى معه في الوجود قبيح.

(٣٧)*

أَنْتَ لِي رَوْحٌ وَعَالَمٌ، فَمَا نَفْعِي بِالرُّوحِ وَالْعَالَمِ؟
أَنْتَ لِي كَنْزٌ، فَمَا نَفْعِي بِالْكَسْبِ وَالْخُسْرَانِ؟

رَفِيقٌ أَنَا لِلْخَمْرِ تَارَةً، وَتَارَةً أُخْرَى رَفِيقٌ لِلشُّوَاءِ
إِنَّ فِي هَذِهِ الدَّوْرَةِ^(١) تَلْفِي، فَمَا نَفْعِي بِدَوْرَةِ الزَّمَانِ؟

فَرَرْتُ مِنَ الْبَرِيَّةِ جَمْعًا، مَضَيْتُ فِي الْفِرَارِ قُدْمًا
مَا أَنَا بِظَاهِرٍ وَلَا خَفِيٍّ، فَمَا نَفْعِي بِالْكَوْنِ وَالْمَكَانِ؟

بِوَصْلِكَ مَلَأَ الْخُمَارُ رَأْسِي، فَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ إِنْسَانٍ
طَالَمَا كُنْتُ بُغَيْتِي وَصَيْدِي، فَمَا نَفْعِي بِقَوْسٍ أَوْ سِنَانٍ؟

(*) مطلعها: تو مرا جان و جهاني، چه كنم جان و جهان را؟

تو مرا گنج روانی، چه كنم سود و زیان را؟

(١) يعني دورة شرب الخمر وهي تتطلب ترتيباً وتسلسلاً خاصاً. والخمر رمز للمعرفة الروحية، والشوَاء رمز لتحرق الكبد من الأشواق.

حين أبحثُ في القاعِ ما مسيري؟ فأَيَّ ماءٍ أنشدُ وأبغى؟
ماذا أقول؟ بِمِ أَصِفُ هذا الغديرَ النَّهْلان؟

مُذْ نصبتُ رَأْسَ الوجود^(١)، أَيَّ جَبَلٍ ثَقِيلٍ أَحْمِلُ؟
مُذْ صارَ الذُّئْبُ لي راعياً^(٢)، كَيْفَ أَتَحَمَّلُ لِحاجةِ الرُّعِيان؟

ما أَطيبَ العِشْقِ! يا لَه مِن سُكْرِ، حِينَ يَكُونُ القَدْحُ على كَفِّ يَدِ
طُوبَى لِموضعِ حَلَلتَ بِهِ، طُوبَى لَعَيْنِ الرُّوحِ وَناشِطِ الأَجْفانِ

بِكَ كُلُّ ذَرَّةٍ عَالَمٌ، بِكَ كُلُّ قَطْرَةٍ رُوحٌ
إِنْ حَظِيًّا مِنْكَ بَأَثْرٍ، فَمَا الحَاجَةُ لِلأَسْمِ والعُنوانِ

صَوَّبَ الجِوهرِ الفَائِقِ، بأَعْماقِ بَحْرِ الحَقائِقِ
إِنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ الانطلاقِ بِالرأسِ، فَمَا نَفْعِي بِقَدَمِي تَجْرِيان؟

(١) منذ خلقني الله -تعالى- وسوّاني وجعل لي رأسًا وأنا أشعر بثقل الأمانة التي أحملها.
(٢) لعل الشاعر يعني بالذئب: العقل البارد، الذي يخلو من المحبة، فيصبح كالوحوش الضارية لا يقيم وزناً لمقتضيات الروح ودواعي المحبة في الإنسان، فيشقى الإنسان به.

بِسِلَاحِ أَحَدَيْتِكَ، قَطَعْتَ الطَّرِيقَ عَلَيْنَا
لَقَدْ ذَهَبَتْ بِكُلِّ مَا لَدَيَّ، فَمَاذَا أُعْطِيَ جُبَاةَ الحَرَاجِ فِي الدِّيَوَانِ؟

مِنْ أَلْقِ البَدْرِ السَّاطِعِ، مِنْ ثَنَايَا الطُّرَّةِ ذَاتِ الجَدَائِلِ
خَفَّ قَلْبِي يَا حَبِيبِي، فَنَاوَلْنِي ثَقِيلًا مِنْ تِلْكَ الدَّنَانِ

لَا تُعَوِّلْ عَلَيَّ نَصَبٍ أَوْ بَلَا، بَلْ عَوِّلْ عَلَيَّ العِشْقِ وَالوَلَا
لَا تُعَوِّلْ عَلَيَّ الجَوْرِ والجَفَا، بَلْ عَوِّلْ عَلَيَّ طَوْلِ الأَسَى وَفَوْرَةِ الأشْجَانِ

سَمَّ الحُزْنَ لُطْفًا، اسْعُدْ بِالحُزْنِ وَالآلَامِ
وَأَنْشُدْ بِهَا كُلَّ خَيْرٍ، أَنْشُدِ الفَرَجَ وَالأَمْنَ وَالأَمَانَ^(١)

أَنْشُدْ أَمْنًا وَأَمَانًا، اخْتَرْ خُلُوءَ طَوْلِي
تَسْمَعُ طَرِيقَ الفَمِّ، ثُمَّ لَا تَفْتَحُ لِلْفَمِّ طَرِيقًا لِلْبَيَانِ

* * *

(١) للآلام قيمة إيجابية، فهي تأتي بالخير دومًا.

(٣٨)*

اذهَبُوا أَيُّهَا النَّدَامُ، ائْتُونَا بِالْحَبِيبِ
ثُمَّ هَاتُوا لِي مِنْ بَعْدِ، ذَلِكَ الْمَلِيحَ الْجَافِلَا

بِالْحَانَ عَذْبَةَ، بِحُجَجٍ مِنْ ذَهَبٍ
اجذُبُوا إِلَى الدَّارِ، ذَلِكَ الْبَدْرَ حُلْوَ اللَّقَا

فَإِنْ قَالَ وَاعِدًا: سَأْتِي غَدَا
فَكُلُّ وَعْدِهِ مَكْرٌ، هُوَ خَادِعُكُمْ هُوَ

جَمُّ الْحَرَارَةِ نَفْسُهُ، بِالسَّحْرِ وَالتَّخْيِيلِ
يَعْقِدُ عَلَى الْمَاءِ عُقْدَةً، وَيَرْبِطُ الْهَوَا

(*) مطلعها: برويد ای حریفان، بکشید یا ما را

به من آورید آخر، صنم گیزیا را
وتتضمن نصحاً لمن كلفهم جلال الدين من أتباعه بكيفية إقناع شيخه شمس الدين بالعودة بعد
فراهِه، راجع المقدمة.

بالتَّهْلِيلِ وَالسُّرُورِ، حِينَ يَقْدُمُ حَبِيبِي
هَلُمَّ فَانظُرْ أَنْتَ، عَجَائِبَ اللَّهِ تَعَالَى

إِنْ تَأَلَّقَ جَمَالُهُ، فَأَيْنَ مِنْهُ جَمَالُ الْحِسَانِ؟
فَوَجْهَهُ شَمْسٌ، تُضِيءُ الْقَنَادِيلَ أَبَدًا

فَامضِ أَيُّهَا الْقَلْبُ سَرِيعَ الْخَطْوِ إِلَى الْيَمَنِ، إِلَى حَبِيبِي
أَبْلِغِ الْعَقِيقَ النَّفِيسَ^(١) مِنِّي سَلَامًا وَإِجْلَالًا.

* * *

(١) يقترن ذكر اليمن في الأدب الفارسي بما يستخرج من جبالها من أحجار كريمة وبخاصة العقيق.

(٣٩)*

حِينَ أَهْبَطَنِي الْجَسَدُ مِنَ الْعَلَا وَأَوْدَعَنِي السِّجْنَ
صِرْتُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي الْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ فَرْدًا^(١)

فَجَاءَةً، صَارَ لِي فِي الْحَبْسِ قَمَرٌ قَرِينًا
فَأَلْقَى هَوَسُهُ فِي رُوعِي مِنْ ضُرُوبِ الْغَرَامِ وَالْحُبِّ أَلْفًا

كُلُّ امْرِي يَنْشُدُ الْخَلَاصَ مِنَ الْحَبْسِ وَالْبَلَا، سِوَايَ
لِمَ أَمْضِي؟ أَيْنَ أَوْلِيَ؟^(٢) وَالْحَبِيبُ هُنَا

(*) مطلعها: چو مرا به سوی زندان بکشیدتن زبالا

ز مقربان حضرت بشدم غریب و تنها
(١) أهبط الجسد الروح من العلا (العالم العلوي) إلى السجن (العالم السفلي) مما أدى إلى ابتعادي عن الملائكة المقربين للحق تعالى. ويرى جلال الدين أن روح الإنسان (وهي من عالم القدس) أسيرة في سجن الجسد، وفي هذا السجن عرفاء يرون أن وجودهم يحول السجن إلى روضة وبستان، وللقوم تمثيلات مختلفة لهبوط الروح إلى عالم الجسد.

يقول «ابن سينا» في قصيدة «النفس» المعروفة بالورقائية (نسبة إلى الورقاء، يعني الحمامة):

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرِقَاءَ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿فَأَيُّمًا تُولُؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥).

لَنْ أُنَالَ الْخُلُوةَ بِهِ دُونَ رُكْنِ السِّجْنِ
فَلَمْ يَغْدُ قَلْبُ الْعَسَلِ بِغَيْرِ نَارٍ مُصَفَّاءٍ^(١)

إِنْ كَانَ يُوسُفُ صَاحِبًا، فَلَا أَحَدَ يَلُودُ بِالْفِرَارِ
لَأَنَّ لَهُ فِي الْحَبْسِ بُسْتَانٌ، وَخَاصَةً يُوسُفَنَا^(٢)

عَلَى الْعَيْنِ وَالْبَصْرِ يَجْرِي صَوْبَ الْحَبْسِ مُقْبِلًا كُلُّ مَنْ
يَتَلَقَى مِنْ إِقْلِيمِ الشُّكْرِ طَلَبًا كَهَذَا

من النُّجُومِ سَمِعْتُ: لَوْ أَنَّ أَحَدًا وَجَدَ أَثْرًا
من نُورِ ذَاكَ الْقَمَرِ، فَخَبَّرَنَا

إِنَّكَ إِنْ وَصَلْتَ إِلَى تِلْكَ الْجَوْهَرَةِ يَجْدُرُ بِكَ
أَنْ تَخْطُو فَتَعْبُرَ - كَمُوسَى - بِحَارًا سَبْعًا^(٣)

(١) إشارة إلى أن حرارة النار تفصل العسل عن الشمع، وتصبح سببًا لصفائه.

(٢) إشارة إلى ما حدث ليوسف عليه السلام في السجن.

(٣) إشارة إلى عبور موسى للبحر. فقد عبره موسى مع بني إسرائيل فلم يدر بهم الغرق، ولكن فرعون أتبعهم بجنوده فغرقوا أجمعين.

تَغَارُ عَلَيْهِ الْأَحِبَّةُ، فَلَا يَصِلُ خَبْرُهُ إِلَى الْقَمَرِ وَالنَّجْمِ
وَحِينَ يَعْلُو قَمْرُهُ، تَذُوبُ السَّمَاوَاتُ بِأَجْمَعِهَا ذُوبًا

* * *

(٤٠)*

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي خَمْرٍ شَرِبْتَ عِنْدَ السَّحَرِ تَأْتِيرٌ
فُحِذْ مِنِّي خَمْرًا هِيَ الْقِيَامَةُ حَقًّا^(١)

بِأَبِي رُؤْي تُرَى عِنْدَ الْجُرْعَةِ^(٢) الْأُولَى، وَعِنْدَ الثَّانِيَةِ بِاللَّهِ نَعُوذُ وَنَسْتَجِيرُ
أَمَّا الثَّلَاثَةُ فَلَا أَجِدُ لَهَا وَصْفًا

هِيَ لَا تُغَادِرُ ضَرْبًا وَلَا نَفْعًا^(٣)، تَذْهَبُ بِهِمَا جُمْلَةً
ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَيْنَ تَنْتَهِي هَذِهِ الرُّؤْيُ

(*) مطلعها: اگر آن میی که خوردی به سحر، نبود گیرا

بستان ز من شرا بی که قیامت است حقا

(١) القيامة: تعبير عن أثر التغير الكبير الذي يطرأ على النفس بسبب المعرفة الروحية، وما ينتج عنه من تقوض ما يربط الإنسان بالعالم المادي.

(٢) في الأصل: الكأس الأولى.

(٣) بالمعرفة الحققة لا يعبا الإنسان بضر ولا نفع.

أَسِيرُ اللَّوْنِ وَالرَّائِحَةِ أَنْتَ، كَنَقْشٍ^(١) عَلَى حَجَرٍ أَنْتَ
تَتَنَافَرُ كَمَا نَبَعٌ مِنْ قَلْبِ حَجَرٍ أَصَمٍّ، أَنْتَ

أَعْطِنِي ذَاكَ الْخَمْرِ الرَّوَاقِي^(٢)، أَلَا يَا أَيُّهَا الْكَرِيمُ السَّاقِي
وَحِينَ أَصْبِحُ كَذَلِكَ، يَكُونُ لَفْظِي صَرِيحًا مُبَاحًا

بِقَدْحٍ ثَقِيلٍ آيْتِنِي، إِنْ أَنَا إِلاَّ عَبْدُكَ فَارُونِي
ثُمَّ انظُرْ، فَمِنْ خِمَارِكَ قَدْ تَعَلَّقَ بَصْرِي بِالْعُلَا

تَعَلَّقَ بَصْرِي بِالْوَجْهِةِ الَّتِي عَوَّدْتَنِي
فَلْيَبُوقِ اللَّهُ نَهْرًا، هُوَ مِنْ بَحْرِ قَدْ جَرَى.

* * *

(١) اللون والرائحة: العالم المادي، نقش على حجر: صورة بلا معنى وجسد بلا روح.

(٢) الرواقي: الصافي.

(٤١)*

هُوَ الرَّوْضُ، فَلْيَزْهِرْ وَرَدُّهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ
هُوَ الْمَلِيحُ، فَلْيَكُنِ الْعَالِمَانِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ نِثَارًا

أَمِيرُ الْحِسَانِ يَنْطَلِقُ لِلصَّيْدِ بُكْرَةً
فَلْيَكُنْ قَلْبُنَا بِسَهْمِ غَمَزَتِهِ صَيْدًا أُسِيرًا

بِأَبِي رَسَائِلٍ مِنْ مُقْلَتَيْهِ إِلَى عَيْنِي كُلِّ حِينٍ
فَلْتَهِنْ عَيْنَايَ وَتَمْتَلِئِ بِخِمَارٍ مِنْ رَسَائِلٍ مِنْهُ تَتْرَى

حَطَّمْتُ بَابَ أَحَدِ الزَّهَّادِ، فَدَعَا عَلَيَّ مُغْضَبًا
أَنْ: «اذْهَبْ لَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ طَوْلَ عُمَرَكَ قَرَارًا»

فَمَا بَقِيَ بِدُعَائِهِ قَرَارٌ وَلَا قَلْبٌ، بِسَبَبِ حَبِيبٍ
مَتَعَطَّشٍ لِدَمِنَا^(١)، فَلْيَكُنِ اللَّهُ نَصِيرًا

(*) مطلعها: چمنی که تا قیامت گل او بیار بادا

صنمی که بر جمالش دو جهان نثار بادا

(١) الحبيب: الشيخ، وهو يريد منا أن نتخضب قلوبنا بالدم من لوعة الحب وأسى الفراق.

جَسَدُنَا يَشْبَهُ الْقَمَرِ، يَذُوي مِنَ الْعِشْقِ (١)
قَلْبُنَا كَرَبَابَةِ الزُّهْرَةِ، قَدْ قَطَعَ اللَّهُ مِنْهَا الْوَتْرَا

لَا تَنْظُرِ ذُؤَبَ الْقَمَرِ، وَلَا ذُؤِيَّ الزُّهْرَةِ
أَبْصِرِ حَلَاوَةَ حُزْنِهِ، فَلْيَكُنْ وَاحِدُهُ عَدَدًا كَبِيرًا (٢)

يَا لَهُ مِنْ عُرْسٍ فِي الرُّوحِ؟! فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا بَانِعْكَاسٍ طَلَعَتْهُ
كَيْدِي عُرُوسَيْنِ مَلُؤُهُمَا نَدَى وَنَقَشُهُمَا زَهْرًا

عَذَارَ (٣) الْجِسْمِ لَا تَنْظُرِي، إِذْ يَرِثُ وَيَبْلَى
بَلْ انظُرِي عَذَارَ الرُّوحِ، لَنْ تَرَى أَطْيَبَ مِنْهُ عَذَارَا

الْجِسْمُ الْكَدِيرُ كَالْغُرَابِ الْأَسْحَمِ، وَعَالَمُ الْجُسُومِ كَفَضْلِ الشِّتَاءِ
بِرْغَمِ كَاتِبَتِهِمَا، فَلْيَكُنْ رَبِيعٌ دَائِمًا أَبَدًا

* * *

(١) إشارة إلى نحافة القمر بسبب السير الدائم والبحث المستمر.

(٢) يجد الحبيب لذة في لوعته وعذابه في الحب.

(٣) العذار: الوجه، اللون.

(٤٢)*

لَا تَكُنْ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ عَاقِلًا
خَاصَّةً فِي عِشْقِ هَذَا الْعَذْبِ اللَّقَا

فَلْيُبْعِدَ اللَّهُ الْعَقْلَاءَ عَنِ الْعِشَاقِ
لِيُبْعِدَ اللَّهُ رِيحَ التَّنَوُّرِ عَنْ رِيحِ الصَّبَا^(١)

إِنْ أَتَى إِلَيْكَ عَاقِلٌ، فَقُلْ لَهُ: «لَيْسَ ثَمَّ طَرِيقٌ»
وَإِنْ أَتَى إِلَيْكَ عَاشِقٌ، فَأَلْفُ مَرَجَبًا

إِنْ أَخَذَ الْعَقْلُ فِي التَّدْبِيرِ وَالتَّفَكِيرِ
مَضَى الْعِشْقُ هَرَبًا حَتَّى سَابَعِ سَمَا

إِنْ بَحَثَ الْعَقْلُ عَنْ بَعِيرٍ لِأَجْلِ الْحَجِّ
مَضَى الْعِشْقُ قُدَمًا وَارْتَقَى جَبَلَ الصِّفَا

(*) مطلعها: در میان عاشقان عاقل مباح

خاصه در عشق چنین شیرین لقا
(١) ریح الصبا: النفحات الرحمانية التي تهبُّ على العاشق (فرهنگ دیوان الشمس).

جَاءَنِي الْعِشْقُ فَأَمْسَكَ بِهَذَا الْقَمِّ هَاتِفًا:
«دَعَاكَ مِنَ الشُّعْرِ وَأَعْلَى عَلَى الشُّعْرِ» (١)

* * *

(١) يعني الشعري اليمانية، النجم المشهور بعلوه وتألقه.

(٤٣)*

جَاءَ رَبِيعُ الْأُرُوحِ، أَيُّهَا الْغُصْنُ الرَّطِيبُ، تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ
إِنْ أَقْبَلَ يَوْسُفُ، فَيَا مِصْرَ تَعَالِي وَيَا سُكَّرُ^(١)، تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ

رَأَيْتَ صَوْلَجَانَ الذُّؤَابَةَ^(٢)، فَحِجَّتْ مُنْدَفِعًا كَالْكُرَةِ
قَدْ نَزَعَتْ مِنْكَ الرَّأْسَ وَالْقَدَمَ، فَيَغْيِرِ رَأْسٍ وَقَدِمٍ تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ

سَيْفٌ فِي الْيَدِ مُخَضَّبٌ بِدَمٍ، جَاءَنِي قَائِلًا: كَيْفَ أَنْتَ
قُلْتُ: «تَعَالَ، خَيْرٌ!» قَالَ: «كَلَّا بَلْ شَرٌّ، تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ»

يَا مَنْ أَنْتَ بِالْوَجُودِ ثَمِلٌ، كُتِبَ عَلَيْكَ الْفَنَاءُ
قَدْ وَصَلَ مَرَسُومُ الْفَنَاءِ، فَلَأَجْلِ السَّفَرِ تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ

(*) مطلعها: آمد بهار جانا، ای شاخ تر به رقصی آ

چون یوسف اندر آمد، مصر وشکر به رقص آ

(١) ارتبط اسم مصر في الأدب الفارسي بالسُّكَّر.

(٢) الذُّؤَابَةُ: طرة الشعر الملتفة التي تُشَبَّه الصَوْلِجَان. وهو عصا ذات طرف معقوف تُدْفَعُ بها الكرة في

لعبة الكرة والصَوْلِجَان.

بَلَغَتِ الحَرْبُ النِّهَايَةَ، وَعَلَا صَوْتُ الرِّبَابِ
خَرَجَ يُوسُفُ مِنَ البَيْتِ، فَيَا أَحْمَقُ تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ

إِلَى مَتَى الوُعُودُ؟ وَحَتَّى تَطِيلُ هَذِهِ الرُّأْسُ السُّجُودُ؟
أَذْهَبَ الهَجْرُ بِمَا لِي مِنْ لَوْنٍ وَأَثَرٍ؟! فَتَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ

أَتَى لِي بِزَمَانٍ، يَقُولُ لِي فِيهِ فُلَانٌ
«أَفْنِ أَيُّهَا الغَافِلُ، وَيَا أَيُّهَا العَارِفُ تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ»

هَذَا هُوَ ذَا طَاوُوسُنَا يُقْبَلُ، بِأَلْوَانٍ تَزْهُو وَتَسْطَعُ
يَنْشُدُ مَعَ طَائِرِ الرُّوحِ قَائِلًا: بِغَيْرِ رِيشٍ وَجَنَاحٍ تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ

كُلُّ أَعْمَى وَأَصَمٍّ فِي العَالَمِ، نَالَ مِنَ المَسِيحِ بَعْضَ مِرْهَمٍ^(١)
قَالَ المَسِيحُ بْنُ مَرِيَمَ: «أَيُّهَا الأَعْمَى الأَصَمُّ، تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ»

سَيِّدِي هُوَ شَمْسُ الدِّينِ، فَتَبْرِيزُ مَحْسُودَةُ الصَّيْنِ^(٢)
فِي رِبْعِ حُسَيْنِهِ، أَيُّهَا الغُصْنُ والشَّجَرُ تَعَالَ لِلرَّقْصِ تَعَالَ

(١) إشارة إلى معجزة السيد المسيح عليه السلام بإبراء المرضى من الأمراض العضال.
(٢) الصين رغم ما اشتهرت به من فنون جميلة وصنائع بدیعة قد حسدت تبريز لكونها موطن شمس الدين.

(٤٤)*

أَكْسِرِ الزُّجَاجَةَ وَالْأَقْدَاحَ، يَا أَمِيرَ الْأَرْوَاحِ
حَتَّى تَتَفَتَّحَ - كَالكَاسَاتِ - أَمَامَكَ الْأَفْوَاهُ^(١)

أَصْفَعْنَا عَلَى صَفَاحَاتِ الْوُجُوهِ، يَا مَنْ حَارَتْ فِيكَ النُّهْيُ وَالْعُقُولُ
كَيْ تُخَلِّصَ هَذَا الْعَقْلَ بِالْحَيْرَةِ، مِنَ الْمِحْنِ وَالْآفَاتِ

كَسَّرْتَ مِنَ الْجِسْمِ نَاقُوسَهُ، فَحَطَّمْتَ مِنَ الْعَقْلِ نَامُوسَهُ
وَلَا تَدْعُ ذَلِكَ الْمُزْوَرَّ^(٢) يُظْهِرُ الْأَدْلَةَ

إِنْ شَرَعَ فِي السِّحْرِ^(٣)، انْعَقَدَتِ أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ
فَأَطْلُقْ - كَعَصَا مُوسَى - عَلَيْهِ الْأَلْسِنَةَ

(*) مطلعها: بشكن سبو وكوزه، ای میر آب جانها

تا و اشود چون کاسه، در پيش تودهانها

(١) تفتتح الأفواه من الدهشة والعجب.

(٢) يعني العقل.

(٣) إشارة إلى عصا موسى عليه السلام، وقد تحولت إلى حية تسعى فابتلعت ما كان السحرة يأفكون.

فشان العقل شأن السحرة الذين جمعهم فرعون لكي يتحدوا موسى.

يَجْمَلُ بِالْعَاشِقِ الصَّمْتُ وَالسُّكُونُ، يَجْمَلُ بِالْبَحْرِ الْهَيَاجُ وَالْجُنُونُ

فَالْبَيَانُ إِنَّمَا يَحُلُو بِالصَّمْتِ كَالْمِرَاةِ

* * *

(٤٥)*

أَيُّهَا الْحَبِيبُ، اجْعَلْ هَذَا الْبَحْثَ مِنَّا مُتَقَبَّلًا
نَحْنُ عَبِيدُ الْعَشْقِ مُرِيدُوهُ فَخُذْ بِنَاصِيَتِنَا

نَاوِلْنَا خَمْرًا أَحْمَرَ كَالْعَقِيقِ، دُونَ كَأْسِ وَإِبْرِيْقِ
كَيْ يَسْجُدَ الْوَرْدُ، لَسِيْمَاءَ فِي وُجُوهِنَا

اجْعَلِ مُقَلَّتَنَا الْيَوْمَ نَاعِسَةً تَمَلَى
اجْعَلِ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ تَحْسُدَ حَيَّنَا

نَحْنُ لِلْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَنَجَّمٌ، فَمَنْ ذَا الَّذِي عَنِ الذَّهَبِ يَرَعْبُ
إِذْ يُشَعُّ بِالسَّعَادَةِ، لِلصَّاحِبِ وَالْحَصْمِ مَعَا

يَا مَاءَ الْحَيَاةِ سَيْلُكَ، قَدْ خَطَفْنَا
يَحُلُّ لَكَ الْآنَ كَسْرَ زُجَاجَتِنَا

(*) مطلعها: جانا قبول گردان ابن جست وجوى مارا

بنده ومريد عشقيم، بر گير موى مارا

إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُ طَبْعَنَا، فَانشده فِي لُطْفِ الخمرِ
فَالخمرُ قد جعلَ طبعَهُ وَفقًا لِطَبْعِنَا

إِنْ صَبِيتَ البَحْرَ فَلَنْ نرتوي أَوْ نَمْتَلِي
لأنَّكَ وضعتَ الجُمُجُمَةَ مقلوبةً بِرَأْسِنَا^(١)

ها هم أولاءُ السُّكاري يَفْدُونِ إلى البُستانِ فوجًا فوجًا
كيفَ لا يَأْتِي المَخْمُورُ حينَ يَشْمُ رائِحَتِنَا؟

عُطَارِدُ^(٢) يتركُ الأدبَ، يَغسِلُ الكُتُبَ
إِنْ سَمِعَ البُشرى بِمَقْدَمِنَا^(٣)

حَسْبُكَ، فَالدُّنيا على أهلِ الدُّنيا تَتَكَدَّرُ
إِنْ طَرَقَ سَمْعُهُمُ بَغْتَةً، هَذَا القَوْلُ مِنَّا

* * *

(١) الجمجمة مقلوبة فلا تمسك ما يوضع بها.

(٢) عطارد معروف في الأساطير بالكاتب.

(٣) أي أن العالم كله يسلم للإنسان بالمعرفة والعلم.

(٤٦)*

اتَّخَذَ الْبِنْفَسُجُ لِنَفْسِهِ مَوْضِعًا بِجَانِبِ سَوْسَنِ قَدْ أَنْحَى
بَيْنَمَا الْوَرْدَةُ الْمَكْتَسِيَةُ بِالْيَاقُوتِ تَشْرَعُ فِي تَمْزِيقِ الْعَبَا

وَمِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ أَقْبَلَتْ عَصَافِيرُ الْجَنَّةِ ذَاتُ الْأَقْبِيَةِ الْحُضْرُ
ثَمَلَةٌ طَيِّبَةٌ تَمْشِي الْهُوَيْنَا

مَضَى السَّرْوُ رَافِعًا رَايْتَهُ فَأَجَّحَ فِي الْخَرِيفِ نَارَا
وَمِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ أَطَلَّتْ شَقِيقَةُ حَمْرَاءِ^(١) عَذْبَةُ اللَّقَا

قَالَ السُّنْبُلُ لِلْيَاسَمِينِ: «سَلَامٌ عَلَيْكَ»

قَالَ: «عَلَيْكَ السَّلَامُ، ادْخُلِ الرَّوْضَ يَا فَتَى»

(*) مطلعها: باز بنفشه رسيد جانب سوسن دوتا

باز گل لعل بوش می بدراند قبا

(١) نوع من الورد الأحمر الكبير يتميز بأوراقه العريضة وبألوانه الحمراء الزاهية.

يَقُومُ فِي كُلِّ نَاحِيَةِ عَارْفٍ، وَفِي كُلِّ طَرَفٍ صُوفِيٍّ زَاهِدٌ
مُصَفِّقِينَ كَالوَرَقِ الْعَضِّ، رَاقِصِينَ كَرِيحِ الصَّبَا

حِينَ أَخْفَتِ الْبُرْعَمَةُ وَجَهَهَا كَأَنَّهَا فِتَاءُ حَيَّةٍ
كَشَفَتْ الرِيحُ رَدَاءَهَا وَقَالَتْ: اكشِفي عَنِّي وَجْهَكَ يَا مَلِيحَتِنَا

الْحَبِيبُ عِنْدَنَا فِي هَذَا الْحَيِّ، الْمَاءُ عِنْدَنَا فِي هَذَا الْغَدِيرِ
وَالزَيْنَةُ نَيْلُوفَرِيَّةٌ، فَلِمَ -إِذْن- هَذَا الشُّحُوبُ وَالظَّمَا؟

ذَهَبَ أَوَّلُ الشِّتَاءِ^(١) الْجَهْمُ، قُتِلَ قَاتِلُ السُّرُورِ وَالسَّعْدِ
طَالَ عُمُرُكَ أَيُّهَا الْيَاسَمِينُ سَرِيعَ التَّمَايُلِ وَالخُطَا

بَيْنَمَا رَمَقَ التَّرْجِسُ الْعُشْبَ بِاللَّحْظِ
أَدْرَكَ الْعُشْبُ قَوْلَهُ فَهَتَفَ: أَمْرُكَ مُطَاعٌ أَبَدًا

قَالَ الْقُرْنُفُلُ لِلصَّفْصَافِ: «لِي عِنْدَكَ رَجَا»
قَالَ: «بَيْتُ عَزَّابِي خَلَوْتُكَ، الصَّلَا».

(١) فِي الْأَصْلِ: دَى، وَهُوَ الشَّهْرُ الْأَوَّلُ مِنْ شَهْرِ الشِّتَاءِ عِنْدَ الْفَرَسِ، يَتَمَيَّزُ بِشِدَّةِ الْبَرْدِ وَالصَّقِيعِ.

قَالَتِ التَّفَاحَةُ لَزَهْرَةَ الْفُلِّ: «مَاذَا دَهَاكَ»؟
قَالَتْ: مِنْ خَوْفِ الْحَسَدِ أَنَا لَا أَتَّجَلَّى

هَتَفَتْ وَرِقَاءً: «كُو، كُو، أَيْنَ الْحَبِيبُ، كُو؟»^(١)
فَدَلَّهَا عَلَى الْوَرْدِ بُلْبُلٌ عَذْبُ النَّدَا

هَنَّاكَ رَبِيعٌ مُخْتَلَفٌ غَيْرُ رَبِيعِ الْعَالَمِ
فَمَرَى الطَّلْعَةَ، بِاسْمِ الثَّغْرِ.. أَعْطَنِي الْخَمْرَ يَا سَاقِيَا

بَضْعُ كَلِمَاتٍ بَقِيَتْ، لَكِنَّ التَّمَهَّلَ وَالتَّرِيثَ أَوْلَى
فَكُلُّ مَا فَاتَنِي بِاللَّيْلِ، أَقْضِيهِ غَدًا

* * *

(١) الوراقاء: الحمامة، وكو، بالفارسية تعني أين؟

(۴۷)*

أنا بالبَابِ، هَلُمَّ، افتحِ البابَ
فغلقُ البابِ لا يُدُلُّ على الرِّضَا

في قلبِ كُلِّ ذَرَّةٍ لَكَ عَتَبَةٌ
إِنْ لَمْ تَفْتَحْهَا، كَانَتْ فِي خَفَا

مَنْ بالبَابِ لَيْسَ أَنَا، بَلْ أَنْتَ
امْنَحْنِي طَرِيقًا، افْتَحْ إِلَيْكَ بَابَا

جَاءَ كَبْرِيَتْ إِلَى صَدْرِ نَارٍ هَاتِفًا
أُخْرِجِي، يَا حَبِيبَتِي، هَلُمَّ إِلَيَّ

صُورَتِي لَيْسَتْ صُورَتِكَ، لَكِنِّي أَنْتَ بِأَجْمَعِي
وَصُورَتِي هِيَ كَالْغَطَا

(*) مطلعها: هین که منم بر در، در بر گشا

بستن در نیست نشانِ رضا

أَغْدُو أَنَا أَنْتَ صُورَةٌ وَمَعْنَى، وَحِينَ تَصَلُّ
تَمَّحِي صُورَتِي عِنْدَ اللَّقَا

قَالَتِ النَّارُ: «أَنَا قَدْ خَرَجْتُ
فَلَمْ أَخْفِي وَجْهِي عَنِ نَفْسِي لِمَ؟»

أَنَا فِي قَلْبِكَ بِأَجْمَعِي
فَأَقْبِلْ صَوْبَ قَلْبِكَ، مَرَّحِبًا

يَا حَبِيبِي وَيَا خَاطِفَ قَلْبِي، يَا مَنْ
لَكَ جَوْهَرَةٌ، هِيَ الْقَلْبُ، قَدْ وُلِدَتْ مِنْ بَحْرِنَا

* * *

(٤٨)*

هَتَفَ النَّجْمُ: «عَمَّ الضِّيَاءُ هَذَا الْمَسَا»
قُلْتُ لِلْكَوَاكِبِ: «مَعِيَ الْقَمَرُ هَذَا الْمَسَا»

أَصْعَدُ إِلَى السَّقْفِ الْأَعْلَى طَلَبًا لِلصَّلَا^(١)
قَطَفُ الْوَرْدِ هَذَا الْمَسَا، شَرِبُ الْحَمْرِ هَذَا الْمَسَا

إِلَى الصَّبَاحِ حَبِيبِنَا مُسْتَكَنَّ - كَالْقَلْبِ - فِي صَدْرِنَا
بِيَدِهِ ضَمَّنَا بِحَفَرٍ وَبِرٍّ هَذَا الْمَسَا

إِلَى الصَّبَاحِ كَأْسُ الْحَمْرِ دَائِرٌ وَالْعَطَا
إِلَى الصَّبَاحِ الْوَرْدُ فِي خَلْوَةٍ مَعَ السَّوْسِنِ الْأَزْهَرِ هَذَا الْمَسَا

أَنَا أَسْخُو بَصَبٍ خَمْرِ الْوِصَالِ عَلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ هَذَا الْمَسَا
سُرُورًا بِقَمْرِكَ، وَقَدْ عَلَا الرَّوْزَةُ وَسَفَرِ هَذَا الْمَسَا

* * *

(*) مطلعها: آواز داد اختر: "بس روشن، است امشب"

گفتم ستارگان را: «مه من است امشب»

(١) انظر القصيدة رقم ١ البيت ٩، ١١.

(٤٩)*

عَرَضَ لِذَلِكَ السَّيِّدِ مُذْ اِنْتَصَفَ اللَّيْلُ مَرَضٌ
حِينَ أَطْلَّ حَتَّى الصَّبَاحِ عَلَيْنَا ذَاهِلًا مِنْ فَوْقِ الْجِدَارِ

بَكَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مِنْ أُنَيْنِهِ وَانْتَحَبَا
التَّهَبْتُ مِنْهُ الْأَنْفَاسُ، كَأَنَّهُ فِي بَيْتِ نَارٍ

قَدْ اِنْتَابَهُ مَرَضٌ عَجِيبٌ، مَا هُوَ بِصُدَاعٍ وَلَا حُمَّى ذَاتِ لَهَيْبٍ
مَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَوَاءٍ، مَرَضٌ قَدْ آتَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

حِينَ رَأَى جَالِينُوسَ^(١) وَجَسَّ نَبْضَهُ، قَالَ هُوَ
«دَعْ يَدَيَّ، بَلِ الْقَلْبَ عَايِنُ، فَدَائِي خَارِجٌ كُلِّ قَاعِدَةٍ وَقَانُونٍ»

(*) مطلعها: آن خواجه را از نيمشب بيمارى پيدا شده است

تا روز بر ديوار ما بى خويشتن سر مى زده ست

(١) جالينوس: الطبيب اليوناني المشهور، يُنسبُ إليه علم الطب القديم، وهو رمز لتحقيق الشفاء.

مَا لَهُ نَوْمٌ وَلَا مَطْعَمٌ، بَلِ الْعِشْقُ لَهُ رَاعٍ كَرِيمٌ
فَهَذَا الْعِشْقُ الْآنَ لِلْسَيِّدِ مُرْضِعَةٌ وَأُمٌّ رَوْوَمٌ

هَتَفْتُ «رُحْمَاكَ يَا إِلَهِي»، لَعَلَّهُ يَرْتَأِحُ سَاعَةً
مَا سَفَكَ لِأَحَدٍ دَمًّا، وَلَا أَكَلَ لِأَحَدٍ مَالًا

وَجَاءَ الْجَوَابُ مِنَ السَّمَاءِ، أَنْ خَلَّصَهُ بِالْيَقِينِ
بِأَنَّ بَلْوَى الْعُشَاقِ، لَا يَنْفَعُ مَعَهَا عِلَاجٌ وَلَا دَوَا

كَيْفَ وَجَدْتَ الْعِشْقَ؟ وَأَنْتَ لَمْ تَسْمَعْ عَنِ الْعُشَاقِ
صِهِ لَا تَهْدِ، فَمَا هُوَ بِسِحْرِ وَلَا دَجَلٍ

* * *

(٥٠)*

جئتُ كي أشدُّكَ من أذُنِكَ نَحْوِي رُوَيْدًا رُوَيْدًا
وَأَفْرَعًا مِنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ؛ ثُمَّ أَنْصُبُكَ فِي الْقَلْبِ وَالرُّوحِ نَصْبًا

جئتُكَ رَبِيعًا طَلَقًا يَا شَجَرَ الْوَرْدِ
كي أَخْذُكَ فِي أَحْضَانِي بُودًا، وَأَضْمُكَ إِلَيَّ ضَمًّا^(١)

جئتُ كي أَظْهَرَكَ لِلْعَيَانِ فِي هَذِهِ الدَّارِ
وَأَبْلُغُ بِكَ - كَدُّعَاءِ الْعُشَّاقِ - السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ الْعُلَا^(٢)

(*) مطلعها: أمده ام تا به خود گوش كشان كشان نمت

بي دل وبی خودت کنم، در دل و جان نشا نمت
تبدو هذه القصيدة وكأنها خطاب من الحقّ - تعالى - للإنسان الذي يحبه، لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤).

(١) النفحات الربانية وعونُ الحقّ - تعالى - يريّبان ملكات الإنسان ويشحذان قواه الكامنة، فيصبح عند ذلك مشمولاً برحمة الحقّ ومحبته ورضوانه.

(٢) إشارة إلى معراج الرسول محمد ﷺ حادي قافلة البشرية ورائدها إلى الأعتاب الإلهية.

جئت كي أقول: «رُدّ - عن طيب خاطرٍ - قبلةً اختطفتها من حسناء»^(١)
أيها السيّد، لأنّي سأستردّك حتماً

وما الورْدُ؟ أنت الكُلُّ، أنت من ينطقُ بالأمرِ «قُلْ»
إن لم يعرفك الغَيْرُ، فأنا أعرفك لأنك أنا^(٢)

حبيبي أنت وروحي، أنت من يقرأ فاتحتي^(٣)
فصِرْ كلك فاتحةً، كي أقرأك بقلبي أنا

أنت صيدي، فإن كنت قد فررت - يا فريستي - من الشباك^(٤)
فعد إلى الفخ رجّعا، وإن لم تفعل أعدنك أنا^(٥)

قال لي الأسدُ «يا أعجوبة الغزلان، اذهب
لم تعدو في إثري مُسرِّعا كي أمزّك إربا»

-
- (١) لعل الشاعر يريد بالحسناء هنا: الدنيا وزينتها وزخرفها، وتعلّق الإنسان بها.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى عن خلقه «لآدم»: ﴿ تَرَسَّوْنَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ (السجدة: ٩). وقوله
تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ... ﴾ (الحجر: ٢٩).
(٣) أنت قارئ قرآني وفاتحة القرآن، أم الكتاب.
(٤) الشباك: الفخ.
(٥) اربط قلبك - وأنت في حياتك الدنيا - بالرجوع إلى أصلك العلوي، فإن لم تفعل فأنت راجع لا
محالة حين تفارق هذه الحياة الدنيا.

تَلَقَّ الضَّرْبَةَ وَتَقَدَّمَ، كِدْرِعَ الشَّجَاعَةِ
وَلَا تُتَلَقْ بَأَلًا لِغَيْرِ الْوَتْرِ، كِي أُبْرِيكَ كَالْقَوْسِ مَحْنِيًّا

مَنْ حَدَّ التُّرَابِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ، آلَافٌ مِنَ الْمَنَازِلِ عَدِيدَةٍ
دَفَعْتُ بِكَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، وَلَنْ أَدْعَكَ بِأَوَّلِ الطَّرِيقِ أَوْ أَتَخَلَّى (١)

لَا تَقُلْ شَيْئًا، وَلَا تُرْغِ أَوْ تُزْبِدِ، لَا تَرْفَعْ غِطَاءَ الْقَدْرِ
أَعْلَ جَيْدًا، تَدْرَعُ بِالصَّبْرِ، كَيْ أُسَوِّبَكَ نُضْبَجًا (٢)

أَنْتَ كُرْتِي تَجْرِي فِي صَوْلِجَانِ حُكْمِي
وَأَنَا فِي إِثْرِكَ أُجْرِي، إِنَّمَا أَدْفَعُكَ إِلَى الْبَجْرِي دَفْعًا (٣)

* * *

(١) إشارة إلى التكامل الإنساني الذي كثيرًا ما تحدث عنه جلال الدين الرومي في شعره.

(٢) للآلام قيمة إيجابية في تحقيق معراجك الروحي إلى الحق تعالى.

(٣) لعل الشاعر يريد بالكرة: الإنسان، وبالصولجان: قضاء الله وقدره، والصولجان (أو الصولج) عصا معقوف طرفها، يضرب بها الفارس الكرة. وكانت هذه اللعبة من أكثر رياضات الفروسية انتشارًا.

(٥١)*

أَضْرَكَ كَالشُّوْكَ نَفْسٌ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنٌ
وَجَادَكَ بِالنَّفْعِ نَفْسٌ يَخْلُو مِنْ الذَّاتِ (١)

لِكُلِّ هَامَّةٍ (٢) صِرَتْ صَيْدًا، حِينَ صَارَ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
وَالفَيْلُ قَدْ صَارَ صَيْدًا لِمَنْ يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ

عَمَّ الْعَمَامُ وَالْغَمُّ نَفْسًا صَارَ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
وَضَمَّ بَدْرُ الدُّجَى نَفْسًا يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ

يُنَائِي الْحَبِيبُ عَنِ نَفْسٍ قَدْ صَارَ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
جَاءَ الْحَبِيبُ بِخَمْرِ إِلَى نَفْسٍ يَخْلُو مِنَ الذَّاتِ

(*) مطلقها: آن نفسی که با خودی یار چو خار آیدت

وان نفسی که بیخودی، یار چه کار آیدت

(١) يريد بالنفس والذات: النفس الأمانة، ويقارن بين الأثار المترتبة على الانصياع لها وتلك المترتبة على نهيتها ورجزها.

(٢) هامة: مفرد هوام، وهي الحشرات الضعيفة الطائفة.

ذَوَى كَحْرِيفِ نَفْسٍ صَارَ بِالنَّفْسِ مُقْتَرِنًا
وَصَارَ لَهُ الزَّمْهَرِيرُ رَيْبًا إِنَّ خِلَا مِنْ الذَّاتِ

مَا اعْتَرَاكَ مِنْ قَلْقٍ وَضَجْرٍ
قَدْ اعْتَرَاكَ لَطْلِبُكَ الْهُدُوءَ وَالسَّكِينَةَ
فَعَلَيْكَ بِالْقَلْقِ وَالضَّجْرِ مَعًا
كَيْ تَأْتِيَ إِلَيْكَ السَّكِينَةُ تَسْعَى

كُلُّ مَا بِكَ مِنْ مَرَارَةِ الذَّوْقِ
أَتَاكَ لِطَلْبِكَ لَذَّةَ الطَّعْمِ
إِنْ تَرَكْتَ تِلْكَ اللَّذَّةَ
صَارَ السُّمُّ الزُّعَافُ عِنْدَكَ حُلُومًا

قَدْ أَصَابَكَ مَا أَصَابَكَ
لِحَرْصِكَ عَلَى تَحْقِيقِ الْمُرَادِ
وَإِلَّا فَكُلُّ مَقْصِدٍ هُوَ لَكَ
يَأْتِيكَ طَوْعًا نَبْرًا تَحْتَ قَدَمَيْكَ

كُنْ عَاشِقًا جَوْرَ الْحَبِيبِ^(١)، لَا عَاشِقًا حُبَّ الْحَبِيبِ
يَأْتِي الْحَبِيبُ ذُو الدَّلِّ مُتَمِّمًا بِالْعِشْقِ إِلَيْكَ يَسْعَى

شمسُ الدين، سلطانُ الشرق

إن بزغ من قبل تبريز

فالتشعرن - والله - بالعار

من هذه النجوم وتلك الأقمار حتما^(٢)

* * *

(١) العاشق يستعذب العذاب الذي يلقاه من هجر الحبيب.

(٢) فأين نور النجوم والأقمار من نور الشمس.

(۵۲)*

تَعَالَوْا، تَعَالَوْا، قَدْ تَفْتَحَتِ الْخَمِيلَةُ وَالرُّؤُوسُ
تَعَالَوْا، تَعَالَوْا، قَدْ وَصَلَ الْحَبِيبُ

هَاتُوا كُلَّ الرُّوحِ وَالْعَالَمِ
سَلِّمُوهُمَا الشَّمْسَ الَّتِي سَلَّتْ سَيْفَهَا بِحُنُوءٍ وَحُبُورٍ

اضْحَكُوا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيحِ الَّذِي يُبْدِي الدَّلَالَ
ابْكُوا ذَلِكَ الْحَبِيبِ الَّذِي انْقَطَعَ عَنِ الْحَبِيبِ

أَثِيرُوا الْمَدِينَةَ كُلَّهَا، فَقَدْ سَرَتْ سَائِعَةٌ
بَأَنَّ الْمَجْنُونِ قَدْ تَفَلَّتْ ثَانِيَةً مِنَ الْقَبُودِ

يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ، وَيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ؟! كَأَنَّمَا هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
أَقْبَلْتُ صَحِيفَةَ الْأَعْمَالِ مِنَ الْأَفَاقِ تَطْيِيرُ

(*) مطلعها: بیااید، بیااید، که گلزار دمیده ست

بیااید، بیااید، که دلدار رسیده ست

دُقُّوا الطُّبُولَ، وَلَا تَقُولُوا بَعْدُ شَيْئًا
فَلَا مَحَلَّ لِلْعَقْلِ وَالْقَلْبِ، إِذَا آثَرَتِ الرُّوحُ نَفْسَهَا الْهُرُوبَ

* * *

(٥٣)*

مَرَّةً أُخْرَى، ذَاكَ الْحَبِيبُ الْعَيَّارُ^(١) وَجَدَنِي
كَانَ فِي السُّوقِ يَسْعَى ثِمَلًا فَوَجَدَنِي

أَخْفَيْتُ نَفْسِي عَنِ النَّرْجِسِ^(٢) الْمَخْمُورِ، فَرَأَنِي
لُذْتُ بِالْفِرَارِ مِنْ بَيْتِ الْحَمَّارِ فَوَجَدَنِي

فِيمَ كَانَ - فَرَارِي؟ وَمَا سَلِمَ مِنْهُ غَيْرِي
فِيمَ كَانَ اخْتِبَائِي؟ وَهُوَ مَائَةٌ مَرَّةً وَجَدَنِي

قُلْتُ: «وَمَنْ يَجِدُنِي فِي زَحْمَةِ الْمَدِينَةِ؟»
- إِنَّهُ هُوَ مَنْ فِي زَحْمَةِ الْأَسْرَارِ وَجَدَنِي

(*) مطلعها: بار دگر آن دلبر عیار مرا یافت

سر مست همی گشت به بازار مرا یافت

يبدو الشاعر وكأنه يتحدث - في هذه القصيدة - عن شيخه شمس الدين ولقائه به أول مرة حين التقيا في قونية (راجع المقدمة)؛ فلقد كان هذا اللقاء قدرًا مقدورًا لا فرار منه، قد أراد الله له به خيرًا كثيرًا.

(١) «العيَّار: الذكي الكثير التصرف» (القاموس).

(٢) إشارة إلى العين التي نامت عن العالم المادي بخمر المعرفة الإلهية.

يَا لَهَا مِنْ بُشْرَى! أَنْ بَحَثَتْ عَنَّا غَمَزَةَ الْغَمَّازِ
وَيَا لَهُ مِنْ سَعِيدٍ! فَالسَّارِقُ بِحَبَائِلِ شَعْرِهِ صَادِنِي

تَقَطَّرَ أَثْرٌ مِنْ دَمِي فِي كُلِّ طَرِيقٍ
قَدْ كَانَ يَتَّبِعُنِي، وَبِالْأَثْرِ وَجَدَنِي

فَرَرْتُ كَالْغَزَالِ مِنَ الْأَسَدِ إِلَى الصَّحْرَاءِ^(١)
ذَاكَ الْأَسَدُ - فِي رِحْلَةٍ صَيْدٍ - بِالْجِبَالِ وَجَدَنِي

الْيَوْمَ لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ وَلَا نُطْقَ
فَأَصْلُ كُلِّ فِكْرٍ وَنُطْقٍ وَجَدَنِي

* * *

(١) يبدو الشاعر وكأنه يتحدث عن القَدَر الذي لا يستطيع الإنسان الفرار منه. وقد استحسّن الإمام أبو حامد الغزالي تشبيه القدر بالأسد، (انظر: إحياء علوم الدين، كتاب الخوف والرجاء - باب البيان - أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه).

(٥٤)*

هَذِهِ الدَّارُ الَّتِي يَعْلُو بِهَا دَوْمًا صَوْتُ المَزْمَارِ
سَلِّ صَاحِبَهَا؛ أَيُّ دَارٍ هَذِهِ الدَّارُ

وَمَا صُورَةٌ هَذَا الصَّنَمِ، أَهِيَ بَيْتُ الكَعْبَةِ^(١)
وَمَا نُورُ اللَّهِ هَذَا؟ أهُوَ مِنْ بُيُوتِ المَجُوسِ أَوْ قَدَّتْ بِهِ النَّارُ؟^(٢)

فِي هَذِهِ الدَّارِ كَنْزٌ لَا يَسَعُهُ الكَوْنُ
وَمَا الدَّارُ وَمَا الصَّاحِبُ إِلَّا فِعْلٌ وَحُجَّةٌ تُنَازَرُ

لَا تَلْمَسِ الدَّارَ فَمَا هِيَ إِلَّا طَلَسْمٌ
لَا تُخْبِرُ صَاحِبَهَا أَنَّهُ يَثْمَلُ اللَّيَالِيَّ وَالْأَسْحَارَ

(*) مطلعها: ابن خنانه كه پیوسته در او بانگ چغانه ست

از خواجه بېر سید کله ابن خنانه چه خانه ست؟

(١) لعلّه یرید بالدّار والصّنم وبيت الكعبة جسم الإنسان، الذي خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه،
وأسجد له ملائكته، وفضله على كثير من خلقه، وسخر له ما في السماوات والأرض، وميّزه عن

سائر خلقه بالقلب الحيّ الذي يتحرّق شوقاً إلى الرجوع إلى الأصل الأول.

(٢) النور: الروح المشرقة التي تنلظي بالمحبة والشوق.

تُرَابُ الدَّارِ وَقُشُّهَا مِسْكٌ كُلُّهُ وَعَنْبَرٌ
صَرِيرٌ بِأَبِهَا شَدُوُّ كُلِّهِ وَأَشْعَارُ

جُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنْ مَنْ سَلَكَ فِيهَا طَرِيقًا
هُوَ سُلْطَانُ الْأَرْضِ وَسُلَيْمَانُ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَعْصَارُ

اسْتَبَدَّتْ الْحَيْرَةُ بِالْبُسْتَانِ: مَا الْوَرَقُ وَمَا الْبُرْعُمُ؟
اشْتَدَّ الْوَلَهُ بِالطَّيْرِ: مَا الْحَبُّ وَمَا الْفَخُّ الْمَحْفُوفُ بِالْأَخْطَارِ؟

إِنَّمَا هُوَ سَيِّدُ الْفَلَكَ، يُشْبَهُ الزُّهْرَةَ وَالْقَمَرَ
وَهِيَ دَارُ الْعِشْقِ، لَا تُقَاسُ بِالْأَمْتَارِ

دَارٌ كُلُّهَا ثِقَةٌ وَتَمَكِينٌ، فَلَا يَدْرِي أَحَدٌ
عَنْ فُلَانَةٍ أَوْ فُلَانٍ، مِمَّنْ يَدْخُلُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

مَنْ بِاللَّهِ تَمَلَّى هُمْ (وَإِنْ كَانُوا أَلُوفًا) وَاحِدٌ
وَمَنْ بِالْهَوَى تَمَلَّى، هُمْ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَأَعْدَادٌ كَثِيرٌ

أَيُّهَا الْقَلْبُ، لَا تُضْرِمِ النَّارَ فِي الدَّغَلِ، صَهٍ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، فَمَا لِسَانُكَ إِلَّا شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ

* * *

(٥٥)*

أَغْمَضْتَ عَيْنَكَ، تَعْنِي حَانَ وَقْتُ النَّوْمِ
لَيْسَ ذَاكَ بِنَوْمٍ، بَلْ لِلنَّدَامِ^(١) جَوَابٌ

قَدْ عَلِمْتَ أَنَّنَا قَلَّمَا نَنْبُتُ قَلَّمًا
وَلِمُقَلَّتِكَ السَّكْرَى تَعْجَلُ وَذَهَابُ

حَبَّذَا الْجَفَا مِنْكَ، فَاللُّطْفُ وَالْوُدُّ فِيهِ
حَبَّذَا الْخَطَا مِنْكَ: هُوَ عِنْدَنَا عَيْنُ الصَّوَابِ

أَشْعِلْ بِالْعَيْنِ فِي النَّوْمِ نَارًا^(٢)
فَمَا الْعَيْنُ وَالْقَلْبُ فِينَا إِلَّا شِوَاءٌ وَكِبَابٌ

(*) مطلعها: ببستي چشم، يعني وقت خواب است

نه خواب است آن، حریفان را جواب است

(١) جميع نديم.

(٢) عينك تضرم في النوم نارا ولا تبقى له اثرا.

إِنْ قِيلَ: «العشْقُ مِنَ السَّاقِي»

قِيلَ «بَلْ هُوَ فِعْلُ الشَّرَابِ»^(١)

فَمَا الْحَمْرُ وَمَا السَّاقِي؟ لَا شَيْءَ إِلَّا الْحَقُّ

يَعْلَمُ اللَّهُ أَمْرَ هَذَا الْعِشْقِ، هُوَ مِنْ أَيِّ بَابٍ

* * *

(١) الشراب: خمر المعرفة الإلهية، وبها لا يقيم الإنسان وزناً ولا يُلقَى بالألغير الحق -تعالى-.

(٥٦)*

طَالَمَا كَانَ طَيْفُ الْحَبِيبِ مَعَنَا
فَإِنَّ لَنَا طَوَالَ الْعُمُرِ تَفَرُّجٌ وَحُبُورٌ

حَيْثَمَا كَانَ وَصَالَ الْأَحَبَّةَ
فَالصَّحْرَاءُ - وَاللَّهِ - بَيْتَ مَعْمُورٍ

وَحَيْثَمَا تَحَقَّقَ مُرَادُ الْقَلْبِ
فَالشُّوْكَةُ تَفْضُلُ آلَافَ التُّمُورِ

إِنْ هَجَعْنَا عَلَى نَاصِيَةِ الْحَبِيبِ
فَوَسَادَتُنَا الثَّرِيًّا وَلِحَافُنَا النَّجْمُ الْمُنِيرُ

(*) مطلعها: تا نقش خیال دوست با ما

ما راهمه عمر خود تماشا

إِن تَأَلَّقَ أَنْعَاسُ جَمَالِهِ
فَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ دِيْبَاخٌ وَحَرِيرٌ

إِن تَلَمَّسْنَا فِي الرِّيحِ عِطْرَهُ
فَفِي الرِّيحِ عَزْفُ نَائٍ وَمِزَامِيرٌ

إِن خَطَطْنَا اسْمَهُ عَلَى الثَّرَى
فَكُلُّ حَبَّةٍ مِنَ الثَّرَى وَاحِدَةٌ مِنَ الْحَوْرِ

لَوْ تَلَوْنَا عَلَى النَّارِ مِنْهُ تَعْوِيدَةً
فَالنَّارُ الْمُسْتَعْرِةُ مَاءُ الْغَدِيرِ

مَا بَالِي أُطِيلُ الْقَوْلَ
فَأَنَا حِينَ أَهْتَفُ بِاسْمِهِ عَلَى الْعَدَمِ، فَالْوُجُودُ يَزِيدُ

وَحِينَ يَتَجَلَّى الْعَشْقُ بِطَالِعِهِ
فَكُلُّ هَذَا، يَفْنَى وَيَبِيدُ

* * *

(۵۷)*

هَنِيئًا لَكَ مَا شَرِبْتَ مِنْ خَمْرِ السَّحْرِ
فَتَقَدَّمْ - إِذْنٌ - كِي أُسْرَفِي أُذُنِكَ سِرًّا

خَمْرُ الرُّوحِ بَدَتْ نَادِرَةً، فَأَمَضِ إِذْنٌ وَمِنْهَا تَجَرَّعُ
فَجِرْعَةٌ وَاحِدَةٌ تُذْهِبُ كُلَّ مَا فِيكَ عَقْلًا كَانَ أَوْ مَكْرًا

إِنْ خَلَصْتَ مِنَ الْفِكْرِ، بِالمُسَاقَاةِ وَبِالسُّكْرِ
يَهْبُكُ بَائِعِ الْخَمْرِ - بِالْجَوْدِ - مَائَةٌ فِكْرٍ آخَرَ

إِنْ دَخَلْتَ فِي الْأَسْرَارِ، جَعَلْتِكَ رُوحَ السُّقَا وَالْحُمَارِ
تَضَجُّ السَّمَاءُ بِصِرْحَةٍ، عَلَتْ مِنْكَ، أَوْ صَوْتِ سِرِّ

(*) مطلعها: هله، ای آنکه بخوردی سحری باده که نوشت

هله پیش آکه بگویم سخن راز به گوشت

عِنْدَ الْإِصْبَاحِ يَأْتِي إِلَيْكَ، مَنجُمُ الْمَلَاَحَةِ بِقَدْحٍ
يَزْهُو عَلَى مَائَةٍ كُنْتَ تَشْرِبُهَا الْبَارِحَةَ لَيْلًا

إِنْ لَمْ تُقَلِّ هَائِيًا أَوْ لَمْ تُقَلِّ هَوِيًّا^(١)
فَالْمَوْتَى وَالْجَمَادُ تَغْلِي بِغَلِيكَ غَلِيًّا

إِنْ أَنْتِ أَغْلَقْتِ الْفَمَ، رَاقَ لَكَ الصَّمْتُ
لَكِنَّ جَذْبَ النَّدَامِ، لَا يَدْعُكَ صَامِتًا

* * *

(١) ها: إشارة تختص بالقريب. وهو: إشارة إلى الحق تعالى، كقولك: هو الله.

(۵۸)*

تَاللَّهِ لَنْ أَدْعُكَ تَسْلُكَ طَرِيقَ السَّلَامَةِ
فَلَا رَأْسَ وَلَا قَدَمَ، وَلَا سَلَامَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

اجْعَلِ الْقَلْبَ وَالرُّوحَ فَنَاءً لـ «لا»، اجْعَلْ جَسَدَكَ كَالْعَبَا
لَا تُحَدِّثُ بِأَثَرٍ، أَوْ تُحَدِّثُ بِخَبِيرٍ، وَلَا بِدَلِيلٍ أَوْ عِلَامَةٍ

حِينَ خَلَصْتُ مِنَ النَّفْسِ، سَدَدْتُ طَرِيقَ الْفِكْرِ
فِيهَا أَيُّهَا السَّاقِي، ثَمَلٌ سَكَرَانُ أَنَا، فَخَلَّضَنِي بِالتَّمَامَةِ (۱)

أَلَا فَاقْفِزِ، أَلَا فَاقْفِزِ، وَقَدَمًا عَلَى الرَّأْسِ ضَعِ
أَلَا فَحَلِّقِ، أَلَا فَحَلِّقِ وَاغْلُ مِثْلِي عَلَى الشُّكْرِ وَالْغَرَامَةِ

(*) مطلعها: بخدا کت نگذارم که روی راه سلامت

که سر وپا وسلامت نبود روز قیامت

(۱) کذا في الأصل كلمة عربية تعني: تمامًا.

أَقْطَعُ أَيُّهَا الْعِشْقُ - كَمَوْسَى - رَأْسَ فِرْعَوْنَ التَّكْبِيرِ
أَلَا يَا فِرْعَوْنَ! تَقَدَّمْ، فَقَدْ أَخَذْتُ بَابَكَ وَسَقَفَكَ وَالْعَلَامَةَ (١)

حَذَارِ كَيْ لَا تَدْوُرَ عَبَثًا إِذَا بَلَغْتَ الْحَوْضَ
فَقَطَرْتُهُ مَاءَ الْحَيَاةِ، وَشَطَّهٖ مَوْضِعُ الْإِقَامَةِ

إِنْ وَقَعْتَ فِي الْحَوْضِ، أَعْطِهِ كُلَّ ذَاتِكَ
لَا تُحَرِّكْ يَدًا وَلَا قَدَمًا، مَهَارَةً مِنْكَ أَوْ شَهَامَةً

الزِّمِ التَّسْلِيمِ وَالصَّمْتِ تَمَامًا، فَلَسْتَ دُونَ الْجَمْعِ إِمَامًا
فَلَنْ يَبْلُغَ أَحَدٌ أَبَدًا، بَغَيْرِ هَذَا الْعِشْقِ الْإِمَامَةَ

* * *

(١) يعني علامات الملك وإشارات السلطة.

(۵۹)*

أَيْنَ مَنْ يَجْعَلُ رُوحِي سَكْرِي بِلَا خَمْرٍ، أَيْنَ؟
أَيْنَ مَنْ يُخْرِجُ الْيَدَ مِنْ رُوحِي وَقَلْبِي^(۱)، أَيْنَ؟

وَمَنْ أَقْسَمْتُ إِلَّا بِرَأْسِهِ،
وَمَنْ نَقَضَ عَهْدِي وَتَوَبَّتِي، أَيْنَ؟

وَمَنْ بِسَبَبِهِ تَصْرَخُ الْأَرْوَاحُ فِي السَّحَرِ
وَمَنْ حُزْنُهُ انْتَزَعَنَا مِنْ مَوْطِنِنَا، أَيْنَ؟

هُوَ رُوحُ الرُّوحِ، فَإِنْ كَانَ بِلَا مَكَانٍ فَلَا عَجَبَ
مَنْ يَطْلُبُ مَكَانًا وَهُوَ فِي جَسْمِنَا^(۲)، أَيْنَ؟

(*) مطلعها: آنگه بی باده کند جان مرا مست کجاست؟

وانکه بیرون کند از جان ودلم دست کجاست؟

(۱) یعنی: مَنْ هو مقيم بقلبي، لا يجد راحته إلا فيه.

(۲) إشارة إلى روح الإنسان.

مَنْ أَغْلَقَ سِتَارَةَ الْقَلْبِ الْمُنِيرِ، وَعَرَضَ الْأُخَيْلَةَ وَالتَّصَاوِيرَ
مَنْ عَلَّقَ عَلَى الْقَلْبِ -خَفِيَّةً- حِجَابًا كَهَذَا، أَيْنَ؟

إِنْ لَمْ يَتَمَلَّكِ الْعَقْلُ، فَلَنْ تَنْحَدَلَ «كَيْفَ وَلِمَاذَا»^(١)
وَمَنْ أَصْبَحَ سَكْرَانًا، تَرَكَ «كَيْفَ وَلِمَاذَا»، فَأَيْنَ؟

* * *

(١) إِنْ لَمْ تَمَلِّكِ الْعَقْلَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَمَحَبَّتَهُ، اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْحَيْرَةُ وَاسْتَغْرَقَتْهُ مَقَائِيسُ الْمَادَةِ وَالْحَسِّ وَضَلَّ
فِي بِيْدَاءِ الطَّلَبِ.

(٦٠)*

الحُبُّ والهَيَامُ أَسْرَارُنَا
الْأَمْرُ أَمْرُنَا، وَلَمْ لَا!!، وَهَوَ رَفِيقُنَا

قَدْ وَلَّى عَصْرُ بَائِعِي الْقَدِيمِ
إِنَّمَا نَحْنُ بَائِعُو الْجَدِيدِ، وَهَذَا السُّوقُ سُوْقُنَا

إِنْ أَضْحَى الْعَقْلُ سُلْطَانَ هَذَا الْإِقْلِيمِ (١)
صَارَ كَاللِّصِّ مُعَلِّقًا عَلَى أَعْوَادِنَا (٢)

كُلُّ مَا كَانَ سُمًَّا أَوَّلًا، صَارَ تَرْيَاقًا عِنْدَنَا
كُلُّ مَا كَانَ حُزْنًا وَأَسَى، هُوَ الْآنَ مَحْزُونٌ لَنَا

(*) مطلعها: دلبری وبيدلی اسرار ماست

کار کار ماست چون او یارِ ماست

(١) هذا الإقليم: هذا العالم المادي المحسوس.

(٢) الأعواد: المشانق.

نَدْرُ نُفُوسِنَا وَذَوِي الْقُرْبَى

فَكُلٌّ مَنْ كَانَ مِنَّا، هُوَ الْآنَ أَغْيَارٌ^(١) لَنَا

الْعُجْبُ بِالنَّفْسِ، حَالَةٌ مِنَ الْبُؤْسِ

إِيْمَانُنَا بِهَا، هُوَ إِنْكَارُنَا

طُوبَى لِعَزَلٍ^(٢) يَأْتِي مِنْ غَيْرِ نَفْسِي

هَذَا الْأَيْنُ الْبَائِسُ، إِنَّمَا يَصُدُّرُ عَنْ قِيَّارَتِنَا

شَمْسُ الدِّينِ التَّبْرِيْزِ، بِنُورِ ذِي الْجَلَالِ

هُوَ فِي الْعَالَمِيْنَ، أَصْلُ إِقْرَارِنَا

* * *

(١) الأغيار: من هم على غير ما نحن عليه.

(٢) الغزل: ضرب من ضروب الشعر الفارسي، نسقه يشبه نسق القصيدة في الشكل، ولكن عدد أبياته أقل. وموضوعه التعبير عن مشاعر السالك في طريق الحق - تعالى - والشاعر في الغزل تبدو معانيه مبعثرة - كما يفعل الدرويش حين يبعثر الأشياء - ولكنها تبدو - بإمعان النظر - مترابطة متماسكة، راجع المقدمة.

(٦١)*

قَالَ: «مَنْ بِالْبَابِ؟» قُلْتُ: «عَبْدُكَ كَامِنٌ»

قال: «مَا خَطْبُكَ؟» قُلْتُ: «يَا بَدْرُ، لَكَ السَّلَامَةُ»

قَالَ: «إِلَامَ تَسْعَى وَتَخْفِذُ؟» قُلْتُ: «طَالَمَا تُنَادِي»

قَالَ: «حَتَّامَ تَغْلِي؟» قُلْتُ: «حَتَّى الْقِيَامَةِ»

دَعَوْتُ إِلَى الْعِشْقِ جَهَارًا، وَأَقْسَمْتُ بِالْإِيمَانِ مِرَارًا

أَنِّي بِالْعِشْقِ قَدْ أَضَعْتُ، كُلَّ مَلَكَهٖ عِنْدِي وَشَهَامَهٗ

قال: «القاضي يَطْلُبُ شَاهِدًا عَلَى الدَّعْوَى»

قُلْتُ: «الشَّاهِدُ الْحَشَا مِنِّي، وَصُفْرَةُ الْوَجْهِ عَلَامَهٗ»

قال: «شَاهِدُ جَرِحٍ^(١): فَعَيْنُكَ آئِمَةٌ»

قُلْتُ: «هِيَ بِيَمَنِ عَدْلِكَ شَاهِدٌ بَغَيْرِ غَرَامَهٗ»

(*) مطلعها: گفتا كه: «كيست بر در؟» گفتم «كمن غلامت»

گفتا چه كار دارى؟ گفتم «مها! سلامت»

(١) أي أنه ليس شاهداً من العدول، ففي عدالته جرح.

قال: «مَنْ كَانَ الرَّفِيقُ؟»، قُلْتُ: «طَيْفُكَ يَا مَلِيكَ»
قال: «مَنْ دَعَاكَ إِلَى هُنَا؟»، قُلْتُ: «عِطْرُ ثُوبِكَ وَالْعِمَامَةُ»

قال: «مَاذَا لَدَيْكَ مِنْ عَزْمٍ»، قُلْتُ: «الْمَحَبَّةُ وَالْوَفَا»
قال: «وَمَا تَبْغِي مِنَّا؟ قُلْتُ: «الطَّافُكُ الْعَامَّةُ»

قال: «وَأَيْنَ الْأَحْسَنُ؟» قُلْتُ: «قَصْرُ قَيْصَرَ»
قال: «وَمَاذَا رَأَيْتَ هُنَاكَ؟»، قُلْتُ: «مِائَةٌ كَرَامَةٌ»

قال: «وَلِمَ هُوَ خَالٍ؟» قُلْتُ: «خَشْيَةُ قَاطِعِ الطَّرِيقِ»
قال: «وَمَنْ قَاطِعُ الطَّرِيقِ؟» قُلْتُ: «هَذِي الْمَلَامَةُ»

قال: «وَأَيْنَ تَرَى الْأَمْنَ؟» قُلْتُ: «فِي الرَّهْدِ وَالتَّقَى»
قال: «وَمَا الرَّهْدُ؟» قُلْتُ: «طَرِيقُ السَّلَامَةِ»

قال: «وَأَيْنَ تَرَى الْآفَةَ؟» قُلْتُ: «فِي حَيِّ عَشِيقِكَ»
قال: «وَكَيْفَ تَرَكَ هُنَاكَ؟» قُلْتُ: «فِي حَالِ الْإِسْتِقَامَةِ»

صِه لَو نَطَقْتُ أَنَا بِطُرْفِهِ وَنِكَاتِهِ،

لَانْطَلَقْتَ مِنْ نَفْسِكَ مُحَلَّقًا، فَلَا بَابَ وَلَا سَقْفَ وَلَا عِلَامَةَ

* * *

(٦٢)*

كُلُّ جَوْرِ يَأْتِي مِنْكَ أَفْرُضُهُ عَلَى نَفْسِي غَرَامَهُ
أَضَعُ جُرْمَكَ وَنَفْسَكَ عَلَيَّ بِالتَّمَامَةِ (١)

يَا قَمْرِي الطَّلَعَةِ، إِنْ صَدَرَ عَنْكَ مَائَةٌ جَوْرٍ
كَانَتْ لِلْجَسَدِ خِلْعَةً، وَلِلرُّوحِ سَلَامَةً

لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَرَائِيَا فِيكَ نَصِيبٌ
صَارَ عِشْقُكَ نَصِيبِي، أَنْعِمِ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ

يَسْكُرُ الْكَأْسُ بِلَذَّةِ خَمْرِكَ تَارَةً
وَبِدَوَقِ كَأْسِكَ يَفُورُ فِيهِ الْمُدَامُ (٢) تَارَةً

(*) مطلعها: هر جور کز تو آید بر خود نهم غرامت

جرم ترا و خود را بر خود نهم تمامت

(١) بالتّمامة: يعني: تمامًا، انظر القصيدة رقم ٥٨، هامش ١، ص ١٩٠ فيما سبق.

(٢) المُدَام: الخمر.

يَسْجُدُ الْمَعْنَى حِينَ يَرَى وَجْهَكَ
وَكُلُّ حَرْفٍ حِينَ يَسْمَعُ كَلَامَكَ، يَرْقُصُ مُوفِيًا ذِمَامَهُ

إِنْ اسْتَرَّ الْعَاشِقُ حَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَامَةُ
لَأَنَّ نُقْلَ هَذَا الْحَمْرِ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْمَلَامَةِ^(١)

* * *

(١) فالملامة تشعذ همّة السالك وتدفعه للمُضي قُدماً في الطريق، راجع كتاب «الملامتية والصوفية وأهل الفتوة» للدكتور أبي العلا عفيفي، طبع مصر، ١٩٤٥ م.

* (٦٣)

مدينتنا اليوم لها، مائة رونق ورواء

فقد حلّ فيها اليوم، ملك الحسان

لِمَ لا تكونُ حيرى؟ لِمَ لا تكونُ ضاحكةً؟

وهيَ مدينةٌ بينَ رُبوعِها، صارمُ الزّمان^(١)

هُوَ شمسُ الحُسنِ حينَ تُشرقُ على الأرض

فَتَرِبُ الأرضِ ثمَّ يَزُهو على كِيوان^(٢)

على الفلكِ تُضربُ الملائكةُ بأجنحتها، تعني

ذاك هو سلطاننا ومليكننا، معه مائة أو مائتان

(*) مطلعها: امروز شهر مارا صد رونق است وجان است

زيرا كه شاه خويان امروز در ميان است

(١) صارم، كذا في الأصل عربية والصارم: حامل السيف الباتر الذي يصرع الزمن.

(٢) كيان: هو رُحل.

يَا رُوحَ رُوحِ الْأَرْوَاحِ، اقْرَأْ عَنَّا سَلَامًا
رُحْمَاكَ بِالضُّعْفَاءِ، فَمَا لِعَشِيقِكَ مِنْ أَمَانٍ

كَيْفَ لَا يَكُونُ الْعَالَمُ خَضِرًا طَيِّبًا، مِثْلَكَ أَيُّهَا الرَّبِيعُ
كَيْفَ يَنْعَدِمُ الْأَمْنُ، وَاللَّيْثُ حَارِسٌ سَهْرَانٍ؟

حِينَ دَقَّ بَابَ الْقَلْبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْبَيْتِ
عَلِمْتَ الرَّوْحُ مِنْ عِطْرِهِ، أَنَّهُ الْحَبِيبُ الْفِتَانُ

هُوَ قَمَرٌ لَا يَنْحَسِفُ، هُوَ شَمْسٌ لَا تَنْكَسِفُ
هُوَ خَمْرٌ بَغِيرِ خُمَارٍ، هُوَ نَفْعٌ بِلا خُسْرَانٍ

هُوَ ذَا الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ، قَدْ أَقَامَ حَفْلًا سَعِيدًا
فَالشَّمْعُ وَالْخَمْرُ وَالْحُسْنُ الْيَوْمَ بِالْمَجَانِ

صَبْهِ، كَيْ يَنْطِقَ هُوَ بَغَيْرِ حَرْفٍ أَوْ لِسَانٍ
فَمَا هَذِهِ بِالْسِنَةِ، إِنْ كَانَ النَّاطِقُ ذَاكَ اللَّسَانَ

* * *

(٦٤)*

أَظْهَرَ الطَّلْعَةَ فَالْحَمَائِلَ وَالرِّيَاضُ مُنَايَ
افْتَحَ الشَّفَةَ، فَنَظَّمَ الْجُمَانَ^(١) مُنَايَ

يَا شَمْسَ الْحُسْنِ، أَطِلِّ عَلَيْنَا لَحِظَةً مِنْ وَرَاءِ الْعِمَامِ
فَالْوَجْهَ الْمُضِيءُ لِلْأَكْوَانِ مُنَايَ

سَمِعْتُ عَبْرَ أَثِيرٍ قَرَعَ طُبُولِ الْبُرَاةِ^(٢)
فَعُدْتُ، لِأَنَّ سَاعِدَ السَّلْطَانَ مُنَايَ^(٣)

قُلْتَ عَلَى سَبِيلِ الدَّلَالِ: «كَفَاكَ إِيْدَاءٌ لِي الْآنَ وَامضِ»
وَقَوْلِكَ: «كَفَاكَ إِيْدَاءٌ الْآنَ» مُنَايَ

(*) مطلعها: بنمائي رُخْ كه باغ و گلستانم آرزو ست

بگشای لب که قند فراوانم آرزو ست
(١) في الأصل، السكر الكثير ويعني به الأسنان البيضاء اللامعة المنتظمة، وهو في الشعر العربي: نَظْمُ
الجُمان ونثره.

(٢) يعني الطبول التي كانوا يقرعونها في الصيد للفقير لكي تنطلق أو تعود.

(٣) يريد الرجوع للوقوف على يد السلطان كالصقر.

وقولك دفعاً^(١): «رُح، فالملكُ لَيْسَ بِالذَّارِ»

فما بحاجِبِ البابِ مِنْ تَمَنُّعٍ وَعِنْفوانٍ، مُنَايَ

ما أنا إِلَّا كيعقوبَ^(٢)، أشكو بئِي وَحُزني مِرارًا

وَحُسْنُ طَلْعَةِ يُوسُفَ بِنِ كَنعانٍ، مُنَايَ

تَاللَّهِ، تَغْدُو المَدِينَةُ دُونَكَ حَبَسًا

فَالضَّرْبُ بِالفيافي وَالوَدِيانِ، مُنَايَ

بَرِمْتُ بِرُفْقَةِ خَارَتِ قُواها

فَأَسَدُ اللّهِ وَرُسْتَمُ الدَّسْتانِ^(٣)، مُنَايَ

رُوحِي بَرِمْتُ بِفِرْعَوْنَ وَظَلَمِهِ

وَوَجْهُ مُوسَى بِنِ عِمْرانَ، مُنَايَ

(١) يعني دفع السائل بعيدًا عن باب السلطان.

(٢) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، أبو يوسف، عليهم السلام.

(٣) أسد الله، من ألقاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، أما رستم الدستان، فهو من

أبطال الفرس القدماء، ويُضرب به المثل في الشجاعة والإقدام.

سَمِئْتُ أَنَا سَا يَضْحُجُونَ بِالشَّكْوَى وَيَذْرُفُونَ الدَّمْعَ
فَاهَةً أَوْ صَرْخَةً مِنْ ثَمَلٍ سَكْرَانَ، مُنَايَ

أَنَا أَفْصَحُ مِنْ بُلْبُلٍ، لَكِنِّي خَوْفًا مِنْ حَسَدِ النَّاسِ،
عَلَى فَمِي خَاتَمٌ، وَالْأَيْنِ مُنَايَ

بِالْأَمْسِ أَخَذَ الشَّيْخُ فِي الْمَدِينَةِ يَسْعَى
قَائِلًا: «مَلَلْتُ شَيْطَانًا وَبَهَمًا، وَإِنْسَانًا مُنَايَ»

قَالُوا: «مُحَالٌ أَنْ يُوجَدَ، قَدْ بَحَثْنَا»

قَالَ: «وَمَا لَا يُوجَدُ، هُوَ الْآنَ مُنَايَ»

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ
مَنْ صَنَعْتَهُ جَلِيَّةً، وَهُوَ خَفِيَ عَنِ الْعَيَانِ (٤)، مُنَايَ

سَمِعْتُ أُذُنِي قِصَّةَ الْإِيمَانِ فَثَمَلْتُ
أَمَّا لِلْعَيْنِ نَصِيبٌ؟! إِنَّمَا وَجْهُ الْإِيمَانِ مُنَايَ

(٤) صُنِعَ اللَّهُ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ وَالْإِنْسَانِ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ، لَكِنَّهُ -تَعَالَى- خَفِيَ لَانْتِرَاهِ الْعَيُونَ وَلَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارَ.

قَدَحُ الخَمْرِ بِيَدِ، وَجَدَائِلُ شَعْرِ الحَبِيبِ بِيَدِ

إِنَّ رَقِصَةً وَسَطَ هَذَا المَيْدَانِ، مُنَايَ

* * *

(٦٥)*

رُؤْيَةٌ وَجْهَكَ عِنْدَ الْفَجْرِ حَيَاتُنَا
وَجْهَكَ الْمَلِيحُ الْيَوْمَ، يَا رَبِّ يَا سِرُّ الْقَلْبِ حَقًّا

فِي جَمَالِكَ الْيَوْمَ لُطْفٌ آخِرٌ
خَلِيقٌ بِكُلِّ عَاشِقٍ الْيَوْمَ، أَنْ يَمُوتَ صَبًّا

الْيَوْمَ، مَنْ كَانَ قَدْ رَامَ بِالْأَمْسِ لَوْمِي وَتَفْنِيدي
حِينَ رَأَى وَجْهَكَ، قَدَّمَ لِي مِنَ الْأَعْدَارِ أَلْفًا

مُنِيَّتِي أَنْ أَعَارَ عَيْونًا عَدَدًا، بِهَا أَنَا مَلِكٌ
فَمِمَّنْ أَعَارُ وَمَنْ ذَا يَمْلِكُ تِلْكَ الْعَيْنِ أَصْلًا

يَرِفُ حَاجِبِي^(١)، وَيَدُقُّ قَلْبِي
حِينَ يُظْهِرُ الْوَجْهَ، فَيَتْلُوهُ السَّعْدُ تَبَعًا

(*) مطلعها: از بامداد روی تو دیدن حیات ماست

امروز روی خوب تو یارب چه دلرباست

(١) إشارة إلى ما يشيع بين الناس من أن حاجب العين إذ رف فعلى الإنسان أن ينتظر خبرًا سعيدًا.

شجرةٌ أَنَا تَزُوهو عَلَى أَشْجَارِ المَرَجِ، فِي التَّمَايِلِ وَالرَّقْصِ
إِذْ وَافَانِي السَّعْدُ، وَدَارَ بِرَأْسِي رِيحُ الصَّبَا

فَكَيْفَ بِشَجْرَةٍ قَدْ وَهَبَتْهَا أَنْتَ وَرَقَا؟

وَكَيفَ بَعْرِيْبٍ قَدْ جَاوَرَ العِنْقَا^(١)

صَوْتُ الرُّوحِ يَعْلُو: «حَبْدًا عَشَقُّ مِنْ نَارٍ!»

هَمَّ مَاءُ الحَيَاةِ أَنْ يَجَالِسَكَ ثُمَّ تَوَلَّى^(٢)

حِينَ يَمُرُّ طَيْفُكَ بِحَيِّ الصُّدُورِ

يَجْتَازُ القَلْبُ البَابَ حَافِيًا، يَقُولُ: «أَيْنَ الحَبِيبِ أَيْنَ؟»

حِينَ يَسْتَنْبِرُ وَجْهَ الأَرْضِ بِقَمْرِكَ

تُرْذَهِي أَلْفُ زُهْرَةٍ وَشَمْسٍ فِي السَّمَاءِ أَلْقَا

(١) العنقاء: طائر خرافي ضخم، يُقال إن ظله إذا أظلَّ أحدًا نال السعادة والمجد، ويرمز به جلال الدين الرومي إلى الإنسان الكامل. (فرهنگ ديوان شمس).

(٢) يعني أن ماء الحياة لا طاقة له على البقاء مع عشق من نار.

جُدْ بِنَظْرَةٍ فِي رَوْزَنَةٍ^(١) قَلْبِي كَشَمْسٍ

كِي لَا تَقُولُ السَّمَاءُ: «ذَاكَ قَمَرٌ لَيْسَ مِنْ شَيْمَتِهِ الْوَفَا»

قَدْ انْتَقَشَ فِي الْقَلْبِ طَيْفُ إِقْلِيمِ تَبْرِيزِ

فَهُوَ دَارُ الْإِجَابَةِ، وَالْقَلْبُ دَارُ الدُّعَا

* * *

(١) الروزنة: الكوة في السقف أو بأعلى الجدار.

* (٦٦)

لَا تَحْتَجِبْ، فَوَجْهُكَ عَلَيْنَا مُبَارِكٌ
نَظْرُكَ إِلَى الْأَحْبَةِ جَمْعًا، مُبَارِكٌ

لَا تَقْبِضْ ظِلَّكَ أَبَدًا عَن رُؤُوسِنَا
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ظِلَّ الْعَنْقَا^(١) مُبَارِكٌ

يَا رَبِيعَ الْحُسْنِ تَعَالَ، فَذَاكَ الْهَوَاءُ الْعَلِيلُ
عَلَى الرِّيَاضِ وَالْمُرُوجِ وَالذَّمَنِ وَالصَّحْرَا مُبَارِكٌ

يَا مَنْ مَائَةٌ رُوحٍ مُّقَدَّسَةٍ لَكَ فِدَى
فَمَنْ ذَا يَبْلُغُ حَيَّ الْعَشَقِ، فَهُنَاكَ تَمَّ مُبَارِكٌ

(*) مطلعها: پنهان مشو، که روی تو بر ما مبارک است

نظاره تو بر همه جانها مبارک است

(١) العنقا: انظر القصيدة رقم ٦٥، هامش ١.

يَا أَسَارَى الْجَسَدِ! هَلُمُّوا لِلتَّفَرُّجِ عَلَى الْحَبِيبِ
فَقَد قَالَ الرَّسُولُ: «التَّفَرُّجُ مُبَارَكٌ»

مَا مِنْ وَرْقَةٍ أَوْ شَجَرَةٍ إِلَّا وَهِيَ رَسُولٌ مِنَ الْعَدَمِ
بِمَعْنَى أَنْ: كُلُّ نَبْتٍ مُصَفًّى مُبَارَكٌ

فَإِنْ تَكَلَّمَ الْوَرَقُ وَالشَّجَرُ بِغَيْرِ لِسَانٍ
فَاسْمَعُوا بِغَيْرِ آذَانٍ؛ فَأَمْرٌ كَهَذَا مُبَارَكٌ

طَيْفُكَ يَرُدُّ إِلَى عَيْنِي فِي التَّوَّ وَاللَّحْظَةِ
وَاللَّهِ جَاءَ مُبَارَكًا، وَهُوَ حَقًّا مُبَارَكٌ

مَا اضْطَبَعَ بِهَذَا التُّرْبِ مِنْ أَثَرٍ، جَاحِدٌ
إِنَّمَا الْأَثَرُ الْمَضْطَبِعُ بِالْعُلَا مُبَارَكٌ

يَرُوقُ وَيَخْلُو جَمَالَ الرَّبِيعِ لِأَهْلِ التُّرَابِ
وَهِيَاجُ الْبَحْرِ لِلْأَسْمَاكِ مُبَارَكٌ

لَيْسَ لِلْقَلْبِ مِجَالٌ أَنْ يُفْصِحَ عَنِ الذَّوْقِ

فَالرُّوحُ تَسْجُدُ قَائِلَةً: «إِلَهِنَا، مُبَارَكٌ»

* * *

(٦٧)*

أَنَا يُوسُفُ الْكِنْعَانِيَّ، وَجِهِيَ الْقَمَرِيُّ بُرْهَانَ مُبِينٍ
فَمَا طَلَبَ أَحَدٌ مِنَ الشَّمْسِ كِتَابَةً وَشُهُودًا^(١)

أَنَا السَّرْوُ السَّامِقُ، سَأَعطِيكَ عَلَى صِدْقِهِ دَلِيلًا
لَنْ تَجِدَ مَنْ يَزُوهُو عَلَى السَّرْوِ فِي الاسْتِقَامَةِ قَدًّا

أَيُّهَا الْوُرُودُ وَالْمُرُوجُ، مَنْ شَاهِدُكَ؟
-اللَّوْنُ فِي الْعَيُونِ، وَالرَّائِحَةُ فِي الْحَشَا-

إِنْ كَانَ الْعَقْلُ قَاضِيًا، فَأَيْنَ خَطُّهُ وَمَنْشُورُهُ؟
-رُؤْيُ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ: صَبْرٌ وَوَقَارٌ وَوَفَاءٌ؟^(٢)

(*) مطلعها: يوسف كنعانيم، روى جو ماهم گواست

هیچ کس از آفتاب خط و گواهان نخواست

(١) لا يطلب أحد من الشمس أن تبرهن على أنها منيرة.

(٢) يعني أنه لا بد للعقل من أن تتوافر فيه هذه الشروط الثلاثة للتوصل إلى حكم صائب فيما يعرض له

من قضايا وبخاصة القضايا التي هو مؤهل للنظر فيها.

إِنْ كَانَ الْعِشْقُ مَحْرَمًا، فَمَا عَلَامَةُ الْحُرْمَةِ؟
-مَنْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ- إِلَّا وَجْهَ الْحَبِيبِ -عِنْدَهُ فَنَاءً عَدَمًا

وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ عَالَمًا آخَرَ؟
-تَجَدُّدُ الْأَحْوَالِ، وَذَهَابُ مَا تَقَادَمَ وَبَلَى

نَهَارٌ جَدِيدٌ وَلَيْلٌ جَدِيدٌ، رَوْضٌ جَدِيدٌ شَرَكٌ جَدِيدٌ
كُلٌّ حِينَ فِكْرٍ جَدِيدٍ، فَالْجَدِيدُ حُسْنِي، وَالجَدِيدُ غِنَى

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الجَدِيدُ؟ وَأَيْنَ يَذْهَبُ مَا قَدَّمَ وَبَلَى؟
-أَلَيْسَ وَرَاءَ النَّظَرِ عَالَمٌ بغيرِ انْتِهَا

العالمُ كَمَا العَدِيرُ يَبْدُو مُتَمَاسِكًا لَكِنَّهُ
يَمْضِي وَيَتَعَاقَبُ دَوْمًا، فَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ (١)

(١) يرى جلال الدين الرومي -خلافًا لأغلب المفكرين القدماء- أن الدنيا في حالة من التبدل والتغير الدائم، وأن أهم مبدأ من مبادئ المعرفة الكونية إنما يكمن في تغير العالم وتجده؛ وهو يرى أن الكينونة في الزمان تشبه النهر فيكون قطرة قطرة وإن بدا أمرًا مستمرًا.

صَه، وَلَا تَقُلْ بَعْدَ شَيْئًا، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَحِقُّ لَهُ الْقَوْلُ
فَتَّشْ عَنِ مَصْدَرِ الْقَوْلِ: إِنَّمَا هُوَ مَلِيكُنَا، وَكَفَى

مَلِيكٌ يَمْنَحُ الرُّوحَ مُلْكًا، فَخَرُّ أَهْلَ تَبْرِيزَ
هُوَ مَنْ يَنْطِقُ فِي أَسْرَارِ الْعِشْقِ، نَطَقَ الْمُصْطَفَى

* * *

(٦٨)*

يَتَنَاهَى صَوْتُ الْعَشِقِ كُلَّ حِينٍ مِنْ يَمِينٍ وَيَسَارٍ
سَوْفَ نَمْضِي إِلَى الْفَلَكَ، فَمَنْ يَعْزُمُ عَلَى التَّفَرُّجِ وَالرُّؤْيَى؟

قَدْ كُنَّا فِي الْفَلَكَ، صُحْبَةً مَعَ الْمَلِكِ
ثُمَّ نَمْضِي هُنَاكَ دَفْعَةً، فَمَا تِلْكَ إِلَّا دَارُنَا

نَحْنُ أَسْمَى مِنَ الْفَلَكَ، نَحْنُ نَرْبُو عَلَى الْمَلِكِ^(١)
فَمَا لَنَا لَا نَحْتَارُهُمَا؟ وَالْكَبْرِيَاءُ نَزُّنَا

الْجَوْهَرَةُ النَّقِيَّةُ مِنْ أَيْنَ؟ عَالَمُ التُّرَابِ مِنْ أَيْنَ؟
عَلَامَ كَانَ هُبُوطُكَ؟ اِرْتَحَلْ؛ أَيُّ مَكَانٍ هَذَا؟

(*) مطلعها: هو نفس آواز عشق می رسد از چپ و راست

ما به فلک می رویم، عزم تماشا کراست؟

(١) إشارة إلى معراج النبي ﷺ.

الْحِظُّ الْمُسَاعِدُ رَفِيقُنَا، بَذُلَ الرُّوحِ دَابِّنَا
حَادِي قَافِلَتُنَا: فَحُرِّ الْعَالَمِ: الْمُصْطَفَى

انْشَقَّ الْقَمَرُ مِنْ قَمَرِهِ، لَمْ يَقْوِ عَلَى رُؤْيَيْهِ (١)
يَا لَهُ مِنْ سَعْدٍ نَالَهُ الْقَمَرُ، إِذِ يَقْبَعُ كَالشَّحَاذِ يَسْتَجِدِي مِنْهُ فَضْلًا

هَبَّ هَذَا الْعِطْرُ الْعَذْبُ، مِنْ ثَنِيَّاتِ طُرَّتِهِ (٢)
تَأَلَّقَ هَذَا الطَّيْفُ، بِطُلْعَةِ «وَالضُّحَى» (٣)

فِي قَلْبِنَا فَاَنْظُرْ، كُلَّ حِينٍ «شَقَّ الْقَمَرُ» (٤)
فَبِفَيْضِ تِلْكَ النِّظْرَةِ، لِمَ تَرْنُو بِعَيْنِكَ وَرَاءَ الْعَالَمِ، لِمَ؟

النَّاسُ كَطَيْرِ الْمَاءِ، قَدْ وُلِدَ مِنْ بَحْرِ الرُّوحِ
فَكَيْفَ يُقِيمُ هَاهُنَا، طَيْرٌ مِنْ ذَاكَ الْبَحْرِ نَشَا؟

(١) إشارة إلى معجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ.

(٢) الحديث عن النبي ﷺ.

(٣) إشارة إلى الآية الأولى من سورة «الضحى»، ويريد الشاعر وجه النبي ﷺ.

(٤) تضمنين من الآية الكريمة ﴿أَقْرَبَتْ أَلْسَانُهُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١).

بَلْ نَحْنُ أَمْرَاءُ الْبَحْرِ، فِيهِ نَنْهِي وَنَأْمُرُ
وَإِلَّا فَلِمَ يَتَّبِعُ بَعْضُ الْمَوْجِ مِنْ بَحْرِ الْقَلْبِ بَعْضًا؟

قَدْ طَمَّ مَوْجٌ «أَلَسْتُ»^(١) فَأَحَاطَ بِسَفِينِ الْقَالِبِ
فَإِنْ صَارَ السَّفِينُ حُطَامًا، فَهِيَ نَوْبَةُ الْوَصْلِ وَاللِّقَاءِ

* * *

(١) «أَلَسْتُ» إشارة إلى بدء الخليقة حين أخذ الحق تعالى على الناس الميثاق من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ (الأعراف: ١٧٢). ويعني أن الإنسان حين يأتيه الموت يأتيه اليقين - كموج البحر - بأن لا ربَّ له إلا الله، فيحطم هذا الموج جسده كما يحطم موج السفن، ولا يبقى عند ذلك شيء يحول بينه وبين لقاء الله.

(٦٩)*

هِيَ نَوْبَةُ الْوَصْلِ وَاللِّقَا، هِيَ نَوْبَةُ الْحَشْرِ وَالْبَقَا
هِيَ نَوْبَةُ اللَّطْفِ وَالْعَطَا، بَحْرُ الصِّفَا فِي الصِّفَا

ظَهَرَ دُرُجٌ^(١) الْعَطَا، وَصَلَتْ غُرَّةٌ^(٢) الْبَحْرِ
تَنْفَسُ صُبْحُ السَّعْدِ، أَيُّ صُبْحٍ هُوَ؟ نُورُ اللَّهِ تَعَالَى

مَنْ الصُّورَةُ وَمَنْ التَّصْوِيرُ؟ مَنْ هَذَا الْمَلِكُ وَهَذَا الْأَمِيرُ؟
مَنْ هَذَا الْعَقْلُ الْمُسِنُّ الصَّرِيرُ؟ هَذِهِ كُلُّهَا بُرُقِعٌ أَوْ غَطَا

لُغْبَةُ الْحُجْبِ وَالْبَرَاقِعِ، مَثَلُهَا مَثَلُ الْفَقَاقِعِ
وَنَبِعُ كُلِّ الشَّرَابِ الْمُسَاغِ، فِي رَأْسِكَ وَعَيْنِكَ مَعَا

(*) مطلعها: نوبت وصل وبقاست، نوبت حشر وبقاست

نوبت لطف و عطاست، بحر صفا در صفا ست

(١) دُرُج: كذا، كلمة عربية الأصل، والدُرُج الصندوق الصغير الذي يشتمل على الحوائج الثمينة.

(٢) غُرَّة، كذا، كلمة عربية الأصل أيضًا، وهي ما ابيض من شعر في جبهة الخيل، أو بدء كل أمر.

فِي رَأْسِكَ ثَنِيَّةٌ، لَكِنَّ لَكَ رَأْسَيْنِ
رَأْسُ التُّرَابِ، هَذِهِ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، وَتِلْكَ الرَّأْسُ الطَّاهِرَةُ مِنَ السَّمَاءِ

كَمْ مِنْ رُؤُوسٍ طَاهِرَةٍ تَهَاوَتْ تَحْتَ أَقْدَامِ التُّرَابِ
كَيْ تَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الَّتِي هِيَ مِنَ الرَّأْسِ الْأُخْرَى قَائِمَةٌ أَبَدًا

الرَّأْسُ الْأَصْلِيَّةُ خَفَاءٌ، وَالرَّأْسُ الْفَرَعِيَّةُ عَيَانُ
فَاعْلَمْ أَنَّ وَرَاءَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَالَمٌ مَا لَهُ انْتِهَاءُ

أَوْثِقِ الدِّنَّ أَيُّهَا السَّاقِي! فَهُوَ عَلَى خَمْرِنَا غَيْرُ بَاقٍ
إِنَّ قَدَحَ الْمَدَارِكِ أَضِيقُ، مِنْ هَذِي الْمَضَائِقِ كُلِّهَا

مِنْ جِهَةِ تَبْرِيْزِ أَضَاءَتِ شَمْسِ الْحَقِّ، فَهَتَفْتُ بِهَا:
«نُورُكَ بِالْكُلِّ مُتَّصِلٌ، وَمُنْفَصِلٌ أَيْضًا»

* * *

(۷۰)*

هَذَا هُوَ ذَا الْحَبِيبِ قَدْ رَجَعَ إِلَى الْحَفْلِ، أَيُّهَا الرَّفَاقُ، إِنَّهُ الْحَبِيبُ
هُوَ إِنْ يَرْتَكِبُ غَلَطًا، فَلَيْسَ بِغَلَطٍ، إِنَّهُ هُوَ هُوَ

تَارَةً يَهْنَأُ وَيَسْعَدُ، تَارَةً يَسْتَعْرِ نَارًا وَيَلْتَهَبُ
إِيلافُ حَبِيبِي إِيلافٌ، هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعَجَبِ

هُوَ يَفِي وَيَبْرُ، فَكَيْفَ يُؤَلِّينَا الظَّهْرَ
كُلُّهُ وَجْهٌ، كُلُّهُ وَجْهٌ، هُوَ كَالشَّمْعِ مَا لَهُ ظَهْرٌ

تَخَلَّصْ مِنْ جِلْدِكَ كَالثُّعْبَانِ، ازْفَعْ رَأْسَكَ لِلْحَبِيبِ
أَمَا لَكَ لُبٌّ؟ مَتَى تَرَكُضُ مِنْ هَذَا الْجِلْدِ؟

كُلُّ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ الْجَدِّ فِي هَوَسِنَا، فَهُوَ نَحْنُ
كُلُّ مَنْ كَانَ كَالسَّيْلِ الْعَرِمِ فِي طَلَبِ النَّهْرِ، فَهُوَ نَهْرٌ

(*) مطلعها: باز در آمد به بزم، مجلسیان، دوست، دوست

گرچه غلط کی دهد، نیست غلط، اوست اوست

وَمِنَ الْوُلُوعِ بِحَبِّهِ، امْتِلَأْ الرُّوْضُ بِالْبَلَابِلِ
وَمِنَ وَرْدَةِ خَدِّهِ، امْتِلَأْ اللَّبُّ بِالْعِطْرِ، بِالْعِطْرِ

فَخُرُّ تَبْرِيزَ، شَمْسُ الْحَقِّ، كَانَ عَلِيمًا
بَأَنَّ جَسَدِي هُوَ كَالشَّعْرَةِ، مِنْ حُزْنِ الْعَشْقِ الْمُسْتَعْرِ

* * *

(۷۱)*

أَيُّ جَوْهَرَةٍ أَنْتَ!!، فَمَا بِكَ أَحَدٍ لَكَ تَمَنُّ
وَمَا تَمْلِكُهُ الدُّنْيَا بِكَفِّهَا، لَا يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَطَاءٌ

لَيْسَ أَسْوَأَ مِنْ أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ دُونَ وَجْهِكَ
فَلَا تُعَامِلْنِي بِمَا أَنَا لَهُ أَهْلٌ

أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَ قَلْبِي وَرُوحِي كُلَّ حِينٍ، تَحْتَ قَدَمَيْكَ نِثَارًا مِنْ تَرَابٍ
فَسُحْقًا لِرُوحٍ لَيْسَتْ لِقَدَمِكَ تُرَابًا

مُبَارَكٌ هَوَاؤُكَ لِكُلِّ طَائِرٍ
أَيُّ الطُّيُورِ غَيْرُ مُبَارَكٍ؟ مَنْ لَيْسَ فِي هَوَائِكَ مُحَلَّقًا

مَا مِنْ أَحَدٍ وَقَفَ وَسَطَ مَوْجِ الْحَادِثَاتِ يَنْجُو بِالْعَوْمِ؛
إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَارِفًا حَقًّا

(*) مطلعها: چه گوهری تو که کس را به کف بهای تو نیست

جهان چه دارد در کف که آن عطای تو نیست

لَا حَدَّ لِلثَّنَاءِ وَلَا لِلْمُثْنِينَ عَلَيْكَ
وَهَلْ مَنْ ذَرَّةٍ إِلَّا وَهْيَ، بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ حَيْرَى؟

ما القولُ إِلَّا مَا قَالَ «نِظَامِي»^(١) شِعْرًا
«لَا تَجْفُ، فَلَسْتُ لِحَفَائِكَ مُطِيقًا».

* * *

(١) نظامي الكنجوي، الشاعر الفارسي المعروف في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي. ولد في «كنجه» بجمهورية آذربايجان، وله خمس منظومات شعرية هي عبارة عن قصص في الحب والحكمة والشجاعة، وتُعرف هذه المنظومات بـ «الكنوز الخمسة». راجع كتاب: «نظامي الكنجوي» شاعر الفضيلة، للأستاذ الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، طبع مصر، سنة ١٩٥٦.

(۷۲)*

شَأْنِي أَنْ لَيْسَ لِي شَأْنٌ
أَنَا عَاشِقٌ، مِنْ عَشِيقِكَ لَا أَحْلُو

وَمَا افْتَرَسَنِي أَسَدٌ حُزْنِكَ إِلَّا
لَأَنَّ هَذَا الْأَسَدَ، مَا هُوَ لِي صَيْدٌ^(۱)

يَا لَهَا مِنْ جَوْهَرَةٍ فِي قَاعِ هَذَا الْبَحْرِ
جَعَلْتَنِي كَالْمَوْجِ، لَا أَقِرُّ وَلَا أَسْلُو

أَنَا عَلَى شَطِّ بَحْرِكَ مُقِيمٌ، مُقِيمٌ
ثُمَّلٌ بِالشَّطِّ أَنَا، إِلَّا أَنِّي لَيْسَ لِي شَطٌّ

(*) مطلعها: کار من این است که کاریم نیست

عاشقم، از عشق تو عاریم نیست

(۱) لعله یعنی داهمنی آسد مفترس هو الحزن علی فراقك دون أن أنتبه لدفعه عن نفسي، فكل همي موجه إليك.

اكتسبَ خمرُك من الجبالِ السكونُ
فلا تلمني أن لا وقار لي قَطُّ

فرعي هو من ولد من العشقِ
فما لي خير منه فرع ولا صلب^(١)

أي شيء يزُهو على العالمين بالسبق؟ مدينةُ العشق!
ليس لي غيرها من مدينة تزُهو

إن أنا لم أخطَّ كلامًا بعدُ
فليس لاني ليس لي من أحبُّ

* * *

(١) الفروع والأصلاّب: الأبناء والآباء.

(۷۳)*

أَسَدُ اللَّهِ شَرَعَ فِي فَكِّ الْقَيْوُدِ
سَاقِي الرُّوحِ شَرَعَ فِي كَسْرِ الدَّنَانِ

لِصُّ قَلْبِي عَدَا رَهِينِ الْحَبِيبِ
شَرَعَ اللَّصُّ فِي قَيْدِ يَدَايِ

بُورِكْتُ لَيْلَةَ الْبَارِحَةِ حِينَ انْتَصَفْتُ
فَقَدْ شَرَعَ الْبَرْقُ فِي الْبَحْثِ عَن وَجْتِكَ

جَاءَ عَشْقُكَ بِالْخَمْرِ وَالشُّوَاءِ^(۱)

فَتَوَارَى الْعَقْلُ بُرْكَانٍ مِنَ الْأَرْكَانِ

(*) مطلعها: شیر خدا بند گسستن گرفت

ساقی جان شیشه گسستن گرفت

(۱) الخمر: لذة المعرفة، والشوَاء: الألام المصاحبة لتوقد القلب وتحرق الكبد.

بَدَأُ قَدْحُ الْخَمْرِ فِي الْقَهْقَهَةِ (١)

بَكَى الدَّنُّ بِدَمْعٍ مُخَضَّبٍ بِدَمٍ

حِينَ أَلْقَتْ الْخَمْرُ بِسَهْمٍ فِي قَلْبِ الدَّنِّ

شَرَعَ جَنَاحُ الْغُصَّةِ فِي التَّقْطَعِ

رَأَى الْعَقْلُ الْهَرِمُ أَنَّكَ أَنْتَ السَّاقِي

فَنَفَضَ يَدَهُ مِمَّنْ هُوَ بِكَ ثَمَلٌ سَكْرَانٌ

* * *

(١) في البيت تصوير مستعار من الشعر العربي، يقول ابن المعتز:

لما استحسنته السُّقَاةُ جَنَى لَهَا فَبَكَى عَلَى قَدْحِ النَّدِيمِ وَقَهَقَهَا
(تعليقات الأستاذ كدكني)

(٧٤)*

مَرَّةً أُخْرَى، اتَّخَذَتِ الْوَرْقَاءُ^(١) بَيْتَ الْقَلْبِ عُشًّا
وَشَرَعَتْ فِي الْهَتَافِ وَالصُّدَاخِ

وَحِينَ بَلَغَتْ صَبِيحَةَ الشُّكَارَى عَنَانَ السَّمَاءِ
بَسَطَ النَّسْرُ الطَّائِرُ هُنَالِكَ الْجَنَاحَ

مِرَاةً، صَنَعَهَا مِنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ -
ثُمَّ فِي الْمُقَابِلِ نَصَبَهَا - خَالِقُ الْأَزْوَاجِ

صُورَ شَتَّى مِنَ الْمِرَاةِ صَدَرَتْ
فَقَبِلَ مَا كَانَ مِنْهَا لَهُ مَيْسِرًا

(*) مطلعها: خانه دل باز کبوتر گرفت

مشغله وبقربقو در گرفت

وهي رقم ٧٦ في مختارات الأستاذ كدكني

(١) الورقاء: الحمامة.

فَمَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ انْطَلَقَ فِي إِثْرِهِ
وَمَنْ كَانَ ذَا رَأْسٍ اتَّخَذَ لَهُ مَنَبْرًا

* * *

(٧٥)*

أَقْبَلَ اللَّيْلُ، أَقْبَلَ اللَّيْلُ، غَرَبَتِ الشَّمْسُ فِي الْجُبِّ
صَارَتْ شَمْسُ رُوحِ الْعَاشِقِينَ مَعَ اللَّهِ فِي الْحَلْوَةِ

الصُّبْحُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، كَالْتُرْكِيِّ بَيْنَ الْهُنُودِ^(١)
قُمَ بِالْإِغَارَةِ لَيْلًا، فَالْتُرْكِيُّ فِي الْخِيْمَةِ^(٢)

إِنْ نِلْتَ مِنْ هَذَا الضِّيَاءِ نَفْحَةً، أَشَعَلْتَ فِي النَّوْمِ نَارًا^(٣)
فَمَنْ السُّرَى^(٤) وَالرَّقِّقْ، صَارَتْ الزُّهْرَةُ وَالْقَمَرُ فِي رُفْقِهِ

(*) مطلعها: بيگاه شد، بیگاه شد، خورشید جاندر چاه شد

خورشید جان عاشقان در خلوت الله شد

(١) كالتركي بين الهنود: كرجل أبيض وسط جمع من السود.

(٢) لعل الشاعر يرمز إلى الرسول ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا.. كل ليلة..» رواه البخاري في باب التهجد، ١٤، ومسلم في «المسافرين» ١٦٨ - ١٧٠. ولعل الشاعر يرمز بالإغارة: إلى الإلحاف في الدعاء والتقرب من الحق - تعالى - في الساعات المباركة من آخر الليل، والخيمة: قبة السماء الدنيا. والمعنى أن الرحيم الودود ينزل ليلاً إلى السماء الدنيا، فاغتنم الفرصة.

(٣) أي ترك النوم تمامًا.

(٤) السُّرَى: السير بالليل.

فَرَارُونَ بِاللَّيْلِ نَسْعَى وَنَشْتَدُّ نَحْنُ، فِي إِثْرِنَا زَنُوجٌ تَعْدُو وَتَرَكُضُ
فَقَدْ سَرَقْنَا الذَّهَبَ، وَعَرَفَ الْحَارِسُ بِالسَّرِقَةِ

تَعَلَّمْنَا السَّرَى بِاللَّيْلِ، أَحْرَقْنَا مَائَةً مِنَ الْعَسَسِ
أَضْبَانًا صَفَحَاتٍ وَجُوهِ كَالشَّمْعِ، فَعَدَا بِيَدِنَا «شَاهًا» عَلَى الرُّقْعَةِ (١)

يَا سَعْدَ وَجْهِ سَعْدٍ، أَتَى بِالْوَجْهِ قُرْبَ ذَاكَ الْوَجْهِ
وَيَا كَرَّ قَلْبٍ وَلَى شَطْرَ ذَاكَ الْحَبِيبِ وَفَرَّهُ

مَنْ ذَا فِي طَرِيقِ الْقَلْبِ لَا يَتَأَوَّهُ
طُوبَى لَغَرِيقِ تِلْكَ الْآهَةِ، وَلَوْ كَانَ فِي اللُّجَّةِ

حِينَ يَغْرُقُ فِي الْبَحْرِ، يَرْفَعُهُ الْبَحْرُ عَلَى رَأْسِهِ
كِيُوسَفَ عَلا مِنْ الْجُبِّ، إِلَى الْمُلْكِ وَالْمُكَنَّةِ (٢)

* * *

(١) الوجه والبيدق والشاه والرقعة مصطلحات في لعبة الشطرنج.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِينَ ... ﴾ (يوسف: ٥٦).

(٧٦)*

أَقْبَلَ اللَّيْلُ، أَقْبَلَ اللَّيْلُ، غَابَتِ الشَّمْسُ فِي الْجُبِّ
هَلُمُّوا أَيُّهَا الْمَلَاخُ، فَالْوَقْتُ وَقْتُ طُلُوعِ الْبَدْرِ الْبَهِيِّ

وَيَا سَاقِي اذْهَبْ إِلَى الْكَأْسِ، وَيَا حَارِسُ اصْعُدْ إِلَى السَّقْفِ
وَتَخَلِّي أَيَّتُهَا الرُّوحُ الْقَلِقَةُ، فَالْحَبِيبُ قَدْ أَرَمَعَ الْخَلْوَةَ^(١)

الدَّمْعُ الَّذِي كَانَ يُتَلَفُ الْعَيْنَ، وَالصَّبْرُ الَّذِي كَانَ يُحْرَقُ الْجُرْنَ
العقلُ الَّذِي كَانَ يَسْتَبِينُ الطَّرِيقَ، قَدْ ضَلَّ حِينَ انْتَصَفَ اللَّيْلُ فِي الْعَتَمَةِ

أُرُوحٌ مَنْ أَنْارَتْ مِنْهُمْ الْأَفْنَدُ، تُضِيءُ اللَّيْلَ بِالْقَلْبِ
فَذَا هِنْدِي اللَّيْلِ يَصْرُخُ: التُّرْكِيُّ فِي الْخِيْمَةِ^(٢)

(*) مطلعها: بيگاه شد، بیگاه شد، خورشید اندر چاه شد

خیزید ای خوش طالعان، وقت طلوع ماه شد

(١) أزمع الخلووة: رغب فيها.

(٢) يريد بالتركي هنا الشمس، ويرمز بالهندي إلى ظلمة الليل، (راجع هامش «١» من القصيدة ٧٥،

ص ٢٣١ فيما سبق).

بَلْعِبَةٍ بَارِعَةٍ قَدْ يَمْضِي الْبَيْدُ، فَيَغْدُو وَزِيْرَا
أَوْ يَتَحَوَّلُ الْبَيْدُ إِلَى «شَاهٍ» بِظِلِّ مُبَارِكٍ لِرُقْعَتِهِ

الْأَرْوَاحُ بِاللَّيْلِ وَاصِلَةٌ، الْمَقَاصِدُ بِاللَّيْلِ حَاصِلَةٌ (١)
يَصِيرُ مُضِيَّ الْقَلْبِ كَالنَّهَارِ، مَنْ صَارَ عَلِيمًا بِقَدْرِ اللَّيْلِ وَالظُّلْمَةِ

فِيَا صُبْحٍ، أَأَنْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ؟ وَاللَّيْلِ، أَأَنْتَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟
أَمْ صِرْتَ مُظْهِرًا لِلَّهِ، كَمَا رَأَى مُوسَى «مِنَ الشَّجَرَةِ» (٢)

لَا تَكُنْ غَافِلًا فِي بَيْتِ اللَّيْلِ، أَمْسِكْ بِرِقَبَةِ الدَّلْوِ
قَدْ أَمْسَكَ يُوسُفُ بِالدَّلْوِ، فَصَارَ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الرَّفْعَةِ

* * *

(١) للليل قيمة كبيرة عند المُحِبِّينَ، وفي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ تتلألأ قلوبهم بنور الحق -تعالى- .
(٢) إشارة إلى الشجرة التي تجلَى الحق -تعالى- عليها لموسى، من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَضَّيَ مُوسَى
الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ
أَوْ جَدُوقٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ
الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِلَى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ... ﴾، (القصص ٢٩ - ٣٠).

(٧٧)*

إِنْ تَكَلَّمْتُ رُوحَ الْعَاشِقِ أَضْرَمْتُ النَّارَ فِي هَذَا الْعَالَمِ
فَجَعَلْتُ هَذَا الْعَالَمَ مُجْتَثًّا الْأَصْلِ^(١) هَبَاءً أَوْ كَالْعَدَمِ

يَعْدُو الْعَالَمُ كُلَّهُ بَحْرًا، يَعْدُو الْبَحْرُ مِنَ الْهَيْبَةِ «لا»^(٢)
فَلَا يَبْقَى آدَمِيٌّ أَوْ إِنْسَانٌ، حَتَّىٰ وَلَوْ تَشَبَّثَ بِتَلَايِبِ آدَمِ

يَصَّاعِدُ دُخَانٌ مِنْ ذَاكَ الدُّخَانِ، فِي الْقُبَّةِ الْأَعْظَمِ
فَإِذَا بَنَارٌ تَشُبُّ مِنْ ذَاكَ الدُّخَانِ، فِي الْقُبَّةِ الْأَعْظَمِ

تَنْشَقُّ عِنْدَ ذَاكَ السَّمَاءِ، فَلَا يَبْقَى كَوْنٌ وَلَا مَكَانٌ
يَعْمُ الْأَضْطْرَابُ الْعَالَمَ، يَنْقَلِبُ هَذَا الْحَفْلُ إِلَى مَأْتَمٍ

(*) مطلعها: گر جانِ عاشق قدم زند آتش درین عالم زند

واين عالم بى اصل راجون ذره ها برهم زند

(١) مجتث الأصل: عديم الأصل.

(٢) أي يتضاءل العالم ويفنى.

تَارَةً يَحْمَلُ النَّارُ الْمَاءَ، تَارَةً يَبْلَعُ الْمَاءُ النَّارَ
تَارَةً يَلِطُّمُ بَحْرُ الْقِدَمِ^(١)، كَلَّ أَشْهَبِ^(٢) وَأُدْهَمَ^(٣)

يَعْتَرِي الشَّمْسَ النَّقْصَانَ، فَتَغْدُو أَقْلَ نُورًا مِنْ رُوحِ إِنْسَانٍ
عَنِ الْغُرَبَاءِ لَا تَسَلْ، حَيْثُ يَصَاغَرُ كُلُّ مَحْرَمٍ

يَتْرِكُ الْمَرِيخُ الشَّهَامَةَ^(٤)، يَحْرِقُ الْمُشْتَرِي^(٥) الدَّفْتَرَ
يُدْوِي جَلَالَ الْقَمَرِ، يَنْقَلِبُ سَعْدُهُ حَزَنًا وَغَمٌ

يَسْقِطُ عَطَارْدُ فِي^(٦) الْوَحَلِ، تَضْطَرُّمُ النَّارُ فِي زُحَلٍ^(٧)
لَا تَبْقَى الزُّهْرَةُ مُزْهَرَةً، وَلَا تَضْرِبُ لِلسَّعْدِ نَغَمٌ^(٨)

-
- (١) لعل الشاعر يريد ببحر القِدَم ما ورد في قول الحق تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ... ﴾ الآية (هود: ٧).
- (٢) الأشهب: الأبيض عليه نقاط سوداء.
- (٣) الأدهم: الفرس الأسود.
- (٤) المريخ: يُرمز إليه في الأساطير بالشجاعة والفروسة.
- (٥) المشتري: يقال له قاضي الفلك.
- (٦) عطارد: يُرمز إليه بكاتب الفلك.
- (٧) زحل: كان القدماء يرون فيه النحاس الأكبر.
- (٨) الزُّهْرَةُ: رمز الغناء والموسيقى.

لَا يَبْقَى قَوْسٌ وَلَا فَرْحٌ، لَا يَبْقَى خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ
لَا سَعْدٌ يَبْقَى وَلَا فَرْحٌ، وَلَا جُرْحٌ يُعَالَجُ بِمَرْهَمٍ

صَفْحَةُ الْمَاءِ لَا تَنْتَقِشُ، وَالرِّيحُ أَيْضًا لَا تَفْتَرِشُ
وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ لَا يَرْتَقِشُ، وَغَيْمٌ نَيْسَانَ بِالْقَطْرِ لَا يَنْسَجِمُ

لَا يَبْقَى أَلْمٌ أَوْ دَوَا، لَا خَصَمٌ يَبْقَى وَلَا مَنْ يَشْهَدُ
لَا نَائِي يَبْقَى أَوْ لَحْنٌ، وَلَا مِنْ قِيَارَةٍ تَتَرَنَّمُ

تَنْحَى الْأَسْبَابُ وَتَبْطُلُ، يَغْدُو السَّاقِي لِنَفْسِهِ سَاقِيَا
تَهْتَفُ الرُّوحُ: «رَبِّي الْأَعْلَى»، يُتِمُّمُ الْقَلْبُ: «رَبِّي الْأَعْلَمُ»

تَنْبَهُ، فَتَقَاشُ الْأَزْلُ، بَاشَرَ - لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ - الْعَمَلِ
كَيْ يَنْقُشَ بِلَا بَدَلٍ، نُقُوشًا عَلَى كُسُوةِ الْمُعْلَمِ^(١)

يُشْعَلُ «الْحَقُّ» نَارًا، تَحْرِقُ كُلَّ مَا لَيْسَ بِحَقٍّ
فَتَحْرِقُ النَّارُ الْقُلُوبَ،^(٢) وَتَأْتِي عَلَى قَلْبِ ذَلِكَ الْعَالَمِ

(١) كُسُوةُ الْمُعْلَمِ: كَذَا فِي الْأَصْلِ، كَلِمَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ، وَمَعْنَاهَا الْكِسْوَةُ الْمَنْقُوشَةُ.

(٢) الْقَلْبُ: الْمَنَافِقُ، الْمَخَادِعُ.

شَمْسُ الْحَقِّ، الْقَلْبُ لَهَا شَرْقٌ، يَلْمَعُ بَرْقُهُ
كُلُّ بُرْهَةٍ عَلَى «ابْنِ أَدَهْمٍ»^(١)، وَيَشَعُّ عَلَى «عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ»

* * *

(١) يعني إبراهيم بن أدهم البلخي، من كبار الزهاد، توفي سنة ١٦١ هـ.

(٧٨)*

أمض، وقُلْ لِدَاكَ الرَّبَابِ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

وقُلْ لِطَيْرِ الْمَاءِ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

وللأَمِيرِ السَّاقِي: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

وللْعُمَرِ الْبَاقِي: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

وللأَمِيرِ الْفِتَنِ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

وللْمَحَبَّةِ وَالشَّجَنِ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

أَيُّهَا الْقَمَرُ، يَا مَنْ يَنْشَأُ مِنْ طَلْعَتِكَ الْحَجَلُ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

يَا مَنْ أَنْتَ لِلْقَلْبِ أُنْسٌ لَا يَتَحَوَّلُ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

(*) مطلعها: رو آن ربابي را بگو «مستان سلامت می کنند»

وان مرغ آبی را بگو: «مستان سلامت می کنند»

«لم تراع في هذه القصيدة قواعد الغزل الفارسي» تعليقات الأستاذ كدكني.

يَا رُوحَ الرُّوحِ، يَا رُوحَ الرُّوحِ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»
يَا مَنْ أَنْتَ هَكَذَا وَمِائَةٌ مِثْلُ ذَلِكَ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

لَيْسَ هَا هُنَا مِنْ مَفِيقٍ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»
هُنَا سَكْرَانٌ وَاحِدٌ بَغَيْرِ رَفِيقٍ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

يَا أَمَلِ الأَمَلِ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»
أَزِجِ السَّتَارَ وَعَجِّلِ: «السُّكَارَى عَلَيْكَ يُسَلِّمُونَ»

* * *

(٧٩)*

حُبُّكَ يَجْرِي فِي نَهْرِ الرُّوحِ جَرِي مَاءِ الْحَيَاةِ
مَاءُ الْحَيَاةِ يَجْرِي بِعَشْقِكَ فِي نَهْرِ الطَّالِبِينَ

العالمُ مَلَانٌ بِالْحَمْدِ وَالشَّنَاءِ، قَدْ تَعَلَّمَ مِنَ الْبَبَغَاوَاتِ الْغِنَا
يُحَلِّقُ طَائِرٌ قَلْبِي عَالِيًا، حِينَ تَضِحُّ الطُّيُورُ بِالذِّكْرِ أَجْمَعِينَ

بِالرُّوحِ أَفْدِي ذِكْرَهَا^(١)، أَضْحِكُ الرُّوحَ لِأَجْلِهَا
فَإِنْ لَمْ تَضْحَكِ الرُّوحُ أَوْ تَبْسِمِ، فَكَيْفَ تَتْرُكُ الْجَسَدَ فِي لُطْفِ الْمُحِبِّينِ؟^(٢)

مَا الرُّوحُ؟ دَنُّ الْمُلُوكِ، بِهِ خَمْرُ السَّمَاءِ
وَمِنْ ثَمَّ يَمْضِي الْكَلِمُ، أَشَعَثَ أَغْبَرَ كَالْمَجَانِينِ

(*) مطلعها: سودای تو در دوی جان چون آب حیوان می رود

آب حیات از عشق تو در جوی جویان می رود

(١) یفدی الشاعر بروحه تسبیح الطیور.

(٢) حین تظمئن الروح إلى أن الكون كله يردد ذكر الحبيب، ويسبح بالتحميد، تنفعل، وحين یحین الأجل تنطلق من الجسد بلطف المحب.

فِي شُرْبِي ذَوْقُ آخَرَ، فِي سَيْرِي ذَوْقُ آخَرَ
فِي قَوْلِي ذَوْقُ آخَرَ، وَالْبَاقِي مِثْلُ ذَلِكَ كَالْقَرِينِ

الْقَمْرُ فِي إِثْرِ الصَّوْلِجَانِ يَسْعَى، هَبْ نَفْسَكَ كُرَّةً
فَرَوْحُ الشَّمْسِ تَخْفِقُ، حِينَ تَتَدَخَّرُ كُرَّةً أَوْ تَبِينُ^(١)

* * *

(١) تبين: تبعُد، وعن الصَّوْلِجَانِ والكُرَّةِ، راجع فيما سبق القصيدة رقم ٥٠. هامش ٣، ص ١٧٣، والمراد هنا رحمة الحقِّ تعالى بالإنسان، انظر حديث النبي ﷺ «لله أرحم بعباده من هذه بولدها» رواه البخاري: الأدب ١٨، مسلم: التوبة: ٢٢.

(٨٠)

أَتَى رَبِيعُ الْعَاشِقِينَ لِتُصْبِحَ الْأَرْضُ رَوْضَةً
أَتَى نِدَاءُ السَّمَاءِ لِطَائِرِ الرُّوحِ فَحَلَّقَ

طَعَى الْبَحْرُ بِالْجَوْهَرِ، عَدَا الْمِلْحُ كَالْكَوْثَرِ
مَنْجَمًا لِلْيَاقُوتِ تَحَوَّلَ الْحَجَرُ، كَمَا تَحَوَّلَ الْجَسَدُ إِلَى رُوحٍ جَمْعًا

الْعُيُونُ وَالْأَرْوَاحُ فِي الْعَاشِقِينَ عَدَتْ سُحُبًا ثِقَالًا
فَمَثَلُ الْقَلْبِ فِي غَمَامِ الْجَسَدِ، كَمَثَلِ الْبَرَقِ يُوَاصِلُ الرَّعْدَ

أَتَدْرِي لِمَ صَارَتْ عُيُونُ الْعَاشِقِينَ فِي الْعِشْقِ كَالسَّحَابِ؟
لَأَنَّ الْقَمَرَ يَتَخَفَى فِي الدَّيْمِ (١) دَوْمًا

(*) مطلعها: آمد بهار عاشقان تا خاکدان بستان شود

آمد ندای آسمان تا مرغ جان پُران شود

(١) الدَّيْمُ: السحب الممطرة.

يَا لَهَا مِنْ غِبْطَةٍ، سَاعَةً أَنْ يَيْكِيَ السَّحَابُ
بُورَكَتْ يَا رَبِّ حَالَةً، صَارَ فِيهَا الْبَرْقُ ضَاكِحًا

هِيَ قَطْرَاتُ بُمَاتِ الْأَلْفِ لَا تُعَدُّ، فَلَوْ أَنَّ وَاحِدَةً
مِنْهَا نَزَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ، لَصَارَ الْعَالَمُ كُلُّهُ خَرِبًا

يَصِيرُ الْعَالَمُ كُلُّهُ خَرِبًا، وَكُلُّ خَرِبٍ يَصِيرُ بِالْعِشْقِ
لِنُوحٍ فِي السَّفِينَةِ صَاحِبًا، وَلَا سُرَارِ الطُّوفَانِ مَحْرَمًا^(١)

لَوْ سَكَنَ الطُّوفَانُ، لَمَا دَارَتْ السَّمَاوَاتُ
فَمِنْ ذَلِكَ الْمَوْجِ الْخَارِجِ عَنِ الْجِهَةِ، تَتَحَرَّكُ الْجِهَاتُ السَّتُّ أَبَدًا

إِنْ بَقِيَتْ تَحْتَ الْجِهَاتِ السَّتِّ، تَجَرَّعَ الْحُزْنَ ثُمَّ تَجَرَّعَ الْحُزْنَ
فَالْبُدُورُ سَوْفَ تُصْبِحُ لِلنَّخْلِ وَاحِدَةً يَوْمًا

الرِّزْقُ يَنْشَأُ مِنَ التُّرْبِ، يَجْعَلُ الْجَذَرَ غُضْنًا رَطْبًا
فَإِنْ جَفَّ غُضْنٌ أَوْ غُضْنَانٌ، صَارَتِ الْبَيْتَةُ حُبْلَى

(١) المحرم: القريب، العارف بالأسرار.

شيءٌ ما أخلقَ فمي، أيعني ثملٌ أنا؟
كلُّ ما تُصبحُ أنتَ مِنْهُ حيراناً، صارَ ذاكَ الشَّيْءُ مِنْهُ حيراناً

* * *

(٨١)*

يُسَلِّمُ عَلَيْكَ مَخْمُورٌ، يَبْعَثُ بِرِسَائِلِهِ إِلَيْكَ سِرًّا
مَنْ سَلَبَتْ مِنْهُ الْفُؤَادَ، رَاحَ بِالرُّوحِ يَعْبُدُكَ

يَا مَنْ جَعَلْتَ الْعَدَمَ وَجُودًا، اسْمِعْ سَلَامَ الْمَخْمُورِ
الْمَخْمُورِ الَّذِي يُوثِقُ يَدَيْهِ مَعًا بِقَيْدِ فَحْكَ

يَا سَمَاءَ الْعُشَّاقِ، يَا رُوحَ رُوحِ الْعُشَّاقِ
حُسْنُكَ بَيْنَ الْعُشَّاقِ، عَلَى مَرَادِ الْأَحْبَةِ يَجْعَلُكَ

يَا ذَوْقَ كُلِّ شَفِيفَةٍ، يَا قِبْلَةَ كُلِّ دِينٍ
الْقَمَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ عَسَسَ، يَطُوفُ حَوْلَ سَقْفِكَ

مَنْ يَجْعَلُ التُّرَابَ أَبْدَانًا^(١)، وَيَجْعَلُ الدُّخَانَ أَلْوَانًا^(٢)
فَيَا تُرَابَ الْبَدَنِ! وَيَا دُخَانَ الْقَلْبِ! انظُرْ فِي أَيِّ صُورَةٍ يَجْعَلُكَ

(*) مطلعها: مستى سلامت می کند پنهان پیامست می کند

آن کو دلش را برده ای، جان هم غلاست می کند

(١) إشارة إلى خلق آدم من تراب.

(٢) إشارة إلى خلق العالم من دُخان (راجع سورة فُصِّلَتْ: ١١).

لَحْظَةً جَنَاحًا يَهْبُكُ، لَحْظَةً مَرْسَى يَمْنُحُكَ
لَحْظَةً صُبْحًا يَجْعَلُكَ، لَحْظَةً لَيْلًا يَجْعَلُكَ

لَحْظَةً يُرْعِبُكَ، لَحْظَةً يُضْحِكُكَ
لَحْظَةً يُسْكِرُكَ، لَحْظَةً كَأَسَا يَجْعَلُكَ

أَنْتَ كَالْحَاتِمِ فِي يَدِهِ هُوَ، تَارَةً خَمْرٌ وَتَارَةً ثَمَلٌ هُوَ
إِنْ حَطَمَ هَذَا الْحَاتِمَ، فَوَاللَّهِ تَأَمَّا يَجْعَلُكَ

تَارَةً ذَاكَ وَتَارَةً هَذَا، نِهَائِيَّتِكَ «التَّمَكِينُ»^(١)
غَيْرَ أَنَّهُ بِهِذَا «التَّلْوِينُ»^(٢)، رَاضِيًا مَرْضِيًّا يَجْعَلُكَ

كُنْتَ زَمَنًا «نُوحًا»، قَدَمُكَ كَانَتْ فِي شِدَّةٍ
وَالآنَ - كَالسَّفِينَةِ -، بِغَيْرِ قَدَمٍ وَخَطْوٍ يَجْعَلُكَ

صَهٍ، وَأَقْعُدُ حَيْرَانَ، حَيْرَانَ يَبْعَثُ الْحَيْرَةَ
قَادِرٌ أَنْتَ عَلَى الْقَوْلِ، إِلَّا أَنَّ الْقَوْلَ نَيْيًّا فَجَا يَجْعَلُكَ

(١) التمكن، زوال الصفات البشرية.

(٢) التلوين: لفظ مقابل للتكوين، والتلوين هو الترفي في مدارج السلوك.

(٨٢)*

رُشُوا الطَّرِيقَ بِالماءِ، هَيَّا، فَالحَبِيبُ مُقْبِلُ
زُفُوا لِلرَّوْضِ بُشْرَى، فَقطْرُ الرَّبِيعِ مُقْبِلُ

أَفْسِحُوا الطَّرِيقَ لِلحَبِيبِ، أَفْسِحُوا لِبدْرِ التَّمِّ
فَبِنُورِ طَلَعَتِهِ البَهِيَّةِ، هَا هُوَ النُّورُ نِتَارًا يُقْبَلُ

أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ، سَرَتْ فِي العَالَمِ صَبْحَةٌ
يَفُوحُ المِسْكُ والعَنْبَرُ، فَرَايَةُ الحَبِيبِ تُقْبَلُ

تَتَّخِذُ الرِّوْضَةُ الرِّوْنَقَ، يَصِلُ القِنْدِيلُ وَالحَدَقُ (١)
يَتَنَحَّى الحَزْنَ وَيُطْرِقُ، فَالقَمَرُ عَلَى الرُّكْنِ يُقْبَلُ

(*) مطلعها: آب زنید راه راه هین که نگار می رسد

مژده دهید باغ را بوی بهار می رسد

(١) الحَدَقُ: العين.

يُمْضِي السَّهْمُ يَنْطَلِقُ، صَوَّبَ الْهَدَفَ يَمْرُقُ
فَمَا بَالُنَا قَدْ قَعَدْنَا؟! وَالْمَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ مُقْبِلُ

الرَّوْضُ يَهْبُ مُسَلِّمًا، وَالسَّرُّو يَشْبُ قَائِمًا
وَالْمَرْوَجُ تَسِيرُ الْهُوَيْنَا، وَالْبُرْعُمَةُ رَاكِبَةٌ تُقْبَلُ

أَهْلُ خَلْوَةِ السَّمَاءِ، حَتَامَ يَعْبُونُ الْخَمْرَ
حَرَبَتِ الرُّوحَ وَثَمَلَتْ، وَالْحُمَارُ لِلْعَقْلِ يُقْبَلُ

حِينَ تَبْلُغُ حَيْنًا، فَالصَّمْتُ هُوَ طَبْعُنَا
فَمِنْ قَوْلِنَا وَقِيلِنَا، تَرَى النَّقْعَ^(١) وَالْغُبَارَ يُقْبَلُ

* * *

(١) النقع: الغبار المثار.

(۸۳)*

الْحَبِيبُ، يَأْخُذُ بِرِمَامِي - ثَانِيَةً - كَالْبَعِيرِ
فَبَائِي قَافِلَةٌ يُلْحِقُ بَعِيرَهُ الشَّمْلَ وَيُرْدُهُ

جَرَحَ رُوحِي وَجَسَدِي هُوَ، كَسَرَ زَجَاجَتِي هُوَ
قَيْدٌ بِالْأَغْلَالِ عُنُقِي هُوَ، فَمَا هُوَ صَانِعٌ بَعْدُ

بِشِبَاكِه يَحْمَلْنِي - كَالسَّمَكِ - إِلَى الْيَابِسَةِ
يَدْفَعُ بِشِبَاكِ قَلْبِي نَحْوَ أَمِيرِ الصَّيْدِ

مَنْ يَسُوقُ قَافِلَةَ السَّحَابِ، تَحْتَ السَّمَاءِ، كَالْجِمَالِ
- إِلَى الْجِبَالِ وَالْأَكْنَانِ، فَيَسْقِي بِهَا الْوَادِي

يَدُقُّ الرَّعْدُ الطُّبُولَ، قَدْ صَارَ الْجُزْءُ حَيًّا وَالْكَلُّ حَيًّا
يَدْفَعُ عِطْرَ الرَّبِيعِ، فِي قَلْبِ الْغُصْنِ وَتُبِّ الْوَرْدِ

(*) مطلعها: یاز مرا، چو اشتران، باز مهار می کشد

اشتر مست خویش را در چه قطار می کشد

يَذْهَبُ لُطْفُ الرَّبِّيعِ، بِخُمَارٍ أَوْجَعَ الرَّوْضَ
وَإِنْ كَانَ يَسْتَدْرِجُ الْآنَ إِلَى الْخُمَارِ جَفَاءَ أَيَّامِ الْبَرْدِ^(١)

* * *

(١) في الأصل: جفاء «دَى» ودَى أحد شهور الشتاء في السنة القمرية الشمسية المعمول بها في إيران، ويعرف بجوّه البارد الذي يكثر فيه تساقط البرد، ومعناه أن الربيع يأتي لكي يسدل على قسوة أيام الشتاء ستار النسيان.

(۸۴)*

أَمِنْ تَدْوُقِ قِطْعَةٍ مِنْ سُكَّرٍ
يَجْرِي لِبَبْغَاءِ رُوحِي الشِّمْلَةَ مَا يَجْرِي؟

أَمِنْ إِطْلَالَةِ طَلْعَةِ قَمَرٍ
يَجْرِي لَزُهْرَتِي الْمُوَلَعَةَ بِالْخَمْرِ مَا يَجْرِي؟

بَحْرُ قَلْبِي - وَقَدْ جَاوَزَ مَوْجَهُ تَاسَعَ سَمَا -
تَمَلَّكَتْنِي الْحَيْرَةُ لِمَا بِهِ - بِسَبَبِ جَوْهَرَةٍ - يَجْرِي

رَوْضُ قَلْبِي، وَمَائِهِ إِرْمٌ^(۱) فِي نَظَرِهِ عَدَمٌ
طَارَ صَوَابُ النَّرْجِسَةِ الْوَلِيدَةِ، لِمَا بِهِ - بِسَبَبِ شَجَرَةٍ - يَجْرِي

(*) مطلقها: طوطی جان مست من از شکرى چه مى شود!

زُهره میپرست من از قمرى چه مى شود!

(۱) إرم: الجنة.

الرُّوحُ جَيْشٌ وَأَنَا عَلَمٌ، الرُّوحُ سَحَرٌ وَأَنَا قَطْرَةٌ نَدَى
قَلْبِي، شَمْسِي، مَاذَا بِهِ - كُلُّ سَحَرٍ - يَجْرِي

تَمَزَّقَ الْقَلْبُ مِرْقًا، أَمَامَ النَّظَرِ وَالنَّاطِرِينَ
فَهَذَا الْكُونُ كُلُّهُ، مَاذَا بِهِ - كُلُّ لَحْظَةٍ - مِنْ نَظَرَةٍ يَجْرِي؟

مِنْ غَلَبَاتِ عَشِقِهِ، أَي هَيَاجٍ يَسْتَبَدُّ بِالْعَقْلِ!!
مِنْ لَمَعَانِ رُوحِهِ، مَا الَّذِي بِبَشَرٍ^(١) يَجْرِي

أَنَا بِأَجْمَعِي كَالزُّجَاجَةِ، حِرْفَتِي صُنْعُ الزُّجَاجِ
أَهْ، مَا الَّذِي بِزُجَاجَةِ قَلْبِي - بِسَبَبِ حَجَرٍ - يَجْرِي

الأذكياءُ وأهلُ الفِطْنِ، وَإِنْ صَارُوا يَأْقُوتُ المَنْجَمِ
عَنْ هَذَا غَافِلُونَ، فَمَا الَّذِي - بِسَبَبِ الإِغْفَالِ عَنْهُ يَجْرِي؟

مِنْ تَبْرِيزٍ - وَهِيَ شَمْسُ الدِّينِ - يَسْتَقِيمُ الْقَلْبُ وَالنَّظَرُ
تِلْكَ نَظْرَةٌ خَيْرٌ مِنْ كَلِيلٍ، فَمَا الَّذِي لِكَلِيلِ البَصْرِ يَجْرِي؟

(١) في الأصل: جانور: أي ذو روح، حيوان، ولعل فيه إشارة إلى قول الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ
بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (ص: ٧١-٧٢).

(٨٥)*

طَيْفُ حَبِيبِي التُّرْكِيِّ^(١) يَتَّخِذُ كُلَّ لَيْلَةٍ صِفَاتَ ذَاتِي
فَنَفِي ذَاتِي فِيهِ هُوَ كُلُّهُ إِثْبَاتِي

مِنْ حَرْفِ عَيْنٍ «عَيْنِهِ»^(٢)، مِنْ ظُرْفِ «جِيمٍ»^(٣) أُذُنُهُ
«شَاهٍ» شِطْرُنِجِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ^(٤)، بِكَلِمَةٍ مَنِّي يَصِيرُ إِلَى «مَاتٍ»^(٥)

إِنْ شَقَّقْتَ وَاحِدَةً مِنْ ذَاكَ التُّفَّاحِ، تَوَلَّدَتْ مِنْ لَبِّهَا حُورِيَّةٌ^(٦)
يَغِيبُ فِيهَا الْعَالَمُ، فَيَصِيرُ لِي كَرَمِي وَجَنَاتِي

(*) مطلعها: خيال ترك من هرشب صفات ذات من گردد

که نفی ذات من در وی همه اثبات من گردد

(١) التركي: رمز الجمال والمنعة.

(٢) حرف عين عينه، فالعين تشبه حرف العين العربي.

(٣) حرف الجيم بانحنائه يشبه الأذن.

(٤) الكواكب السبعة السيارة وهي في علم الفلك القديم: المريخ، الزهرة، المشتري، زحل، عطارد، القمر، الشمس.

(٥) مات، اصطلاح يقال في لعبة الشطرنج إذا حوصر «الشاه» ولم يجد اللاعب له مخرجاً.

(٦) إشارة إلى ما روي من أن بالجنة شجراً إذا قطفت ثماره، خرجت من كل واحدة منها حورية لا نظير لها في الجمال.

وإن أخذت المصحف بكفي، وقع من الحيرة من يدي
فيقرأ وجهها أول عشري^(١)، وشقتها تردد آياتي

الدنيا جبل الطور، وأنا موسى^(٢)، صعق أنا راقص هو
لكنها تعلم هي أنها تصير على ميقاتي^(٣)

علت شمس الروح هاتفة: قوموا أيها الأحبة
فلو أشرق على جبل، لتحوّل مني إلى ذرات

صه، فكم بكيّت، حتى أخذ هذا العالم، منذ مائة قرن
يتلوى في آهاتي، ويتحوّل على هيّاتي

* * *

(١) العشر، علامة على هامش أوراق المصحف لبيان كل عشر آيات في السورة.
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِيَنِي فَلَمَّا بَحَلَّ رَبُّهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا...﴾ (الأعراف: ١٤٣).

(٣) راجع الحاشية السابقة. ولعله يريد أن نهاية الدنيا بأسرها سوف تكون بنهاية الحياة الإنسانية فيها.

(۸۶)*

أَيْهَا الْقَلْبُ، اجْلِسْ مَعَ مَنْ عِنْدَهُ عَنِ الْقَلْبِ خَبِرْ
وامش تحت شجرة، تُثْمِرُ الْوَرْدَ النَّضْرُ

لا تَمْشِ فِي سُوقِ الْعِطَارَةِ^(۱) هَذَا عَبَثًا كَالْمُتَبَطِّلِينَ
أَقْعُدْ بِدَكَانٍ مَنْ فِي دَكَانِهِ سُكَّرُ

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ مِيزَانٌ وَمِغْيَارٌ، سَارَعَ كُلُّ لِصٍّ
كِي يُزَيِّنَ الزَّائِفَ، فَتَحَسَبُ أَنْ لَدَيْهِ ذَهَبًا وَدُرُّ

هُوَ يُبَيِّنُكَ عَلِ الْبَابِ قَاعِدًا، (قَائِلًا) سَأَتِي لِلْسَّرِقَةِ
لِلْبَيْتِ بَابَانِ، فَلَا تَقْعُدْ بِالْبَابِ تَنْتَظِرُ

لَا تَأْتِ بِقَدْحٍ عِنْدَ كُلِّ قَدْرِ يَغْلِي، وَلَا تَتَلَبَّثُ
فَبِكُلِّ قَدْرِ يَغْلِي شَيْءٍ آخَرَ

(*) مطلعها: دلا نزد کسی بنشین کله او از دل خبر دارد

به زیر آن درختی رو که گلهای تر دارد

(۱) سوق العطارة: الدنيا المملوءة بالروائح والألوان.

ما بِكُلِّ قَصْبَةٍ سَكَّرَ، ما لِكُلِّ تَحْتِ فَوْقُ
ما لِكُلِّ عَيْنٍ نَظَرَ، ما بِكُلِّ بَحْرِ جَوْهَرُ

ابْنُ أَيُّهَا البُلْبُلُ الصَّدَّاحُ، فَإِنِ ما لِلسُّكَّارِي مِنَ نُوَاحِ
يُؤَثِّرُ بِقَلْبِ الصَّخْرِ والحَجَرِ، نَعَمَ يُؤَثِّرُ

طَاطِئِ الرَّأْسِ إِنْ لَمْ تَسْتَوْعِبْ، فَالْحَيْطُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ^(١)
إِنْ لَمْ يَلِجْ، فما ذاكِ إِلَّا لِأَنَّ رَأْسَ الخَيْطِ كَبِيرُ

هَذَا القَلْبُ اليَقْظَانُ فَنَدِيلٌ، فَتَلَفَّحَ بِبُرْدَتِهِ
تَجَنَّبَ العَصْفَ والرَّيْحَ، ففِي هَوَاهُ فِتْنٌ وَشَرٌّ

إِنْ تَرَكْتَ الرَّيْحَ، أَقَمْتَ بَنَبَعِ
صِرْتَ نَدِيمًا لِرَجْلِ، مُسْتَعْنٍ عَنِ البَشْرِ

إِنْ كُنْتَ مُسْتَعْنِيًّا، صِرْتَ كَشَجَرٍ أَخْضَرُ
يُثْمَرُ ثَمْرًا جَدِيدًا، لَهُ دَوْمًا فِي أَعْمَاقِ القَلْبِ سَفَرُ

(١) سَمُّ الخِيَاطِ: عَيْنُ الإِبْرَةِ.

(٨٧)*

أَقْبَلَ الرَّبِيعُ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ يَفُوحُ بِالْمَسْكِ
أَقْبَلَ الْحَبِيبُ، أَقْبَلَ الْحَبِيبُ، أَقْبَلَ الْحَبِيبُ الْمُتَدَرِّعُ بِالصَّبْرِ

أَقْبَلَ الصَّبُوحُ^(١) أَقْبَلَ الصَّبُوحُ، أَقْبَلَ صَبُوحَ الرَّاحِ^(٢) وَالرُّوحُ
أَقْبَلَ سَاقِي الْحَبِّ، مُتَبَخِّرًا بِإِثَارِ الْعُقَارِ^(٣)

أَقْبَلَ الصَّفَا، أَقْبَلَ الصَّفَا، فَأَضَاءَ الْحَجْرُ وَالْحَصَى
أَقْبَلَ السَّقَا، أَقْبَلَ السَّقَا، أَقْبَلَ شِفَاءً كُلَّ عَلِيلٍ

أَقْبَلَ الْحَبِيبُ، أَقْبَلَ الْحَبِيبُ رَأْفَةً بِالْمَشْتَاقِينَ
أَقْبَلَ الطَّيِّبُ، أَقْبَلَ الطَّيِّبُ، أَقْبَلَ الطَّيِّبُ الْبَارِعُ

(*) مطلعها: بهار آمد، بهار آمد، بهار مشکبار آمد

نگار آمد، نگار آمد، نگار بُردبار آمد

ولعلَّ الشاعر قد قال هذه القصيدة بعد أن عاد شمس الدين التبريزي من غيبته الأولى في الشام: (راجع المقدمة).

(١) الصَّبُوحُ: الخمر تُشرب في الصباح.

(٢) الرَّاحُ: الخمر.

(٣) الْعُقَارُ: الخمر.

أَقْبَلَ السَّمَاعُ، أَقْبَلَ السَّمَاعُ، أَقْبَلَ السَّمَاعِ بِغَيْرِ صُدَاعٍ
أَقْبَلَ الْوِصَالَ، أَقْبَلَ الْوِصَالَ، أَقْبَلَ الْوِصَالِ الدَّائِمِ

أَقْبَلَ الرَّبِيعُ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ، أَقْبَلَ الرَّبِيعِ الْبَدِيعِ
أَقْبَلَتِ الشَّقَائِقُ وَالرِّيَّاحِينَ، وَالْوَرُودُ الْحُمْرُ حَلْوَةَ الْعِذَازِ

أَقْبَلَ مَنْ، أَقْبَلَ مَنْ، يَصِيرُ بِهِ الدَّلِيلُ فَرْدًا
أَقْبَلَ فَمَرًّا، أَقْبَلَ فَمَرًّا، لِيُدْفَعَ كُلُّ غُبَارِ

أَقْبَلَ الْقَلْبُ، أَقْبَلَ الْقَلْبُ الَّذِي تَبَشَّرَ لَهُ الْقُلُوبُ
أَقْبَلَ خَمْرًا، أَقْبَلَ خَمْرًا، لِيُدْفَعَ كُلُّ خُمَارِ

أَقْبَلَ كَفًّا، أَقْبَلَ كَفًّا، يَجِدُ الْبَحْرُ بِهِ الدَّرْرُ
أَقْبَلَ مَلَكًا، أَقْبَلَ مَلَكًا، هُوَ رُوحُ كُلِّ الدِّيَارِ

كَيْفَ أَقْبَلَ؟ كَيْفَ أَقْبَلَ؟ وَهُوَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْ هُنَا
لَكِنَّ الْعَيْنَ تَارَةً تَعِي، وَتَارَةً تَعْدُو بِغَيْرِ اعْتِبَارِ

أَغْمَضُ عَيْنِي وَأَقُولُ ذَهَبَ، ثُمَّ أَفْتَحُهَا وَأَقُولُ أَقْبَلُ
هُوَ فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ، قَرِينٌ وَصَاحِبٌ فِي الْغَارِ^(١)

الآنَ يَسْكُتُ النَّاطِقُ، الآنَ يَنْطِقُ الصَّامِتُ
فَدَعْ عَنكَ عَدَّ الْكَلَامِ، فَقَدْ أَقْبَلَ الْكَلَامُ بِأَعْدَادٍ كَثِيرًا

* * *

(١) الصَّاحِبُ: الصَّدِيقُ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ فِي رِحْلَةِ هِجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَيْثُ لَجَأَ إِلَى الْغَارِ حَتَّى يَخْفَ طَلَبَ كَفَّارٍ قَرِيشٍ لِلرَّسُولِ، وَفِي الْبَيْتِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿... إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ [التوبة: ٤٠].

(٨٨)*

أَقْبَلَ الرَّبِيعُ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ، أَقْبَلَ الرَّبِيعُ حُلُوَ الْعِدَارِ
أَقْبَلَ أَوَانُ الشَّقَائِقِ الْحُمْرِ، طَابَ الْعَالَمُ وَعَمَّ الْأَخْضِرَارُ

اسْتَمَعَ إِلَى السَّوَسَنِ أَيُّهَا الرِّيحَانُ، فَلَلَسَّوَسَنَ مَائَةَ لِسَانٍ
انظُرْ وَاذَى الْمَاءِ وَالطِّينِ، كَيْفَ امْتَلَأَ بَوْشِي يُبْهِرُ الْأَبْصَارُ

تَسْأَلُ الْوَرْدَةَ زَهْرَةَ النَّسْرِينَ: «كَيْفَ كُنْتَ فِي هَذِهِ الْغُرْبَةِ؟»
تَقُولُ: «بِخَيْرٍ، إِذِ الطَّيِّبَاتُ أَتَتْ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ»

وَزَهْرَةُ الْيَاسْمِينِ تَهْتَفُ بِشَجَرَةِ السَّرْوِ: «أَوْ تَرْقُصِينَ وَأَنْتِ سَكْرَى؟»
يُسِرُّ السَّرْوُ بِأَذْنِهَا: «قَدْ أَقْبَلَ الْحَبِيبُ الْبَارَّ»

تَقَدَّمَتْ زَهْرَةُ الْبَنْفَسِجِ إِلَى «النَّيْلُوفِرِ» قَائِلَةً «بُورِكْتِ وَاللَّهِ»
فَقَدْ أَقْبَلَ الْعُمَرَ الْبَاقِي، وَوَلَّى الْجَفَافُ، ثُمَّ وَلَّى الْأَصْفِرَارُ

(*) مطلعها: بهار آمد، بهار آمد، بهار خوش عذار آمد

خوش و سر سبز شد عالم، اوان لاله زار آمد

وَتِلْكَ النَّرْجِسَةُ رَمَقَتِ الْوَرْدَةَ بِنَظْرَةٍ قَائِلَةً: «أَتُضْحَكِينَ؟»
فَهَتَفَتْ بِهَا: «مَا أَضْحَكُ إِلَّا، لِأَنَّ الْحَبِيبَ بِالْجَوَازِ»
وَقَالَتْ شَجْرَةُ الصُّنُوبِ: «تَيَسَّرَ السَّبِيلُ الْوَعْرُ بِفَضْلِ الْحَقِّ
فَكُلُّ وَرَقَةٍ بَدَتْ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ كَسَيْفٍ بَتَّارٍ
مِنْ تَرْكِسْتَانِ^(١) الْعَالَمِ الْآخِرِ (مَنْبِتُ الْأَتْرَاكِ الْمِلَاحِ)
بِأَمْرِ الْمَلِكِ، أَقْبَلَ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ الْمَاءِ، وَنَثَرَتْ الْأَزْهَارَ
انظُرْ ذَلِكَ اللَّقْلَقَ الصَّدَاحَ، قَدْ ارْتَقَى مِنْبَرًا
هَاتِفًا: «يَا رِفَاقَ الْعَمَلِ، الصَّلَا، حَانَ وَقْتُ الْعَمَلِ وَالْإِكْتِنَارِ»

* * *

(١) تُرْكِسْتَان: عُرِفَتْ -لِغَلْبَةِ الْخَضِرَةِ عَلَى أَرْضِيهَا وَوَفْرَةِ مِيَاهِهَا- بِأَنَّهَا جَنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

(۸۹)*

لَيْتَنِي أُعَشِقُ مَنْ كَلَّمَا قَامَ
ثَارَتْ - مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ - قِيَامَاتٌ مِلُّوْهَا نَارُ

إِنَّمَا نَبْغِي قَلْبًا كَالْجَحِيمِ، يَلْفُ الْجَحِيمِ بِنَارِ
وَمِنَ الْبِحَارِ يُثِيرُ مَائَتَيْنِ، وَمِنَ مَوْجِ الْبَحْرِ لَا يَلُوذُ بِفِرَارِ

يَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ كَمَنْدِيلِ
يُعَلِّقُ مِصْبَاحَ الْأَزَلِ كَقَنْدِيلِ نَوَازِ

يَنْطَلِقُ كَاللَّيْثِ صَوْبَ الْحُمَيْمَاءِ، يَأْتِي وَقَلْبُهُ قَلْبُ تَمَسَّاحِ
لَا يَتْرُكُ شَيْئًا إِلَّا نَفْسَهُ، ثُمَّ يَدْخُلُ مَعَ نَفْسِهِ فِي نِزَاعِ وَشَجَارِ

فَإِنْ مَزَّقَ سَبْعُمَائَةً مِنْ حُجْبِ الْقَلْبِ بِنُورِ نَفْسِهِ
أَتَاهُ مِنْ عَرْشِهِ نِدَاءٌ: مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ» بِاسْتِمْرَارِ

(*) مطلعها: مرا عاشق چنان باید که هر باری که بر خیزد

قیامت‌های پر آتش را هر سوسوی برا انگیزد

وإِنْ اجْتَازَ الْبَحْرَ السَّابِعَ، قَاصِدًا جَبَلَ قَافٍ
رَصَّعَ جَنَابِ التُّرَابِ بِحَبَّاتِ جَوْهَرٍ، مِنْ تِلْكَ الْبُحَيْرَةِ مُعَاذُ

* * *

(٩٠)

إِنْ أَصَابَ دُولَابٌ وَجُودِي الْكَلَالُ مِنْ هَذَا الدَّوْرَانِ
فَإِنَّ مَنْ يُدِيرُ الْأَفْلَاكَ يُدِيرُنِي

وَإِنْ أَنْزَلَ هَذَا الْجَيْشُ - بِفِعْلِ الْحَسَدِ - الْهَزِيمَةَ بِنَا
فَبَأْمْرِ الْمَلِكِ تَنْزَلُ الْجُنْدُ مِنْ عَلٍ

إِنْ عَصَفَتْ رِيحُ الشِّتَاءِ فدمَرَتْ بُسْتَانِي
فَإِنْ رَبِيعَ مَلِكِي مِنَ الْقَرِّ يُنْصِفْنِي (١)

إِنْ كَانَ عَدَدُ الْفَرَاغَةِ الْجَبَّارِينَ بَعْدَ وَرَقِ الشَّجَرِ
فَكَفُّ مُوسَى تُجْلِسُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَوْضِعٍ

(*) مطلعها: اگر چرخ وجود من از این گردش فروماند

بگرداند مرا آن کس که گردون را بگرداند

(١) في الأصل: دى، وهو شهر البرد القارس في الشتاء، والقرُّ: البرد الشديد.

لا تُرْهِبِ الْقَلْبَ، لا تُرْهِبِ الْقَلْبَ مِنْ شِدَائِدِ هَذَا الْمَنْزِلِ
فَمَاءَ عَيْنِ الْحَيَاةِ - يَا حَبِيبِي - أَبَدًا لَنْ تَجْفُونِي

إنها عبارات عربية متكسرة مُبْهَمَةٌ، لأجل العُشَّاقِ
فَلِي مَلِكٌ يَقْبَلُ كُلَّ قَوْلٍ مِنِّي

لا أجدُ نَفْسِي، فَمِنْ أَيْنَ أَجِدُ الْكَلَامَ؟
فالشَّمْعُ الَّذِي وَهَبَ هَذَا، هُوَ مَا يُضِيءُ شَمْعِي

* * *

(۹۱)*

اُخْرِجْ أَيُّهَا الْحُزْنَ مِنَ الصَّدْرِ، فُلْطِفُ الْحَبِيبِ يُقْبَلُ
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَلْبُ تَوَلَّ عَنِّي، فَهَا هُوَ ذَا الْحَبِيبِ يُقْبَلُ

لَا أَقُولُ لِحَبِيبِي: «أَسْعِدْ أَنْتَ؟» فَقَدْ جَاوَزَ السَّعَادَةَ هُوَ
مِنْ فَرْطِ عِشْقِهِ، يَنْتَابُنِي مِنَ السَّعَادَةِ عَارُ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، جَدِّدُوا إِسْلَامَكُمْ
فَالْكَفْرُ - خَجَلًا مِنْ حَبِيبِي - يُقْبَلُ كَمُسْلِمٍ مِنَ الْأَبْرَارِ

امضِ أَيُّهَا الشُّكْرُ، فَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَرَجَتْ عَنْ حَدِّ الشُّكْرِ
لَسْتُ أَبْغِي الصَّبْرَ، وَإِنْ نَفَعَنِي زَمَنًا الْأَصْطِبَارُ

اغْرُبِي يَا كُلَّ الصُّورِ، فَقَدْ أَقْبَلْتَ صُورًا جَدِيدَةً
تَتَنَكَّسُ أَعْلَامُكُمْ؛ وَهُوَ مَا يَحْدُثُ مَرَّاتٍ كَثِيرًا

(*) مطلعها: برون شو ای غم از سینه، که لطف یار می آید

تو هم ای دل ز من گم شو که آن دلدار می آید

بَابُ هَذَا الصِّدْرِ وَجِدَارُهُ، يَتَمَرَّقُ مِنَ التَّزَاخُمِ
فَمَا لَا يَسَعُهُ الْبَابُ، يُقْبَلُ مِنَ الْجِدَارِ

* * *

(٩٢)*

جَمَالُكَ الْيَوْمَ، يَتَّخِذُ شِكْلًا آخَرَ
شَفْتُكَ الْعَذْبَةَ لَهَا الْيَوْمَ، رِيْقٌ حَلْوٌ آخَرَ

وَرَدْتُكَ الْيَاقُوتِيَّةَ الْيَوْمَ، قَدْ نَبَتَتْ مِنْ غُصْنٍ آخَرَ
قَدْكَ الشَّبِيهَ بِالسَّرْوِ، لَهُ الْيَوْمَ عُلوٌّ آخَرَ

قَمْرُكَ الْيَوْمَ، لَا تَحْتَوِيهِ السَّمَاءُ
وَالسَّكَّةُ^(١) الشَّبِيهَةَ بِسَمَائِكَ، لَهَا وُسْعٌ آخَرَ

لَسْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ، مِنْ أَيِّ جَانِبِ نَشَأَتِ الْفِتْنَةُ
إِنَّمَا أَدْرِي أَنَّ الْعَالَمَ -بِسَبَبِهِ- شَمِلَتْهُ فِتْنٌ، مِنْ نَوْعٍ آخَرَ

(*) مطلعها: امروز جمال تو سیمای دگر دارد

امروز لب نوشت حلوانی دگر دارد

(١) السَّكَّةُ: العملة النقدية، ولعله يعني بها الشمس.

ذَاكَ الْغَزَالُ صَارِعُ اللَّيْثِ، تَرَى بِعَيْنِيهِ
أَنَّ وَّرَاءَ الْعَالَمِينَ، صَحْرَاءُ فِي شَكْلِ آخِرُ

هَذَا الْقَلْبُ الْمَحْبُوقُ قَدْ تَوَلَّى، ضَاعَ الْقَلْبُ وَالْحُبُّ وَلَّى
لَأَنَّ لَهُ أَسْمَى مِنْ هَذَا الْحُبِّ، حُبًّا آخِرُ

إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قَدَمٌ، فَالْعَاشِقُ يَطِيرُ بِجَنَاحِ الْأَزَلِ
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَأْسٌ، فَلَهُ مِنَ الرَّؤُوسِ عَدَدُ آخِرُ

بَحْرُ الْعَيْنِينَ كَانَ يَبْحَثُ عَنْهُ، ثُمَّ يَفْرَعُ
وَمَا دَرَى أَنَّ لِدَاكَ الدَّرَّ، بَحْرًا آخِرُ

فِي الْعِشْقِ، قَلْبْتُ الْعَالَمِينَ رَأْسًا عَلَى عَقْبِ
فَكَيْفَ تَنْشُدُهُ، هُنَا؟! إِنَّ لَهُ مَكَانًا آخِرُ

* * *

(۹۳)*

كَيْفَ بَمَنْ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهِ عِشْقٌ وَطَلَبٌ
لَا يَفْتَحُ بَابَ الْقَلْبِ؟ فَلِذَلِكَ سَبَبٌ

امْضِ وَاقْعُدْ عَلَى بَابِ قَلْبِ
يَلْجُهُ الْحَيِّبُ - خَفِيَّةٌ - إِذَا النَّجْمُ غَرُبَ

الرُّوحُ الَّتِي تَنْفَصِلُ^(۱)، بَاحِثَةٌ عَنِ اللَّهِ
هِيَ نَادِرَةٌ، وَأَمْرُهَا عَجَبٌ

تِلْكَ الْعَيْنُ مِنْ هَذَا الْإِيوَانِ، تَرَى إِيوَانًا آخَرَ
صَاحِبَةٌ نَظَرَ هِيَ، وَ «شِيرِينَ»^(۲) لَهَا لَقَبٌ

(*) مطلعها: آن راکه درون دل عشق و طلبی باشد

چون دل نگشاید در، آن را سببی باشد

(۱) أي تنفصل عن علائق المادة والجسد.

(۲) شیرین بالفارسیة معناه: الجمیل، العذب.

إِنَّ مَنْ هُوَ هَكَذَا، وَلِلرُّوحِ قَرِينٌ
سَاعَةً يُسَلِّمُ الرُّوحَ، تَرَى لَهُ طَرَبٌ (١)

إِنَّ آتَى قَدَمُهُ عَلَى الْحَجَرِ، انْهَالَتْ عَلَى كَفِّهِ الدُّرُ
وَحِينَ تَبْلُغُ رُوحَهُ الشَّفَقَةَ، رَأَيْتَ بِالشَّفَقَةِ سُكْرًا مُعْجَبٌ

إِنَّ لَمْ يَبْدُ فِي الْعَيْنِ، تَأْجُ الْمُلُوكِ عَلَيْهِ
تَرَاهُ - بِغَيْرِ أَبِي وَأُمِّ - عَالِي النَّسَبِ

صَهٍ، وَلَا تُفْشِ الْأَسْرَارَ هُنَا وَهُنَا
فَفِي جَمْعِ خِفَافِ الرُّوحِ، قَدْ تَرَى أَبَا لَهَبٍ (٢)

* * *

(١) يسعد حين تفيض روحه ويلقى الله تعالى .

(٢) يرمز الشاعر بأبي لهب إلى أعداء الله وأعداء الرسول وأتباعه .

(٩٤)*

رِفَاقُ قِيَامِ السَّحَرِ، مَنْ ذَا يُدْرِكُ مِنْهُمْ الصُّبْحُ؟
لِيُدْرِكَ ذَرَّةً مِنْ صِفَتِنَا، وَهِيَ مُتَقَلِّبَةٌ لَا تَسْتَقِرُّ^(١)

مَنْ صَاحِبُ السَّعْدِ الَّذِي، يَأْتِي إِلَى شَطِّ غَدِيرٍ؟
كَيْ يَشْرَبَ وَيَرْتَوِيَ، فَيَلْقَى صُورَةَ الْقَمَرِ^(٢)

مَنْ ذَا مِثْلُهُ مِثْلُ يَعْقُوبَ؛ بِقَمِيصِ يُوسُفَ
يَتَشَمَّمُ رَائِحَةَ وَلَدِهِ، فَيَجِدُ نُورَ الْبَصَرِ

أَوْ كَأَعْرَابِي ظَمَانَ، يُلْقَى بِبَيْتٍ دَلْوًا
فَيَجِدُ بِالذَّلْوِ حَسَنَاءَ، كَقَدْحٍ مِنَ السُّكَّرِ

(*) مطلعها: ياران سحر خيزان تا صبح كه در يابد؟

تا ذرة صفت ما را كه زير وزير يابد؟

(١) من أحوال العاشق اضطراب الظاهر وصفاء الباطن .

(٢) يلقي صورة القمر على صفحة ماء الغدير .

أَوْ كَمُوسَى الْبَاحِثِ عَنِ النَّارِ، يَتَّجُهُ نَحْوَ شَجَرَةٍ
يَأْتِي كِي يِقْتَبِسُ النَّارَ، فَيَجِدُ مِائَةَ صُبْحٍ وَسَحَرٍ

يَثْبُ عَيْسَى بَيْتٍ، كِي يَنْجُو مِنَ الْعِدَا
فِيَلْقَى -بَغْتَةً- مِنَ الْبَيْتِ نَحْوَ السَّمَاءِ مَعْبَرٌ^(١)

أَوْ كَسُلَيْمَانَ يَفْتَحُ بَطْنَ سَمَكَةٍ
فِيَلْقَى بِهِ خَاتَمًا، مِنْ ذَهَبٍ وَجَوْهَرٍ^(٢)

السَّيْفُ بِإِدِّ عَمْرٍ، يُزْمَعُ قَتْلَ رَسُولِ الْبَشَرِ
يَقْعُ فِي شِبَاكِ اللَّهِ، وَلَسَعِدِهِ يُؤْتَى النَّظْرُ^(٣)

(١) إشارة إلى قصة عيسى-عليه السلام- حين نار عليه اليهود ليقتلوه، فيدخل بيتاً فيه كوة في سقفه، فرفعه الله تعالى إلى السماء من تلك الكوة، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبع بيروت ١٩٦٥م، ص ٣١٨.

(٢) وهو الخاتم الذي كان فيه مُلك سليمان-عليه السلام- بعد أن اختطفه الجني وتشبه بسليمان وجلس على عرشه، وهام سليمان على وجهه حتى تصدق عليه أحد الصيادين بسمكة وجد خاتمه في بطنها حين فتحها. وكان الجني قد ألقى الخاتم في البحر فابتلعته تلك السمكة.

(٣) إشارة إلى حديث إسلام عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حين خرج ومعه سيفه يريد النبي ﷺ، فلما لقيه أسلم.

أَوْ ابْنُ أَدْهَمَ، انطَلَقَ صَوْبَ ظِييِ
يَرُومُ صَيْدَ الظَّبْيِ، فَيَجِدُ صَيْدًا آخَرَ^(١)

أَوْ كَصَدْفَةٍ عَطَشَى، تَفْغُرُ القَمَ
كَيَّ تَقْتَنِصُ قَطْرَةً، فَتَلْقَى بِجَوْفِهَا جَوْهَرَ^(٢)

أَوْ رَجُلٍ يَقْصِدُ الحَرَائِبَ، يَجْمَعُ الحَطَبُ
بَغْتَةً يَجِدُ فِي حَرَابَةٍ، عَن كَنْزِ خَبْرٍ

دَعِ الأَحَادِيثَ وَاَمْضِ، كَيَّ يُدْرِكُ القَرِيبُ والغَرِيبُ
بَنُورِ «أَلَمْ نَشْرَحْ»، اِمْتِنَاعَكَ، عَن أَنْ تُشْرَحَ وَتُفَسَّرَ^(٣)

كُلُّ مَنْ خَطَا - صَادِقًا - خُطْوَةً، صَوَّبَ شَمْسَ الدِّينِ
إِنْ كَلَّ قَدْمَهُ، وَجَدَ - بِالْعِشْقِ - جَنَاحَيْنِ وَأَكْثَرَ

(١) إشارة إلى قصة إبراهيم بن أدهم حين كان أميراً فخرج بجيشه للصيد، فلما انفصل وحده عن الجيش سمع من يقول له «انتبه» فلم يلتفت ووجد ظبياً فطارده، فسمع الظبي يقول أُمِرْتُ بِاصْطِيادِكَ، وَلَنْ يَسْعَكَ صَيْدِي؛ وَكَانَ هَذَا سَبَبًا فِي زَهْدِهِ.

(٢) إشارة إلى ما هو مشتهر بين الناس بأن قطرة من ماء المطر إذا دخلت بجوف صدفة، انطبقت الصدفة عليها وظلت بها حتى تحوّلت إلى لؤلؤة نفيسة.

(٣) إشارة إلى قول الله تعالى للرسول ﷺ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١)، والمعنى أن الإنسان كائن يصعب تفسيره، وأن خالقه وحده هو القادر على فك طلاسمه.

(۹۵)*

مَنْ كُنْتَ لَهُ، أَيْعْتَرِيهِ مِنَ السَّعَادَةِ نَقْصُ؟
وَمَنْ يِرَاكَ أَيُّهَا الْقَمَرُ، أَيَّتَابُهُ كَمَدٌ وَعَمٌّ؟

مِنْ لَوْنِ بُلُورِكَ صَارَ جَوْرُكَ عَذْبًا
وَكَمْ لِحْشَمِ جَوْرِكَ مِنْ، خَطْوِ سَرِيْعِ مُبْرَمٍ^(۱)

يَا مَنْ مِنْكَ دَلَالُ الْحُورِ، يَا مَنْ مِنْكَ تَأَلَّقُ النُّورُ
يَا مَنْ مَائَتَانِ كَالْقَمَرِ، غُلْمَانُ لَهُ وَحَشَمٌ

إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ حَشْمُهُ، لَكَانَتِ الشَّمْسُ وَحْدَهَا^(۲)
وَلِحْشَمِ حُسْنِهِ، مَائَةٌ طَبَلٍ وَعَلَمٌ

(*) مطلعها: آن کسی که ترا دارد، اندر عیش چه کم دارد؟

وان کسی که ترا ببند، ای ماه چه غم دارد؟

(۱) المبرم: المُحْكَم.

(۲) یعنی: لو لم يكن القمر له حشماً، لأصبحت الشمس وحدها هي الحشم.

العاشقُ جدُّ ولهان، هانئٌ فرحانُ
في ظلِّ طُرَّةٍ، ذاتِ ثِيَّاتٍ لا تَتَّظِمُ

قُلْتُ لحبيبي: «لَا تَبْغِ بِالْجَوْرِ كَسْرِي»
قَالَ: «أَبْقِ بِصَدَقَةٍ بِجَوْفِهَا الدُّرُّ الْيُتْمُ»^(١)

مَا لَمْ تَنْكَسِرْ أَهْيَا الْوَلْهَانِ، لَنْ تَظْهَرَ الدُّرَّةُ
فَتَلْكَ الدُّرَّةُ صَنْمِي، أَوْ لَهَا شَكْلُ الصَّنَمِ

حِينَ تَجَلَّى شَمْسُ الْحَقِّ التَّبْرِيزِيُّ عَلَى اللَّوْحِ
فَوَاللَّهِ، إِنَّ لَهُ مِنْنَةً، عَلَى اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ^(٢)

* * *

(١) اليُتْمُ: الفرائد.

(٢) اللوح والقلم: اللوح الذي خط عليه القلم كل ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم الدين،
والمعارف والمدركات كلها محفوظة فيه.

(٩٦)*

مِنَ السَّرْوِ يُقْبَلُ عَلَيَّ، عِطْرُ عَلَاكَ
مِنَ الْقَمَرِ يَأْتِي إِلَيَّ، لَوْنُكَ وَمُحْيَاكَ

كُلُّ قِصْبَةٍ تَعْقُدُ حِزَامَ الْخِدْمَةِ أَمَامَكَ
يَجْتَا حُهَا السُّكَّرُ، بِبَرَكَةِ التَّعَبُّدِ لِحُلُوكِ

كُلَّمَا هَرَبْتُ مِنْكَ، وَعَانَدْتُ عَشَقَكَ
تَمَلَّكَ رَأْسِي - مِنْ الْجِهَاتِ السَّتِّ - غَرَامُكَ وَوَلَاكَ

وَإِنْ عَلَوْتُ مِنَ الدُّونِ، وَخَرَجْتُ مِنَ الْكَوْنِ
تَرَدَّدْتُ فِي أُذُنِي هُنَاكَ أَيْضًا هَيْهَاكَ^(١)

(*) مطلعها: از سرو مرا بوی بالای تو می آید

وز ماه مرارنگ و سیمای تو می آید

(١) هَيْهَاكَ: هَيَّ، فعل أمر بمعنى أسرع، والهَاءُ أداة الجمع الفارسية؛ هَيْهَاكَ: قَوْلُكَ لِي: أَسْرِعْ أَسْرِعْ.

فِي الْقَلْبِ صِيَاْحٌ، مُتْرَعٌ بِالْفِتْنَةِ وَالْعَدْلِ (١)
أَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ النُّوَاْحَ، إِنَّمَا يَصْدُرُ عَن نَّايِكَ ذَاكَ

لَيْلِي نَهَارٌ بِكَ، شَفْتِي جَافَةً بِكَ
وَمَا ضَرُّهَا إِنْ جَفَّتْ، فَمَاؤُكَ آتٍ وَمَرَعَاكَ

لَا فَوَاقَ لِأَحَدٍ تَحْتَ الْفَلَكِ الْأَعْظَمِ (٢)
فَمِنْ وَرَاءِ وَقُدَّامِ، يَأْتِي خَمْرُكَ وَسُقْيَاكَ

* * *

(١) العذل: اللوم، وفي الأصل: غمازي: الغمز، ولعل المعنى الأول هو الأقرب.

(٢) في الأصل: الفلك الأطلس، وهو الفلك التاسع المحيط بالأفلاك كلها.

(٩٧)*

قَدْ أَصْبَحْتَ عَاشِقًا، أَيُّهَا الْقَلْبُ، بُورِكَ الْحُبُّ لَكَ
خَلَصْتَ مِنَ الْحَيِّزِ وَالْمَكَانِ؛ بُورِكَ هُنَاكَ لَكَ

اعْبُرِي كِلَا الْعَالَمَيْنِ، اضْرَبِي وَخَدِكِ وَاشْرَبِي وَخَدِكِ
حَتَّى يَهْتَفَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ: بُورِكَ الْوَحْدَةُ لَكَ

يَا مَنْ أَنْتَ رَجُلٌ تَمْضِي قُدَمَا، تَبْدُو الْيَوْمَ مُصْطَدِمًا
يَا مَنْ أَنْتَ تَزْهَدُ الْغَدَ^(١)، بُورِكَ الْغَدُ لَكَ

كُفِّرْكَ صَارَ دِينًا كُلَّهُ، مُرِّكَ صَارَ حُلُومًا كُلَّهُ
صِرْتَ بِأَجْمَعِكَ حَلُومًا، بُورِكَ الْحَلُومُ لَكَ

(*) مطلقها: عاش شدة اي، اي دل، سودات مبارك باد

از جا ومكان رستی، آنجات مبارك باد

(١) أي تخشى الموت ومنازل الآخرة.

للفُقراءِ في ضيقِ الصِّدرِ، ضَجَّةٌ وصَحْبٌ
يا صَدْرًا بِغَيْرِ غَلٍّ، بُورِكَ الصَّجَّةُ لَكَ

عَيْنُ القَلْبِ هَذِهِ، كَانَتْ دَامِعَةً ثُمَّ غَدَتْ بَحْرًا
بِحُرِّهَا يَهْتَفُ قَائِلًا: بُورِكَ البَحْرُ لَكَ

يا عَاشِقًا قَدْ خَفَا، جُعِلَ لَكَ الحَبِيبُ قَرِينًا
وَيَا طَالِبَ العُلَا، بُورِكَ العُلَا لَكَ

أَيُّهَا الرُّوحُ الرِّضِيَّةُ، الطَّالِبَةُ، الَّتِي تَسْعَى
قَدْ أَخَذَتْ صُفُوفَكَ أَهْبَتَهَا، بُورِكَ الصَّفُّ لَكَ

صِهٍ، وَتَخَفَّ، يَا حُسْنَ مَا اتَّجَرَتْ
لَقَدْ حَمَلَتْ مَتَاعًا عَجَبًا، فَبُورِكَ المَتَاعُ لَكَ

* * *

(۹۸)*

أَيُّهَا الْحَبِيبُ، الشُّكْرُ أَفْضَلُ أَمْ مَنْ يَصْنَعُ الشُّكْرَ
أَحْسَنُ الْقَمْرِ أَفْضَلُ، أَمْ مَنْ يَجْعَلُ الْقَمْرَ؟

أَيُّهَا الرَّوْضُ، أَنْتَ أَفْضَلُ، أَمْ مَا فِيكَ مِنْ وَرْدٍ وَزَهْرٍ؟
أَمْ مَنْ يُخْرِجُ الْوَرْدَ، وَيُبْدِعُ مِثَاتِ النَّرْجِسِ النَّضْرَ؟

أَيُّهَا الْعَقْلُ، أَنْتَ أَفْضَلُ فِي الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ
أَمْ مَنْ يُبْدِعُ كُلَّ لِحْظَةٍ، مِائَةَ عَقْلٍ وَنَظَرَ

أَيُّهَا الْعِشْقُ، مَعَ أَنَّكَ مِثْرٌ كَثِيرٌ التَّعَقُّدِ
فَهَذَا شَيْءٌ يَلْفُ الْعِشْقَ، بِحِزَامٍ مِنْ نَارٍ تَسْتَعْرِ

(*) مطلعها: ای دوست، شکر بهتر، یا آنکه شکر سازد؟

خوبی قمر بهتر، یا آنکه قمر سازد؟

قَدْ صرْتُ بِهِ ذَاهِلًا، دَائِرَ الرَّأْسِ حَيْرَانَ
تَارَةً يَحْرُقُ جَنَاحِي، وَتَارَةً يَجْعَلُ رَأْسًا وَجَنَاحًا يُنَشِّرُ

بِحُرِّ الْقَلْبِ بِلُطْفِهِ مَمْلُوءٌ بِحُسْرٍ، مَمْلُوءٌ بِشِيرِينَ^(١)
وَمِنْ قَطْرَةِ الْفِكْرِ يُبْدِعُ، مَائَةً صِنْفٍ مِنَ الْجَوْهَرِ

يَسْحَقُ تِلْكَ الْجَوَاهِرَ كُلَّهَا فِي الْعِشْقِ
ثُمَّ يَجْعَلُ مِنَ الْعِشْقِ الْمُعْجَبِ شَيْئًا آخَرَ^(٢)

شَمْسُ الْحَقِّ التَّبْرِيْزِي، كَالشَّمْسِ يَجْعَلُ قَلْبَنَا
فِي الْفِعْلِ سَيْفًا، وَفِي الذَّاتِ كَالدَّرْعِ أَوْ كَالْمِغْفَرِ

* * *

(١) إشارة إلى قصة الحب التي جمعت بين الملك الساساني خسرو برويز وفتاة أرمنية تسمى شيرين.

راجع ما سبق، القصيدة رقم ٢٨، هامش ١، ص ١٢٥.

(٢) يعني لا بد للفكر من الذكر، وللعقل من القلب، وللعلم من الحب.

(٩٩)*

لَا تَقْنَطُ أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فَقَدْ بَدَا الْأَمَلُ
أَمَلٌ كُلُّ الْأَحْيَاءِ، وَصَلَ مِنَ الْغَيْبِ وَأَقْبَلَ

لَا تَقْنَطُ، فَمَرِيئٌ إِنْ مَضَتْ وَتَرَكَتْكَ
فالنُّورُ الَّذِي رَفَعَ عِيسَى عَلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، أَقْبَلَ

لَا تَقْنَطُ، أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فِي ظُلْمَةِ هَذَا السَّجْنِ
فَالْمَلِكُ الَّذِي اشْتَرَى يُوسُفَ مِنَ الْحَبْسِ، أَقْبَلَ

خَرَجَ يَعْقُوبُ مِنَ قَمِيصِ السُّتْرِ^(١)
وَيُوسُفُ الَّذِي حَمَلَ زُلَيْخَا عَلَى قَدِّ الْقَمِيصِ، أَقْبَلَ

(*) مطلعها: نويد مشو جانا كاوميد بديد آمد

اوئيد همه جانها از غيب رسيد، آمد

(١) إشارة إلى قول يوسف لإخوته - كما ورد في القرآن الكريم، ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا...﴾ (يوسف: ٩٣).

يَا مَنْ دَفَعْتَ اللَّيْلَ حَتَّى بَلَغَ السَّحَرُ، بِدَعَاءِ «يَا رَبِّ وَيَا رَبِّ»
فَإِذَا بِالرَّحْمَةِ حِينَ سَمِعْتَ «يَا رَبِّ وَيَا رَبِّ» تُقْبَلُ

أَيُّهَا الْأَكْمُ الَّذِي طَالَ بِهِ الْعَهْدُ، بَخِ بَخِ^(١)، جَاءَ الشِّفَا
أَيُّهَا الْقِفْلُ مُحْكَمُ الْغَلْقِ، انْفَتِحْ فَالْمِفْتَاحُ أَقْبَلُ

يَا مَنْ تَصَوْمُ بِرَفْدِ مَائِدَةِ السَّمَاءِ
أَفْطِرِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، فَعَرَّةُ الْعِيدِ تُقْبَلُ

صَهٍ، ثُمَّ صَهٍ، بِأَمْرِ «كُنْ»^(٢)
فَالصَّمْتُ الْمَشُوبُ بِالْحَيْرَةِ، قَدْ تَعَدَّى الْقَوْلَ وَأَقْبَلُ

* * *

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ، كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ: «تَقَالُ عِنْدَ الرِّضَا وَالْإِعْجَابِ بِالشَّيْءِ» (المعجم الوسيط).
(٢) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ أَمْرُهُ إِذْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

(١٠٠)*

جَاءَ شَمْسِي وَقَمْرِي، جَاءَ سَمْعِي وَبَصْرِي

جَاءَ بَدَنِي الْفِضِّيُّ، جَاءَ مَنْجَمُ ذَهَبِي

جَاءَ سُكَّرُ رَأْسِي، جَاءَ نُورُ نَظْرِي

إِنْ أَرَدْتَ شَيْئًا آخَرَ، فَشَيْءٌ آخَرُ حَلَّ بِي

جَاءَ قَاطِعُ طَرِيقِي، جَاءَ نَاقِضُ تَوْبَتِي

جَاءَ يُوسُفُ يُبْرِقُ وَيَلْمَعُ، جَاءَ بَغْتَةٌ إِلَى صَدْرِي

الْيَوْمَ يَزْهُو عَلَى الْأَمْسِ، يَا مُؤْنِسِي الْقَدِيمِ

كُنْتُ بِالْأَمْسِ بِهِ ثِمْلًا، فَعَنْهُ خَبِرْتُ جَاءَنِي

مَنْ ظَلَلْتُ أَبْحَثُ عَنْهُ، بِالْأَمْسِ بِنُورِ قِنْدِيلِهِ

الْيَوْمَ، كِبَاقَةَ زَهْرٍ، جَاءَ عَلَى مَعْبَرِي

(*) مطلعها: شمس وقمرم آمد، سمع وبصرم آمد

وان سميرم آمد، وان كان زرم آمد

لَفَّ خَصْرُهُ بِيَدَيْهِ، إِلَى صَدْرِهِ صَمْنِي
مَنْ تَاجِ الْمَلَاكِ الْغَيْدِ، لَفَّ حِزَامًا نَادِرًا بِخَصْرِي

انظُرْ رَوْضَهُ وَرَبِيعَهُ، انظُرْ خَمْرَهُ وَخُمَارَهُ
انظُرْ الْهَضْمَ وَالصَّحَّةَ، فَقَدْ جَاءَ سُكَّرِي الْوَرْدِي (١)

فَمَا خَوْفِي مِنَ الْمَوْتِ، وَقَدْ جَاءَ مَاءُ الْحَيَاةِ
وَمَا خَوْفِي مِنَ الطَّعْنِ، وَقَدْ جَاءَ هُوَ: دِرْعِي

أَنَا الْيَوْمَ سُلَيْمَانَ، إِذْ وَهَبْتَنِي خَاتَمًا
وَحَطَّ تَاجُ الْمُلُوكِ، فَوْقَ مِفْرَقِ رَأْسِي

إِنْ زَادَ أَلْمِي عَنِ الْحَدِّ، فَفِي سَفَرِ الْعِشْقِ بَلِغْتُ الْجَدِّ
فَيَا لَهَا - يَا رَبِّ - مِنْ سَعَادَةٍ، نِلْتَهَا أَنَا مِنْ ذَلِكَ السَّفَرِ

حَانَ الْآنَ أَنْ أُشْرِبَ الْخَمْرَ، حَتَّى يُبْرِقَ وَعْجِي
حَانَ الْآنَ أَنْ أُحَلِّقَ عَالِيًا، فَالرَّيْشُ وَالْجِنَاحُ أَتَانِي

(١) في الأصل: كلشكر: ومُعْرَبُهُ «خلنجبين» سكر جبل بأوراق شجرة الورد، وهو مفيد في عملية الهضم، يقوّي القلب، (انظر، لغت نامه دهخدا).

حَانَ الْآنَ أَنْ أُشِعَّ بِالنُّورِ، كَالصُّبْحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ
حَانَ الْآنَ أَنْ يَعْلُوَ زَيْرِي، فَمَلِكُ الْغَابِ جَاءَنِي

يَيْتَانِ بَقِيَا، لَكِنَّهُم أَخَذُونِي - يَا حَبِيبِي -
مَكَانًا، الدُّنْيَا فِيهِ جَدُّ قَلِيلَةٍ، كَمَا بَدَتْ لِي

* * *

* (١٠١)

الْمَنَّةُ لِلَّهِ^(١)، قَدْ خَلَصْنَا مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَالنِّزَالِ
خَلَصْنَا مِنْ هَذَا الْوَادِي الْوَعْرِ، الْمَلِيءِ بِالشُّوكِ وَالْإِعْسَارِ

مِنَ الرُّوحِ الْمَلِيئَةِ بِالْوَهْمِ، ذِي الْفِكْرِ الْمُعَوِّجِ عَبَرْنَا
خَلَصْنَا مِنْ هَذَا الْفَلَكِ، أَكِلِ الْكِيَادِ، الْمَكَارِ

ثُمَّ إِنَّا فِي ظِلِّ رَوْضَةِ الْإِقْبَالِ غَفَوْنَا
فَقَدْ نَجَوْنَا مِنْ دَوَامَةِ ذَلِكَ الْمُحِيطِ الرَّخَّازِ

نَحْنُ فُرْسَانُ مَغَاوِيرٍ، بِأَلْحِيُولِ رَكِبْنَاهَا
نَحْنُ سُكَارَى، بِأَلْخَمْرِ شَرَبْنَاهَا
قَدْ فَرَعْنَا مِنَ الْكَأْسِ، وَمِنَ مَنَّةِ الْخَمَّازِ

(*) مطلعها: المنة لله كه زيبيكار رهيديم

زين وادي خم در خم رهيديم

(١) المنة: الإحسان والإنعام، (القصيدة رقم ٢٣٢ في مجموعة كدكني).

حِينَ شَهَدْنَا قَمَرَ التَّوْبَةِ^(١)، تَخَلَّصْنَا دَفْعَةً
نَقَضْنَا التَّوْبَةَ، وَعَقَدْنَاهَا مَرَّاتٍ كَثِيرًا^(٢)

أَيُّهَا السَّنَةُ، يَا لَكَ مِنْ سَنَةٍ، فَبَطَّلِعِكَ الْحَسَنَ
نَجُونَا مِنْ مَخْرَفَةِ عَامٍ، وَأَعْوَامٍ مَضَتْ وَأَعْصَارَ

بِالْعِشْقِ تَعَدِينَا الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ^(٣)، وَتَرَكْنَا الْأَرْبَعِينَ^(٤)
فَحِينَ جَاءَنَا الْمَذْكَورُ، خَلَّصْنَا مِنَ الْأَذْكَارِ

صَبِّهِ، فَبِهَذَا الْعِشْقِ، وَبِعِلْمِهِ اللَّدْنِيِّ^(٥)
كُنَّا فِي غِنَى عَنِ الْمَدْرَسَةِ وَالْأَوْرَاقِ، وَالتَّكْرَارِ

صَبِّهِ، فَبِهَذَا الْمَنْجَمِ، وَهَذَا الْكَنْزِ الْإِلَهِيِّ
ضَرَبْنَا صَفْحًا عَنِ الْكَسْبِ، وَالذَّرْهَمِ وَالذِّينَارِ

(١) قمر التوبة: شهر رمضان.

(٢) إشارة إلى فرح الحق -تعالى- بتوبة عبده وتجديد توبته، كما قال النبي ﷺ «... فما هو بأشدَّ بها فرحًا من الله بتوبة عبده» (ابن حنبل: المسند، ٤: ٢٧٣).

(٣) الأيام الثلاثة: يعني بها صوم الأيام الثلاثة في منتصف كل شهر قمري، وهي ١٣ و ١٤ و ١٥ من الشهر.

(٤) الأربعين: التعبد مدة أربعين يومًا متواصلة في مكان منقطع عن الناس، وهو من أسس التربية الصوفية.

(٥) اللدني: الرباني، وهو العلم الذي يصل إلى صاحبه عن طريق الإلهام.

أَجَلٌ، لَقَدْ انْتَهَى بِنَا الْأَمْرِ، إِلَى أَنْ الشَّمْسَ حِينَ أَشْرَقَتْ
خَلَصْنَا مِنَ الرَّقِيبِ، وَاللَّصِّ، وَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَالْأَخْطَازِ

* * *

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام

ثانياً: فهرس الأماكن والبلدان

ثالثاً: المحتويات

فهرس الأعلام

امرأة العزيز ١٣٩	آ
أوحد الدين الكرمانى ١٣	آدم ٤١، ١٠٢، ٢١٨
البخارى ٢٣١، ٢٤٢	آل عمران ٨٠
ب	آل محمد ١٤
بديع الزمان فروزانفر ١٧، ٢١، ٣٤، ٤٥، ٤٢	أ
براون، انظر إدوارد جرانفيل	إبراهيم (عليه السلام) ٦٩، ٢٠٤،
برهان الدين الترمذى (السيد) ٩	إبراهيم (الشيخ) ١٤
بقراط ١٤	إبراهيم بن أدهم ٢٣٨، ٢٧٥
أبو بكر سلّة باف (السلّال) ١١	إبراهيم أمين الشواربى ١١
أبو بكر الصديق ٢٦٠	إبراهيم شتا ٢٥ - ٣٢
بنو إسرائيل ١٤٩	الأتراك ٢٦٢
بهاء الدين ولد ٧، ٨، ٩، ١٣، ٢١	ابن الأثير، عز الدين ٢٧٤
بو يزيد، انظر: أبو يزيد البسطامى	أحمد خوشنويس، انظر عماد
ت	إخوان الصفا ١٤
الترمذى ٨٨	إسحاق (عليه السلام) ٦٩، ٢٠٤
توفيق سبحانى ١٥	أسد الله، انظر على بن أبى طالب
ث	إسماعيل (عليه السلام) ٦٩
ثادانى Thadani ٤١	الأفلاكى، شمس الدين ١٠، ١١، ١٧، ٢٧، ٢٤، ١٨

د

داود (عليه السلام) ٨٥

الدولة الخوارزمية ٨

ر

رستم ١١٩، ٢٠٤

الرّسول، انظر محمد ﷺ

الرّوم ٧٤

الرّومي، انظر جلال الدين

رينولد آلين نيكلسون، انظر نيكلسون

ز

زليخا ١٣٩

س

سبأ

سعدى الشيرازي ٣٦

سقراط ١٤

السلاجقة ٨

سلطان ولد ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣٢،

٣٣

سليمان (عليه السلام) ١٢٠، ٢٧٤

سنائي الغزنوي ٢١

ابن سينا ١٤٨

ش

شداد ٨٥

ج

جالينوس ١٦٩

جبريل (عليه السلام) ١٠٩، ١٢٣

جلال الدين الرومي، مولانا، مولوي ٥،

٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٨، ١٩،

٢٠، ٣٠، ٣٥، ٤٠، ٤٩، ٥٠، ٨٤،

١٠٦، ١٠٧، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٤٨،

٢٠٨، ٢١٤

جلال الدين همائي، جلال همائي ١٣،

٤٥، ١٠٦

ج

چنكيز خان ٨

ح

حافظ الشيرازي ٣٦

أبو حامد الغزالي ٣٨، ١٨٠،

حسام الدين جلبي ٣١

الحسين بن منصور، انظر الحلاج

الحلاج، الحسين بن منصور ١١٨،

١٣٤

خ

خسرو (پرويز) ١٢٥، ٢٨٣،

الخضر (عليه السلام) ٥٤، ١٠٤،

الخيام، انظر عمر الخيام

عبد الباقي گولپینارلی ۱۵، ۲۸، ۲۹	شعراء الفرس ۲۱، ۳۶، ۱۲۲
عبد النعیم محمد حسنین ۲۲۴	شعیب (علیه السلام) ۵۹
ابن عربی، محیی الدین ۱۳	شمس تبریز، انظر شمس الدین التبریزی
علاء الدین کیقباد ۸، ۹	شمس الحق، انظر شمس الدین التبریزی
علی بن أبی طالب، أسد الله ۲۰۴	شمس الدین التبریزی، شمس تبریز،
عماد (أحمد خوشنوس) ۱۱، ۱۲	شمس الحق، شمس الطیار، صلاح
عمر (بن الخطاب) ۲۷۴	الدین، محمد بن علی بن مُلک داد ۵، ۶،
عمر الخیّام ۱۴	۱۰، ۱۱، ۱۲، ۱۳، ۱۴، ۱۵، ۱۷، ۱۸،
عیسی ابن مریم، المسیح (علیه السلام)	۲۰، ۲۲، ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۰، ۴۹، ۶۲،
۱۱۸، ۱۵۸، ۲۷۴	۱۱۰، ۱۱۶، ۱۲۱، ۱۲۳، ۱۲۹، ۱۳۳،
ف	۲۵۸، ۱۸۹
فخر الدین الرازی، الفخر الرازی ۶، ۱۵	شمس الطیار، انظر شمس الدین
الفراعنة ۲۶۵	التبریزی
الفرس ۱۲۵، ۱۶۴، ۲۰۴	شیرین ۱۲۵، ۲۷۱، ۲۸۳
فرعون ۱۴۹، ۱۹۱	ص
فرهاد ۱۲۵	صلاح الدین، انظر شمس الدین
فروزانفر، انظر بدیع الزمان	التبریزی
فريد الدین العطار ۲۱، ۳۶	صلاح الدین زركوب ۳۱
ق	صدر الدین القونوی، محمد بن
القريشي ۱۳	إسحاق ۱۳
القشيري ۱۳	ط
قیصر ۶۹، ۱۹۷	أبو الطیب، انظر المتنبی
	ع
	عباس محمود

ك

كدكني، انظر محمد رضا شفيعي

كراختون ٢١

كفّار قريش ٢٦٠

گ

گولپينارلي، انظر عبد الباقي

ل

أبو لهب ٢٧٢

م

المتنبي، أبو الطيب ٢١

المجوس ١٨١

محمد، الرسول، المصطفى، النبي ﷺ

١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٥٤، ٧٨،

٨٨، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٧١، ٢١٦،

٢١٧، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٦٠، ٢٧٤، ٢٩٠

محمد بن إسحاق، انظر صدر الدين

القونبوي

محمد إقبال ٤١، ٤٦، ٨٤

محمد خوارزمشاه ٧، ٨

محمد رضا شفيعي كدكني ٤٢، ٤٤،

٤٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٨٩

محمد السعيد جمال الدين ٨

محمد عبد السلام كفاقي ٣٢

محمد بن علي بن ملك داد، انظر شمس

الدين التبريزي

محيي الدين عبد القادر ١٨

محيي الدين بن عربي، انظر ابن عربي

مُسلم ٤٩، ٢٣١، ٢٤٢

المسيح، انظر عيسى ابن مريم عليه

السلام

المصطفى، انظر محمد ﷺ

معين الدين براونه ٨

المغول ٨

منصور، انظر الحلاج

موسى بن عمران، الكليم (عليه السلام)

٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٥، ١٤٩، ١٥٩، ١٧٣،

١٩١، ٢٣٤، ٢٥٥

مولانا، انظر جلال الدين الرومي

مولوي، انظر جلال الدين الرومي

المولوية ٢٨

ن

ناصر خسرو ١٢٢

نظامي (الگنجوي) ٢٢٤

نيكلسون، رينولد آلين ١٠، ١١

النيسابوري ٥٢

هـ

الهندوس ٦٩

٢٨٦،٧٩

يوسف (بن كنعان، الكنعاني) عليه
السلام ٧٤، ٨٨، ١٢٢، ١٣٩، ١٤٩،
٢٨٤، ٢٠٤

ي

أبو يزيد البسطامي ١٥، ١٨، ١٩، ٦١،

يعقوب (عليه السلام) ٧٤، ٨٨،

اليهود ٢٧٤

يوسف (لشمس الدين التبريزي) ٦٢،

فهرس الأماكن والبلدان

جبل الطور ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٢٣٤	آ
ح	آذربايجان ٢٢٤
حلب ٩، ١٧	أ
حيدرآباد الدکن ١٨	الأناضول ١٠
خ	الأندلس ١٣
خراسان ٧، ١٢٢	أنقرة ١٠
د	إيران ١٢٢، ٢٥١
دجلة ١١٨	ب
دمشق ٨، ٩، ١٣، ٢٨	بغداد ٧، ٨
الدوحة ٨	بلاد الروم ٧، ٢٨، ١٧٨
س	بلخ ٧، ٨
سيناء ٧٤	بيروت ٢٧٢
ش	پ
الشام ٨، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩	پنيه فروشان (مدرسة) ١٨
الشرق الإسلامي ٨، ١٣	ت
شكر ريزان (نزل) ١٨	تبريز ١٢، ٣٠، ١٢٢، ١٥٨
ص	تركستان ٢٦٢
الصين ١٥٨	ج
ط	جبل الصفا ١٥٥
طهران ٩، ١٥، ٢٣، ٣٤، ٤٢، ٤٤	

م
المدينة (المنورة) ٢٦٠
المشرق (انظر الشرق الإسلامي)
مصر ٦، ١١، ٨٤، ٨٥، ١٥٧، ٢٠٠،
٢٢٤
مكة ٢٦٠
ه
الهند ١٨، ٦٩، ٢٦٢
ي
اليمن ١٤٧

الطور (انظر جبل الطور)
طوروس (سلسلة جبال) ٨
ع
العراق ٨
ق
القاهرة ٤٦
قطر ٨
قونية ٨، ٩، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤،
٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ١٧٩
الكعبة ١٨١
گ
گنجه ٢٢٤
گنگ (نهر) ٦٩

المحتويات

٥	مقدمة
٧	جلال الدين الرومي
١٠	شمس الدين التبريزي
١٨	لقاء القطبين شمس الدين وجلال الدين
٢٤	عودة شمس إلى قونية
٢٥	شمس الدين الشهيد
٣٢	الإنتاج الأدبي لجلال الدين
٣٤	ديوان شمس تبريز
٣٥	الشعر في الديوان
٣٧	موضوع الديوان
٤٤	هذه الترجمة
٤٧	قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز: الترجمة العربية
٢٩٣	الفهارس
٢٩٥	فهرس الأعلام
٣٠١	فهرس الأماكن والبلدان
٣٠٣	المحتويات